



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي



منهج التأليف النبدي في كتاب نور الطرف ونور الظرف لأبي إسحاق إبراهيم الحصري القيرواني

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي تخصص النقد المغربي القديم

إشراف :

الأستاذ الدكتور: العيد جلولي

إعداد الطالب:

بودة العيد

لجنة المناقشة

أ.د. عبد الحميد هيمة	رئيسا
أ.د. العيد جلولي	مشروفا ومقررا
د. عمر بن طرية	مناقشا
د. احمد قيطون	مناقشا

السنة الجامعية : 2013 - 2014

شكراً

قال تعالى (أَنَا شَكُورٌ لِّي وَلِوَالِدِيهِ)

الحمد لله أولاً وآخراً هو القائل (ولئن شكرتم لازيدنكم) فردنا اللهم علماً وفهمـا وتوفيقـا ... ثم
حمد وافر وثناء عاطر للتي أنفـسـ الحياة من دعـواهاـ حبيـتـيـ أمـيـ - زـيدـينـيـ حـبـاـ زـيدـينـيـ - أـيـاـ اـمـرـأـةـ
مشـكـلـكـ لمـ تـرـ قـطـ عـيـنـيـ فـدـاكـ العـيـدـ بـكـلـ غـالـيـ (تنميرـتـ هـولـانـ هـولـانـ)

يا دام عزك والدي الحبيب : رضاك عنـيـ يـلـهـمـيـ التـقـدـمـ بـارـكـ اللهـ فـيـكـ ولـكـ وـعـلـيـكـ

مهندسـ هذاـ العملـ : مـشـرـفـيـ الـكـرـيمـ الـبرـوـفـيـسـورـ العـيـدـ جـلـوـلـيـ شـاـكـرـ لـكـ هـذـهـ الرـعـاـيـةـ الـكـرـيمـةـ الـقـيـ

أـولـيـتـمـ بـهـاـ اـبـنـكـمـ بـوـدـةـ العـيـدـ الـذـيـ يـتـمـنـيـ لـكـ عـنـدـ اللهـ كـلـ خـيـرـ

أساتذـيـ الأـطـايـبـ: صـلـوـاتـيـ لـكـمـ وـالـلـهـ مـعـكـ .. يـشـرـفـيـ أـنـ أـكـونـ ثـمـرـةـ لـجـهـودـ هـاـ مـنـاـ جـزـاءـ وـشـكـورـاـ

عشـيرـيـ الـأـقـرـبـيـنـ : وـفـيـ مـقـدـمـتـهـمـ إـخـوـيـ وـالـأـخـوـاتـ اـشـكـرـ مـسانـدـتـكـمـ وـاغـبـطـنـيـ عـلـيـهـاـ

زـمـلـاءـ الدـفـعـةـ وـأـصـدـقـائـيـ دـاخـلـ الـحـيـ الـجـامـعـيـ وـخـارـجـهـ بـورـجـلـانـ أوـ بـمـسـقـطـ رـاسـيـ بـلـ وـكـلـ مـنـ

يـعـرـفـ شـخـصـيـ الـبـسيـطـ لـكـمـ مـوـدـيـ وـثـنـائـيـ - وـمـعـدـرـةـ مـنـيـ إـلـيـكـمـ إـذـاـ قـصـرـتـ يـوـمـاـ

أـسـجـلـ شـكـرـاـ خـاصـاـ لـكـلـ مـنـ تـعاـونـ مـعـيـ خـالـلـ تـواـجـدـيـ بـالـجـامـعـةـ بـدـاـيـةـ بـرـئـيـسـ الـقـسـمـ أـخـيـ الـكـبـيرـ

عبدـ الجـيدـ عـيـسـائـيـ وـالـفـرـيقـ الـإـدـارـيـ الـعـاـمـلـ مـعـهـ وـاـخـصـ ذـكـرـاـ فـاضـلـاتـ مـكـتبـةـ قـسـمـنـاـ الـبـهـيـ - اـنـ

طـيـبـاتـ كـرـيـمـاتـ جـدـيـرـاتـ بـالـمـكـرـمـاتـ

بـوـدـةـ العـيـدـ بـنـ عـبـدـ الـقـادـرـ يـلـتـمـسـ مـنـ الـجـمـيعـ عـفـواـ وـدـعـوـةـ خـيـرـ - رـحـمـكـ اللهـ

الإله———داع

السلام على روحك أيها الراحل حيث الالهامية — أيا رجلا سكن أعماق الأبدية :

ذكراك تحبى حرقتي ومواجعي ... وأنا احبك أنت لا ذكرراك

لست ادرى إذا كنت تعلم أن : رحيلك عنا "لا" و"لم" يعني رحيلك منا

تصورتني أطلعك على أوراق هذا العمل الذي قرر قلمي أن يسجل لك من خلاله أطيب الحمد
وتحمّيل الشاء — لكن قدرًا كان اسبق مني إليك

تخيلتني أعانقك بعد إنتهاء المناقشة فرحا فخوراً مشع الكيان — فوجدتني أدعوك بالغفور والغفران
والرحمات

أيا من سكت عاصمة القلب واستوطنت عرش الذاكرة : هذا ابن أختك يدعو رب الرحيم
القدير الكريم الأحد أن يكتبك عندك من الشهداء و يجعلك من المكرمين وان يرفع درجتك في
المهديين برحمته التي وسعت كل شيء

خالي المغفور له بإذن الله بلال عبد الله بن محمد له ارفع هذا العمل

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ثم الصلاة على الرسول الأمين واله وصحبه أجمعين وبعد:

تتمتع الذاكرة الأدبية العربية بثروة إبداعية عملاقة، جعلتها محطة اهتمام واضح لدى النقاد والباحثين عربا كانوا أو مستشرقين. نظراً لتلك الكنوز النادرة والخصوصية الحضارية والثقافية التي ميزتها، ناهيك عن ذلك التنوع في الإنتاج الذي تولد عن اختلاف الفضاء الجغرافي والرقعة الزمنية أيضاً. حيث تميز الشعر المشرقي بالمقومات الطلالية وأبيات المغامرة الصيدية وتصوير التكالب القبلي وما إلى ذلك من سمات، بينما يُعرف عن المغاربة والأندلسيين شعر الموشحات وأدب المقامات واقترابهم أكثر من وصف الطبيعة ومحاورتهم لها.

ولقد كان للمشارقة سحرهم الخاص ومدرستهم المتميزة التي سجلت انفتاحاً مثرياً على الثقافة الهيلينية أو الدرس اليوناني، وذلك من خلال شروحات الأدباء الفلسفية أو الفلاسفة الأدباء كابن سينا والفارابي، اللذين أقدموا على توفير قراءات شارحة لكتاب فن الشعر والخطابة ل阿里سطو بالإضافة إلى ذلك فقد أفاد المبدعون المشارقة من النص الديني المقدس، الذي مثل نزوله نقطة تحول هامة في منظومة اللسان العربي. ولن نغفل عن ذكر اتصالهم بالموروث الفارسي عبر الترجمة والنقل.

كل هذه المؤشرات جعلتها (المدرسة المشرقة) مرجعاً أساسياً ورافداً رئيساً للإبداع الأدبي في المغرب العربي والأندلس، فاستفاد المغاربة من الدرس المشرقي بالدرجة الأولى باعتباره المصدر المتأثر بكل ثراوته الناضجة وحاولوا النسج على منواله، إلى أن جاء المهدى بن تومرت يطالب المبدعين والعلماء بتكريس فكرته التي تدعو إلى تحقيق التميز المغربي. وذلك بتأسيسها لمشروع : إعادة القراءة في الأصول، وهي دعوة لمراجعة الإبداع المشرقي وإعادة النظر في قراءة المشارقة للدرس اليوناني الذي تم الانفتاح عليه من خلال شروحات ابن سينا والفارابي. بغية الوصول إلى تكوين ملامح خاصة بالإنجاز المغربي، مما سيتمكن المغاربة من تقديم إضافة جديدة إلى الرصيد المشرقي لأنهم بذلك يحاولون تكميل ما غاب عن مدركـات التجربة الأدبية في المـشرق، ويـمثل هذا في الوقت نفسه امتداداً لربط الجهود الإنتاجية ببعضـها

البعض. وليس ذلك انسلاخاً أو تجاوزاً للمدرسة المشرقية، بدليل الحضور الواضح للتراث المشرقي في الأدب المغربي عبر مختلف عصوره.

كل هذه المعطيات جعلتنا نتصور وجود أرضية خصبة للتجديد والابداع في مكونات المدرسة المغربية، وجعلتنا نتوقع وجود خصوصية ثقافية متقدمة باعتبار اختلاف السياق التاريخي والسياسي والاجتماعي والجغرافي كذلك. وهذا ما حاولنا تقصيه من خلال مراحل هذه الدراسة التي أخذت بزمام البحث في منهج التأليف النقي لدی أحد شيوخ النقد في المغرب، وهو أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني الذي يمثل عالمة مضيئة في صفحات النبوغ المغربي.

وقد استقر اختيارنا لتنفيذ تجربة البحث على كتابه الموسوم بـ "نور الطرف ونور الطرف" ، باعتباره أثراً نادراً في رصيد الخزانة التراثية للأدب العربي بوجه عام والمغربي على الخصوص.

وقد أسهم في تشكيل هذا الاختيار لدينا مجموعة من المعطيات، تلخصها سطور الفقرات القادمة على هذا النحو:

دوافع اختيار الموضوع:

وتتقسم هذه الدوافع إلى نوعين " ذاتية وموضوعية "

- تتمثل الأسباب الذاتية منها في كون المدونة تتناول موضوع الطرفه والظرف، وهو من المواد الفكرية المرغوبة لدى ذاتنا القراءة. فضلاً على جودة الكتاب المغربي بملائحة أسلوبه ورشاقة موضوعاته وبدائع أخباره، بحيث يتيح لك منهجه القائم على التنويع الأدبي وعدم التبويب والترتيب أن تتجول فيه بين دفتي الإمتاع والمؤانسة دون تقيد.

وانذكر في هذا الصدد رغبتي في التقرب من أستاذنا الحصري الذي استطاع بشخصيته المترنة أن يدفعني إلى تسجيل الإعجاب به.

- أما المؤشرات الموضوعية فمتعلقة باستراتيجيات البحث العلمي، التي وجدتني من خلالها ملزما - بوصفني طالبا متخصصا في النقد المغربي القديم - بإعادة قراءة النص النقدي القديم. لعلي أزيح جزءا من أطنانأتربة النسيان التي ترسّبت عليه ويكون ذلك بصمة مضافة إلى رصيدي المعرفي ومشواري الأكاديمي، ولعل بصمتنا هذه تفيد المكتبة الجامعية وتساهم في إثراء ميدان البحث العلمي في هذا التخصص، الذي يعني بالرصف الم المحلي في النقد والأدب.

وبما أن الكتاب يعتبر تحفة أثرية في حد ذاته تعكس بوضوح جوهر الثقافة العربية الإسلامية الراخنة بالمنجزات الفكرية الثاقبة، فأحببت أن أؤدي ما عليا من واجب اتجاه هذا الكنز الثمين من خلال تجديد الاهتمام به وذلك بإعادة القراءة في الحمولة التراثية التي استحوذ عليها. ومن ثمة التعريف بصاحبها وبعثه إلى أنصوات الوجود والحضور من جديد، لأنه من الواجب كما تقول المحققة لينة عبد القدس : "أن نعمل دائبين على استكشاف كنوز هذا التراث الضخم، واستجلاء نفائسه ومحاولته نشره، وفاء بحق هذا التراث الذي مازال جزء كبير منه بين مخطوط مهملا، أو فقد مضيع."¹ وفاء منا بدين العلم، وإدراكا لأهمية موروثنا الذي نحن أحق من المستشرقين والمشارقة أنفسهم بدراسته وصيانته ورعايته. لأنه يمثل البطاقة التعريفية ل الهويتنا الحضارية وشخصيتها الثقافية.

بالإضافة إلى هذه الدوافع وجدنا أنفسنا ملزمين بخدمة الخصوصية الثقافية التي ننتمي إلى جغرافيتها الكبيرة، إنها المغرب العربي الكبير - حفظ الله أقطاره من كل شر - وذلك بتسلیط الاهتمام على منجزاته الأدبية التي عكست حضور المغاربة إلى جانب إخوانهم المشارقة في مضمون الإبداع. وإننا إذ نقوم بهذا نقوم بإثراء تلك الجهود المباركة التي تسعى ما استطاعت إلى إثبات الوجود المغاربي في المشهد الأدبي والنقد، نظرا لقلة الإنتاج المغربي في هذا المجال مقارنة بالمشرق ولربما سنكون

¹ نور الطرف ونور الظرف (المعروف أيضا بكتاب النورين)، أبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القبراني ، تحقيق لينة عبد القدس أبو صالح، مؤسسة الرسالة ط 1، 1996 ص 5

أكثر موضوعية واقرب رحما من مجال الدراسة بحكم انتمائنا إلى المحيط المغربي،
وتواجدنا فيه وانصهارنا في أجوائه.

وقد كان بعض هذه الدوافع عاماً أساسياً في انبعاث الكثير من الأسئلة التي تصب
جميعها في وعاء الإشكال المركزي.

الإشكالية:

لقد تحدثت المحققة عن مكانة الحصري وقيمة كعقل أدبي بدرجة كبيرة وشخصية
ناقدة بدرجة أقل، وكونه رجل إخباري نقل بعض التراث المشرقي إلى المغاربة
لتشكيل قناة وصلة بين المدرستين المشرقية والمغاربية. واستشهدت في هذا السياق
برأي الدكتور الشويعر الذي يرى أن تأثير الحصري في تلامذته لم يكن تأثيراً فكريّاً
يتّسّم إلى شخصيته العلمية، بل هو تأثير رجل إخباري ناقد حفظ دون أدب
المشارقة ونقله إلى تلامذته ليفيدوا منه.

وفي معرض الدراسة أيضاً أشارت المحققة إلى كون الكتاب مختصراً من كتاب
"زهر الآداب وثمر الألباب"، وليس كتاباً نقدياً متخصصاً يتناول فيه المؤلف الشعراء
والنصوص بالدراسة والنقد. ولكنه كتاب مختارات أدبية صنف بطريقة لا تخضع
للترتيب أو التبويب، يكتفي فيه الحصري بالتعليق الموجز والحكم السريع. لذا فإنه من
غير اليسيير أن نتلمس ثقافة الحصري النقدية وموافقه الفكرية وأراءه إزاء الطرودات
النقدية المتداولة .

دفعتنا هذه المعطيات لبحث إشكال رئيس ضبطناه بالصيغة الآتية:

هل يعكس كتاب النورين الذي لا يقوم على التصنيف والترتيب ملامح منهجية في
التأليف؟ وهل يحتوي على حمولة نقدية تترجم لنا الثقافة النقدية لمؤلفه؟ وإلى أي
 مدى يمكن أن تعرفنا المدونة بالسمات النقدية السائدة في المغرب على أيام
ال Hutchinson القورواني؟

وقد تفرعت من هذه الإشكالية الكبيرة مجموعة من الإشكالات الثانوية، من شأنها أن تثير البحث وتضيء جوانب أخرى في مضمون التأليف النقدي لدى الحصري القيرولي. وقد جاء فيها:

- أين يمكن أن نضع الخط الفاصل بين كتابي الحصري : زهر الآداب وثمر الألباب وكتاب نور الطرف ونور الظرف؟ أو بمعنى آخر فيما تبدو ملامح التقاطع بين الكتابين وما هي المفارقات الرئيسية بينهما ؟؟

- وبما أن الحصري اعتمد بشكل كبير على مورد الثقافة المشرقية في تأليفه لكتاب الذي هو محل الدراسة فإننا نتساءل قائلين:

عند أي حد تم استثمار التجربة المشرقية الأدبية في إنجاز الكتاب؟؟ وهل يمكن أن نقف من خلال ذلك على مدى تأثير هذه التجربة في الفكر النقدي المغربي من خلال كتاب النورين؟؟

- هل يعكس الكتاب خصوصية نقدية مغاربية (محلية)؟ وهل يمكن أن نعتمد عليه كمرجع للثقافة المحلية؟

- نتساءل في الأخير عما إذا كان الكتاب مرآة عاكسة لمذهب الحصري الديني؟ باعتبار أن معظم النقاد والشعراء المغاربة كانوا فقهاء، نظراً لخصوصية الثقافة الاجتماعية السائدة ونظراً للظرف التاريخي الذي جعل إقليم المغرب يقرب الفقيه العابد على الشاعر المبدع ، لأسباب ستجدها في أمكنتها من هذا البحث.

كل هذه التساؤلات ستكون محاولة للإجابة عنها فرصة لتحقق جملة من الأهداف

- أهداف البحث :

- تهدف الدراسة إلى إعادة النظر في إحدى موروثات الإنتاج المغربي لتمثيلها نفسها جيداً لمقاومة النسيان، وهي في الوقت نفسه تتدرج في إطار الجهود الساعية لتعزيز الوجود المغربي في الأدب العربي. من خلال الالتفات إلى أعماله بدراسة مؤلفاتهم وإعادة بعثها من جديد بعد التأمل النقدي وترجمة مؤلفيها إثراء لمكتبة الأدب العربي

في المغرب الإسلامي الذي تعيقك مصادر البحث فيه كما أشار إلى ذلك الدكتور محمد مرتابض في دراسته التي قدمها حول الأدب المغربي، وحتى لا نترك المجال أمام أولئك المتقولين الذين يحبون أن تشيع الأقاويل حول ضعف الرصيد المغربي في المجال الأدبي والنقدية. وحتى نؤدي ما علينا من واجب إزاء ثروتنا الثقافية وهي تنا
الحضارية .

- الوقوف على شخصية الحصري القيرواني، وعلى فلسفته في النقد والتفكير.
- معرفة دلالات أو ملامح الانعكاس الثقافي والتاريخي على إنتاج الحصري في هذا الكتاب، باعتباره مدونة متميزة في الأدب العربي عموماً والمغربي بوجه أخص.
ولتحقيق هذه الأهداف اقتضى موضوع البحث وطبيعة الدراسة الاستعانة بمجموعة من الآليات المنهجية.

ـ المنهج :

لقد اعتمدت في دراستي على استثمار آليتي الوصف والتحليل، حيث استغرق الوصف الجوانب المتعلقة بالتحقيق وعرض موضوعات الكتاب وأهم القضايا والأراء النقدية التي كتبها الحصري. ثم استعنت بنهج تحليل المحتوى فيما يتعلق بدراسة الأفكار وتقديم بعض القراءات الاستنتاجية، وأشارت المنهج التاريخي فيما يخص التعريف بالمؤلف وعصره، كما استعنت في محاولة ضبط فهرسة موضوعية للكتاب بآلية السبر والتبويب. حيث صنفت المواد مشيراً إلى أهم ما جاء فيها ودعمت الدراسة بالمنهج المقارن في الربط والفصل بين كتابي "الزهر" و"النورين". كما اعتمدت على آليات المنهج السيميائي في مجال العنونة، مستثمرة منجزات آليات القراءة والتأويل على اعتبار أن علم العنونة منبثق من عباءة السيميوولوجية.

وقد استعملت كل هذه الأدوات التي أشرنا إليها قبل حين على نحو الخطة التي قام عليها البحث كما يلي:

- خطة البحث:

وجاءت الخطة مكونة من تمهيد وثلاثة فصول، حيث أشرت في التمهيد الى خطورة النظرة السلبية لبعض الباحثين المشارقة إزاء الأدب المغربي والتراث مشيرا في الوقت نفسه الى ظاهرة إهمال المغاربة أنفسهم لتراثهم المحلي، ثم عرجت فيه على ضرورة وضع قواعد وقوانين نقدية لدراسة الأدب المغربي، تكون خارجة من صميم الثقافة المغربية.

اهتم الفصل الأول بتقديم ملامح البيئة الثقافية والسياسية والاجتماعية التي سادت قيروان القرن الخامس هجري، باعتبارها المعطيات التي أحاطت بتجربة تأليف الكتاب. ونحن نعلم بأن الإبداع الإنساني لا يستطيع الانفلات من دائرة البيئة التي تحكم في طبيعة الإنتاج البشري، ومن هذا الباب جاء عنوانه: إحاطة ببيئة الحصري القيرياني، وقد ضمنته أربعة مباحث تناولت فيها الحراك النقدي المزدهر على عهد الصنهاجيين. ثم عرفت بالحصري وبإسهاماته النقدية، وكان الفصل الثاني بمثابة جواز المرور إلى محاور المدونة للتعریف بها ومناقشة أهم الموضوعات الواردة فيها، وقد عنونا له بـ: وقفات تعریفية بالمدونة، قمنا فيه بوصف عملية تحقيق النورين وتعرضنا إلى مضمونه محاولين الوقوف على التصور المنهجي الذي قام عليه الكتاب، ثم اجتهدنا في ضبط فهرسة موضوعية للكتاب كما حاولنا تقصي طرائق النثر الفني في المدونة وقدمنا في نهايته قراءة سيميائية في عنوانها. أما الفصل الثالث والأخير فجاء عنوانه: تأملات نقدية في كتاب الحصري القيرياني اهتم بتوضيح انعكاسات الفضاء القيرياني على تأليف الحصري بالإضافة إلى تسليط الضوء على مكونات الرصيد الفكري والثقافي لمؤلف الكتاب، وهو امتداد لمحاور الفصل الذي سبقه بالتعریف والإضاءة. وجاء فيه حديث عن حظ الكتاب من النقد وعقدت فيه مقارنة بين كتاب زهر الآداب وكتاب النورين، مرجعا على مسألة اختصار النورين من الزهر ثم وقفت أيضا عن الحمولة المصطلحية الموظفة في المدونة، وأنهيته ببعض النظرات النقدية حول الكتاب.

وقدمت في الخاتمة بتجمیع النتائج والإجابات المتوصّل إليها من خلال البحث

- الدراسات السابقة:

في حدود اطلاعي المتواضع حول الدراسات التي تناولت الحصري القيرواني من خلال كتاب "نور الطرف ونور الطرف" لم أتصادف في خضم ذلك بدراسات تناولت صميم المدونة المذكورة، عدا بعض الترجمات للحصري القيرواني أو مجموعة من النسخ التي تحتوي على مضمون الكتاب. منها ما هو عبارة عن نسخة مصممة الكترونياً وليست متطابقة مع النسخة الورقية الأصلية، وهناك نسخ مصممة بتقنية المسح الضوئي.

وقد وقفت خلال البحث على مقالة مضيئة حول مدونة النورين معونة بـ: نبذة عن تحقيق كتاب "نور الطرف ونور الطرف" للدكتور محمد خير البقاعي، أستاذ النقد العربي المشارك في جامعة الملك سعود كلية الآداب قسم اللغة العربية. والمقالة صادرة عن مجلة الجزيرة في طبعتها الأولى، العدد 10111، بتاريخ الرابع من جوان العام ألفين بالموقع الإلكتروني التالي : www.al.jazirah.com

وقد جاء في المقال حديث عن تسمية الكتاب، وتناول الدكتور محمد خير البقاعي حديثاً عن الدراسة التي قدمتها المحققة لينة عبد القدس أبو صالح في القسم الأول من الكتاب، وجهودها في الحصول على المخطوطات النادرة للكتاب. وقد أشار في ذات السياق إلى عدد المصادر والمراجع مما سمح لها بالتوثيق والتصحيح والمعارضة والمقارنة، لتخرج لنا في الأخير ذلك العمل المتكامل.

وأخيراً أشار الدكتور صاحب المقال إلى أن البحث الذي جاءت به السيدة أبو صالح كان رسالة جامعية في أصله، للحصول على درجة الماجستير في اللغة والأدب العربي من جامعة الملك سعود العام 1989.

وبتعرضنا إلى شح الدراسات حول النورين نقوم بتوضيح المصاعب التي اعترضت طريق بحثنا وأثرت في مستوى

- صعوبات البحث :

اعترضتني بعض المصاعب كندرة المراجع التي تخدم صميم الدراسة، بالإضافة الى تخوفي من الخروج عن المنحى الجوهرى لهذا العمل.

ويعلم الله لو لا توفيق منه سبحانه وتعالى، ثم توجيه من أستاذى ومؤطرى البروفيسور العيد جلولى ما كان لهذا العمل أن يصل الى هذا المطاف المتواضع.

لذا أجدى مدین بالحمد والثناء لهما طمعا في الزيادة من الله، لقوله تعالى (ولئن شكرتم لأزيدنكم). وتبجيلا لحضررة المشرف "أيده الله". وترسيخا لأواصر المحبة بيني وبينه فله مني ثناءً عاطرا وامتنانا جميلا سيدى العيد جلولى.

فإن حالفني التوفيق فمن الله. وإن قصرت أو أخطأت فمن نفسي والشيطان، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب.

العيد بن عبد القادر بودة

بتاريخ : 10 جوان 2014

تمهيد

**الأدب العربي في
المغرب بين
تهميش المغاربة
وإهمال المشارقة**

تمهيد :

ما يزال هناك من الباحثين في المغرب العربي من يعتبر التقدم الى دراسة أدب المغاربة القديم عمل من قبيل التحدي والمغامرة. نظرا لقلة المراجع التي أرخت له أو تناولت مع نقاده ومبدعيه، ويرجع هذا حسب البعض منهم الى إهمال الكثير من الدارسين - عربا كانوا أو مستشرقين - للأدب المغربي القديم، ويكتفي أن نتصفح أهم ثلاثة كتب أرخت للأدب العربي حتى نتبين صحة هذا القول. إذ لم تتعرض للأدباء المغاربة إلا تعرضا خاطفا لا يتعدى أحيانا اسم الأديب أو الشاعر ومؤلفاته. ونعني بهذه الكتب كل من كتاب "تاريخ آداب اللغة العربية" لجرجي زيدان، و"تاريخ الأدب العربي" لكارل بروكلمان، و"تاريخ الأدب العربي" لشوقي ضيف.

وفي مواجهة هذا الإهمال للأدب المغاربة نجد عناية فائقة بما أبدعه أدباء المشرق شعرا ونثرا منذ الجاهلية حتى العصر الحديث، في كل مصر من أمصاره .. ومن عجب أن يقفز اهتمام الدارسين إلى الأدب الأندلسى دون أن يولوا الأدب المغربي اهتماما مماثلا¹. بداعي محاكاة التجربة المغربية لنظيرتها المشرقية من جهة، وقلة النماذج النصية المغاربية من جهة ثانية، جعلت الدكتور محمد نبوى يتساءل: متى كان شرط مغايرة أدب إقليم عن أدب غيره من الأقاليم لازما لدراسته؟

لكننا في المقابل لا ننكر تقصير المغاربة أنفسهم في الالتفات إلى إنتاجات المهتمين منهم بالحقل الأدبي، ويعزى ذلك إلى مجموعة من الأسباب سنتعرض لها في أمكنتها من هذه الورقة المستعجلة، والتي أردنا في البداية أن نعنون لها بـ: فكرة الإقليمية في الأدب العربي - السلبيات والآثار - الأدب في المغرب العربي أنمونجا . إلا أننا تراجعنا عن ذلك، بعد ما بدا لنا أن العنوان سيفرض علينا الوقوف على فكرة الإقليمية أكثر من وقوفنا عند أدبنا المغربي الذي هو محل الدراسة .

¹ محاضرات في الشعر المغربي القديم، د. عبد العزيز نبوى، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983 ص 4

والإقليمية كفكرة هي: أن أدب إقليم من الأقاليم يصور خصائص هذا الإقليم، مما يجعل إنتاجه الأدبي مختلفاً عن نتاج الأقاليم الأخرى .. وهي فكرة حديثة ظهرت في الغرب، انطلاقاً من أن لكل شعب شخصية مستقلة تتحكم في إنتاجه الأدبي، بحيث يكون هذا الإنتاج صورة وتعبيرًا عن تلك الشخصية الإقليمية التي يتميز بها عن غيره من الشعوب الأخرى.¹

ولقد كان من الممكن ألا يقوم الباحثون في مجال الأدب العربي، بوضع تلك التسميات التي ترتبط في ظاهرها بالمحيط الجغرافي إلا أنها تؤسس من زاوية أخرى وبصورة غير معلنة إلى ثقافة النشأة بين مبدعي المجال الواحد الذي يتقاتلون أسسه وقوانينه. فهذا أدب مشرقي وذلك مغربي وآخر أندلسي، وكأن المغربي تعود أسسه الأدبية إلى ثقافة تختلف تماماً مع أسس الأدب المشرقي، أو العكس صحيح. ومن هذا المنطلق بدا لنا أن نقترح التصرف في تلك التسميات المستمدّة من أسماء المواقع الجغرافية، ومقترحنا في هذا الموضوع: أن يشار إلى إنتاج كل رقعة جغرافية تحت لواء الأدب العربي. كأن نقول : الأدب العربي في المشرق، أو الأدب العربي في بلاد الأندلس، لأن نظام الشعر وفنون النثر ملك مشاع للجميع، يفهمه ويتعامل به المشرقي والمغربي على حد سواء. مadam الشاعر العربي يعتقد أن إماماة الشعر هي لامرئ القيس في الجاهلية، ولجرير والفرزدق في العصر الأموي، ولبشار وأبي نواس والمتتبّي في العصر العباسي. Madam الشاعر العربي يعتقد ذلك سواء عاش في قصر أو كوخ أو في أي إقليم آخر حتى ولو في أمريكا اللاتينية. ومما قد عرف على دراسة هذا الشعر حتى تكون ذوقه وحسه الشعري على هذا التراث العربي القديم، إذن فهذه البيئة هي التي يتتأثر بها. وهكذا تتّبع الأجيال متّأثرة بهذا التراث وهذه البيئة تأثراً مباشراً، لا عجائب لهم. فالبيئة الثقافية إذن هي العامل الأساسي، وهي واحدة في كل الأقطار العربية على الأقل². ذلك ما جعلنا نعجب كثيراً بقول الباحث المغربي عبد الله كنون، في مقدمة كتابه الموسوم: النوع المغربي في الأدب العربي. عندما قال : "لما ألفتُ هذا الكتاب لم أكن أهدف به إلى تمييز أدب المغاربة بميزة

¹ محاضرات في الشعر المغربي القديم، د عبد العزيز نبوi، ص 4، 8

² المرجع نفسه، ص 13

ليست في الأدب العربي العام ولا إلى تخصيصه ببحث مستقل يجعله في نظر المغاربة أو غيرهم كتابا خاصا بأدب قطر من أقطار العروبة على حدته، وإنما كان مقصودي الأهم من تأليفه هو بيان اللبنة التي وضعها المغرب في صرح الأدب العربي، الذي تعاونت على بنائه أقطار العروبة كلها. وذكر الأدباء المغاربة الذين لم يصرروا عن إخوانهم من المشارقة .. في العمل على ازدهار الأدبيات العربية على العموم. وذلك لأنني رأيت منذ نشأتي الأولى إهمال هذا الجزء من بلاد العروبة في كتب الأدب، وكتب تاريخ الأدب¹.

وليس عبد الله كنون وحده الذي يشير إلى إهمال دارسي الأدب العربي - خصوصا المشارقة - للإبداع الأدبي في المغرب، بل يشاركه في ذلك العديد من الباحثين حتى أن منهم من كان يرى التقدم إلى البحث في مجال الإنتاج المغربي في الأدب عمل من قبيل المغامرة والتحدي، مثل الدكتور محمد مرتابض الذي قال : " لقد كان البحث في أدب المغرب العربي القديم حتى عهد متاخر يعذ من قبيل المغامرة والتحدي، وذلك بسبب ما يعرف هذا الحقل المعرفي من انعدام للمظان التي تتکفل ببيئة معينة، أو يأخذها على عاتقه منبع معين"² .

وذلك ما صرّف الكثرين عن محاورة أدب القيم لتلك الرقعة، حسب ما اقره الأستاذ مرتابض عندما تحدث عن دوافع انجازه لدراسته في النقد الأدبي في المغرب العربي القديم قائلا: "ونكتفي بالذكر أنّه كان من وراء الخوض فيه ما لاحظناه من فراغ مهول في المكتبات الجزائرية والعربية، وفي المكتبات الجامعية وخاصة، ولا سيما مكتبات معاهد اللغة العربية وأدابها حين يتوجه طلابنا إلى الاستجاد بها عساهم أن يظفروا بمرجعية تعينهم على سد الفراغ، فإذا هم يضربون الأكف بعضها ببعض لأنهم لم يستطيعوا تحقيق حلمهم المتمثل في إعداد بحث أو مذكرة وغيرهما عن النقد

¹ النبوغ المغربي في الأدب العربي ، عبد الله كنون . دن. دط. دت. 7/1

² النقد الأدبي القديم في المغرب العربي، محمد مرتابض، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2000، ص 5

في المغرب العربي القديم، فيصر فهم هذا الحاجز عن تلبية رغباتهم العلمية، ويحول بينهم وبين ما يشهون ويأملون¹.

ولربما هذا من بين الأسباب القوية التي جعلت المغاربة يتهمون إخوانهم المشارقة بوزر التقصير في الالتفات إلى أدبهم، وقد وافقهم في ذلك بعض المشارقة أنفسهم مثل الأمير شكيب ارسلان الذي كتب بحثاً مستوفياً عن كتاب النبوغ المغربي حين صدره، في صورة عرض وتحليل. ومما جاء فيه :

"ومن أول ما شغل به المؤلف (يقصد عبد الله كنون مؤلف النبوغ المغربي) ذهن القارئ قضية خفاء الأدب المغربي على المشارقة، وإنكار كثير من هؤلاء ل كثير من مزايا إخوانهم المغاربة وهو غير ملوم في الاحتفال بهذه القضية في كونه نص عليها في أول كتابه لأن المغاربة حقاً في المطالبة بمكانهم في الأدب العربي، الذين هم من جملة حملة أولويته بل من نخبة عمار أولوياته ... فال المشارقة الذين يعزرو إلهم إخوانهم المغاربة جهل مقامهم ليس منهم واحد يلز في جملة العلماء والمحققين، وإنما من صغار المتأدبة الذين علموا شيئاً وغابت عنهم أشياء"².

ورغم هذا الحكم القاسي للأمير ارسلان على زملائه في المشرق إزاء تلک المسالة نجد أن نظيره المغربي عبد الله كنون يلوم إخوانه المغاربة على عدم الأخذ بزمام الاهتمام بأدبهم. على غرار إخوانهم في المشرق، وكأنه يحاول أن يصرف اللوم على المشرقيين الذين لم يكن تقصيرهم - حسب رأيه - متعيناً فيقول : " وقد كثُر عتب الأدباء في المغرب على إخوانهم في المشرق لتجاهلهم إياهم، وإنكار كثير منهم لكثير من مزاياهم، ولكن أعظم اللوم في هذا مردود على أولئك الذين ضيّعوا أنفسهم، وأهملوا ماضيهم وحاضرهم، حتى أوقعوا الغير في الجهل بهم والتقول عليهم وهو معدور وحسبه انه لم قصر تقصيرهم بل سعى فاخفق ولا عيب على من بلغ جهده

¹ النقد الأدبي القديم في المغرب العربي، محمد مرناض، ص 6

² النبوغ المغربي، عبد الله كنون، 19/18، 19

... وسوف يتقضى تجني إخواننا من بحاث الشرق على آثارنا وتحاملهم على آدابنا
لم يكن منهم عن عمد وسوء قصد، وإنما هو إرتياء واجتهاد".¹

إلا أننا نجد عبد السلام شقور يحاول أن يقدم بعض المبررات حول إهمال المغاربة لأنفسهم، رغم أنه يقر بصعوبة فهم سبب إهمال نقادنا المغاربة القدامى لشعر شعرائنا فيقول: "وقد وقفنا على إشارات تفيد أن شعراء المغرب أنفسهم كانوا يتمتعون من إذاعة شعرهم، فكان ذلك من دواعي ضياع شعرهم ... لعل أهم ما يستخلص من ذلك هو أن الشعر المغربي كائن غريب في تراثنا، ولعل الشاعر نفسه كان كائناً غريباً في مجتمعه ينافس الفقيه والعالم، ويواجهه كل من هذين الأخيرين في بلاطات السلاطين والأمراء، وكان أولئك السلاطين كانت حاجتهم إلى الفقهاء أكثر من حاجتهم إلى الشعراء وكان الأمر بالفعل كذلك، لذا قل في تاريخنا شعراء البلاطات الذين ينصرفون إلى الشعر يدربون به مدائح الملوك".²

وبالرغم من كل ذلك لم يكن هذا التجني أو التهميش ليوهن من عزم بعض الباحثين المغاربة، بل حفزهم على تصنيف مؤلفات في هذا الشأن مثل ما فعل محمد بن العباس القباج الذي أنسج كتاباً سماه : "الأدب العربي في المغرب الاقصى" وقد حثه على ذلك تأثره بكتابات المشارقة في مجال تاريخ الأدب، وفي مقابل اهتمام هؤلاء بأدبهم ورجاله صادف إهمالاً من لدن المغاربة لأدبهم على أهمية هذا الأدب وحاجته للجمع والتدوين³.

وذلك ما عبر عنه محمد بن العباس بن القباج بقوله : "... هذه النظرة التي ألقيناها على الشعوب فسرّتنا أتم السرور، وطفحنا بها بشراً واغتباطاً. ولكن لما حانت منا التقىطة إلى قطرنا المغربي الذي هو جزء من أجزاء الأمة العربية، ونظرنا هل له مثل هذه السمعة الأدبية والشهرة العالمية وهل أوثي أدبائه وشعراء ذكرنا يرفع مقامهم ويطير

¹ المرجع السابق، 31/32.

² حدود المنهج والمصطلح في نقد الشعر المغربي القديم ، عبد السلام شقور، مدونة د. العيد جلولي، <http://adabouargla.blogspot.com>، تاريخ التصفح : أوت 2013،

³ ينظر الدراسة الأدبية في المغرب الأستاذ عبد الله كنون نموذجاً، احمد الشايب، منشورات مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة المغرب، ط 1991، ص 30

شهرتهم،ألفينا من خمول الذكر ما لا ترضى به امة تنشد الحياة وتأمل أن يكون لها
مركز في الوجود".¹

وقد وجدها عبد الله كنون وهو احد المهتمن بهذا الشأن، كلاما يلامس صميم ما تقدم ذكره حيث يقول عن نفائس الأدب المغربي: "ثم لما بحثت ونقت وجدت كنوزا عظيمة من أدب لا يقصر على أدب أي قطر من الأقطار العربية الأخرى، وشخصيات علمية وأدبية لها في مجال الإنتاج والتفكير مقام رفيع. ولكن الإهمال قد عفى على ذلك كله، وعدم الاهتمام بجمعه في كتاب والتتبّيه عليه في خطاب أدى إلى وأده، فاحتاج إلى من يبعثه من مرقده".²

نشير هنا إلى دعوة بعض الباحثين إلى دراسة الأدب المغربي وفق مناهج نابعة من جوهر الخصوصية الثقافية والقيم والأفكار والمعايير الجمالية في المغرب، لأن دراسته بمناهج غير تلك سيكون أمرا معقدا إلى حدا ما، نظرا لاختلاف السياق الذي انبثقت منه تلك المقاييس المنهجية مع السياق الذي ولد فيه الأدب المغربي. لأن المناهج التي دعت إلى دراسة النصوص بمعزل عن محیطها ومكوناتها، تنتهي عادة إلى قتل تلك النصوص³. وهذا ما دفع بعد السلام شقور للقول ضمنيا بتميز الشعر المغربي عن غيره، ومن ثمة فإنه يستوجب منهاجا خاصا في أي محاولة لمقارنته حيث يقول: "... وإذا سلمنا بتميز الشعر المغربي، فإنه سيكون من الضروري أن ندعو الدارس إلى بلورة منهاج في النقد يراعي ذلك التميز، وهو منهاج لا يمكن إلا أن يكون نابعا من الشعر المغربي نفسه، وعليه فمن الخطأ الاحتكام إلى المقاييس التي أفرزها النقد العربي في المشرق لتقديره، وليس من الصواب في شيء أن نقيس شعر الجراوي وابن حبوس وابن عبد المنان وأضرابهم من "فحول" الشعر المغربي بما أفرزته دراسة شعر البحترى وأبي تمام والمتتبى ... وسيكون من الغبن لشعرائنا

¹ الأدب العربي في المغرب الاقصى، محمد بن العباس القباج، ط1، 1929 ،ص أ، ب

² النبوغ المغربي، عبد الله كنون 1/8

³ حدود المنهج والمصطلح في نقد الشعر المغربي القديم ،عبد السلام شقور، مدونة د. العيد جلولي

مقارنتهم بشعر المتنبي على أساس أن شعر المتنبي هو المرجع والقياس، ومن المؤسف أننا كثيراً ما نفعل ذلك متأثرين بما روجته الكتابات النقدية قديماً وحديثاً¹.

وهذا يزكيه الدكتور محمد مرتابض عندما يتحدث عن رواد الأدب المغربي، فيرى إن الرافد المشرقي : "بقدر ما لقّح الأفكار وأنار الطريق للمغاربة، بقدر ما عقد لهم الأمر، فهم قد وقفوا طويلاً قبل أن ينتجوا في مجال النقد أو الإبداع، لأنّ لهم خلفيات ثقافية، وأرصدة هائلة من التراث المشرقي، وحتى يستطيع أحد أن يزعزع الشاعرية، فإنه لابد أن يضع في حسابه من سبق من عباقرة هذا الفن كالمتنبي والبحترى وغيرهما. ولعل ذلك هو الذي حدا بهؤلاء إلى أن يقلّدوا حتى في استشهاداتهم ولم يلتفتوا إلى الشاهد الأندلسى أو المغربي إلاّ لاما"².

وما نستخلصه من هذه الطروحات بشكل واضح هو ارتباط التجربة المغاربية بالدرس المشرقي وإفادته منه، وهذا ما يعطينا الانطباع أن الأدب العربي في المغرب يكون مرحلة من مراحل تاريخ الأدب العربي وليس أدباً مستقلاً بذاته فهو يمثل خلية حيوية في كيانه نشأت وارتقت في ظل التغيرات التي أصابت الكيان، فمثلاً استطاع العرب القدامى أن يجعلوا بغداد عاصمة للثقافة العربية على مر عقود من الزمن، استطاع مغاربة القرون الهجرية الأولى أن يجعلوا من القิروان قبلة لطلاب العلم والأدب، وقد عكس المشهد الحضاري بها تقدم المغاربة في المجال الثقافي بشكل يبعث على الإعجاب والاحترام. خاصة إذا علمنا أن أمراء العهد الصنهاجي استطاعوا بمحبتهم للعلم ورغبتهم فيه أن يقربوا إليهم أهله و يجعلوا من بلاطاتهم محجاً للأدباء والعلماء، وقد أكد هذا الكلام حسن حسني عبد الوهاب عندما قال:

"... في هذا العصر خطر الأدب من ونثر ونظم في حلقة التقىن والرقى، وظهر فيه الاختراع الجيد، وتوليد المعاني الرقيقة نظير ما حصل للأدب بالعراق في مبدأ الدولة"

¹ النقد الأدبي في المغرب العربي القديم، محمد مرتابض، ص 25

² المرجع نفسه، ص 27

العباسية بينما امترج الشعر العربي بالأداب الفارسية، والفرس أهل رقة، وخيال متسع فتفتقت القرائح وتولد الإبداع .لتأثير المدينة على الخيال الشعر.¹

لذا تعد مرحلة الحكم الصنهاجي فترة العصر الذهبي في العلم والأدب، وزاد في بريقها العلمي حكم المعز بن باديس الذي شجع على العلم والإقبال على الأدب، فأجلز العطاء لرجال الفكر والعلم والأدب، ووضعهم في المكانة التي يستحقونها، فكان هذا بمثابة الطعم الذي جذب بواسطته البلط الصنهاجي رجال الفكر والعلم والأدب فانتشرت العلوم وارتقي المستوى الثقافي، وقد كان رجال الثقافة والعلم يتباهون بالانتساب إلى هذه البلاد التي تقدر العلم والأدب².

أولئك الحكام جعلوا القيروان من أحد أهم المراكز العلمية والأدبية في الغرب الإسلامي آنذاك، وكانت تعد كعبة العلم في هذه المنطقة، حيث عرفت ازدهارا كبيرا في شتى المجالات الثقافية، وذلك ابتداء من أواخر القرن الثاني الهجري إلى منتصف القرن الخامس.³

وعليه يمكننا القول بكل ثقة أن أدب العرب في تلك الربوع المغاربية على مختلف عصوره ، لا يقل أهمية مما قدمه أهل التعبير بالضفة المقابلة . وبذلك نقول أن معاية المغاربة لإخوانهم المشارقة لم يكن قبيل القدر أو الانتقاد، وإنما من باب العتاب المستحب الذي أملأه طموحهم إلى إثبات الأدب المغربي في خارطة الأدب العربي بعد طول إهمال له، فقد أثبت المؤرخون التاريخ السياسي للمغرب، وبالمقابل أهملوا التاريخ الأدبي حتى ضاع جل التراث المغربي وطواه النسيان. فطالبوهم وأسهموا مع من أخذ مبادرة البحث عنه في مظانه دفاعاً عن الذاكرة الأدبية المغاربية التي لم تكن أقل من نظيراتها في المشرق مساعدة في بناء صرح الأدب العربي.

بقي أن نشير في هذا السياق إلى أننا اخترنا موضوع منهجة التأليف لغرض التدليل ببصمة المغاربة في هذا المجال، وذلك من خلال الحصري القيرواني الذي يعتبر

¹ مجمل تاريخ الأدب التونسي ،حسن حسني عبد الوهاب، مطبعة المنار، تونس، ص 105

² نظرية الشعر عند ابن رشيق القيرواني، فريدة مقالاتي، مذكرة ماجستير، جامعة باتنة الجزائر، 2008/2009

³ ينظر الحركة النقية على أيام ابن رشيق المسملي، بشير خلون، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981

،ص 21

مدرسة أدبية في حد ذاته . وهذا ما سيجعل بحثنا مرتكزا على محورين اثنين هما : محور منهج التأليف ومحور: النقد ويعتبر المحور الأول من المسائل الهامة في مضمار الدراسات النقدية باعتباره يعكس التصور المنهجي لنقادنا القدامى، وذلك ما شجعنا للتقدم الى البحث فيه. ووقع اختيارنا على الحصري الذي يعتبر من النقاد الطموحين الى تأسيس أساليب نموذجية في المنهجية النقدية حسب ما قاله الدكتور مرتاض في دراسته: " إذ كثيراً ما كان الحصري يستشهد ببعض الشعر الذي يتوضّم فيه توفره على إبداع من حيث الوجهة الفنية ، والابتكار الجمالي ، فكان كلّ همه كان يتلخص في البحث عن التدقيق في شخصية الشاعر أو الكاتب عموماً ، وهذا ما يعبر عنه قوله: وف الأخطل على معاوية قال: إنني قد امتحنك بأبيات فاسمعها ، فقال: إن كنت شبّهتني بالحية ، والأسد أو الصقر ، فلا حاجة لي بها وإن كنت قلت كما قالت النساء ، وانشد البيتين فقل. فقال الأخطل: والله لقد أحسنت ، وقد قلت فيك بيتبين ما هما بدونهما ، ثم أنسد:

إذا مت العرف وانقطع الندى فلم يبق إلا من قليل مصدر

وردت اكف السائرين وامسکوا عن الدين والدنيا بحزن مجد

وما يستنتج من هذا القول أنّ الممدوحين أنفسهم ضاقوا بالأوصاف التي ظلت تتداول على موائدهم ينقلها الآخرون عن الأولين كما لو كانت شيئاً دائم الثبات لا يجوز الحياد عنه، فمعاوية – وهو الرجل العربي الذي عاصر الفصاحة في مهدها – يزهد في المدح الذي سيخصّه به الأخطل إن هو لم يخرق القاعدة التي ألف المداحون أن ينهجوها.. فهو قد سئم أوصاف عصره، وأمل أن يسمع من أحد مثلاً ما قالته النساء. لذلك طمأنه الأخطل بأنه حريٌ أن يأتي بمثل ما قالته، ولكن بأدب وإقرار بقيمتها، واستحسان لمعانيها، وهو ما جعله يشحذ قريحته، ويتطور صوره قبل أن يتلفظ ببيت واحد. وهو منهج يتماشى مع مفهوم الحصري للشعر وآرائه فيه، حيث أنّه يبحث عن الجديد المبتكر ، ويرفض كل ما هو مموج مبتذر".¹

¹ النقد الأدبي في المغرب العربي القديم ، محمد مرتاض ، ص 147

ويستمر بنا الطرح لتقديم منطلقات النقد المغربي واتجاهاته التي انعكست في مؤلفات مريديه، وسنحاول الوقوف على ملامح هذه الاتجاهات في كتاب النورين ضمن مراحل البحث القادمة.

وهذه الاتجاهات كما أشار الدكتور مرتضى حصرها عبد السلام شقور في ثلاثة :

- 1- اتجاه ديني صرف: وهو ينطلق من نصوص دينية لغايات تشرعيّة أو غير تشرعيّة؛ ومنه الأبحاث التي تناولت قضيّة الإعجاز والبلاغة النبوية.
- 2- اتجاه أدبي: ويتمثل في الشروح الأدبية.
- 3- اتجاه تأسيسي: ويهتم بالتفعيد في المقام الأول؛ ويمثله ابن البناء المراكشي بكتابه (الروض المرريع) والسجلماسي بكتابه (البديع) وابن رشيد السبتي بكتابه (أحكام التأسيس في إحكام التجنيس).

والاتجاهات النقدية في المغرب العربي قد توزّع توزيعاً آخر كما يذهب إلى ذلك الدكتور علي لغزيوي، فيكون الاتجاه الأول هو ما اشتمل على ثقافة عربية خالصة اعتماداً على الذوق العربي وحكمه على النص؛ ويمثل هذا الاتجاه أبو القاسم الشاعري الفاسي (-789هـ / 1387م) بكتابه (أنوار التجلی على ما تضمنته قصيدة الحلي) المتوفى سنة 750هـ، ومنهج دراسته هو أنّه يتناول القصيدة بيتاً بيتاً، شارحاً كل واحد منها بصورة مختلفة من لغة وفكرة وعروض وبلاغة، ومن هذا الاتجاه أيضاً كتاب (رفع الحجب المستوره عن محسن المقصورة) شرح فيه مقصورة حازم القرطاجي في مدح المستنصر الحفصي.

وأما الثاني فهو ما تأثّر بتيار الفكر اليوناني والنقد الأرسطي؛ ومن النماذج التي تمثله (منهاج البلاغة وسراج الأدباء) لحازم القرطاجي (- 6684هـ / 1285م) و المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع) لأبي محمد القاسم السجلماسي، و(الروض المرريع في صناعة البديع) لابن البناء العدي المراكشي (- 721هـ / 1321م).

وأمّا الاتجاه الأخير فهو الذي اهتم بالإعجاز القرآني أكثر من غيره، فاختصّ أصحابه بالوقوف عند الإعجاز القرآني وأوجهه البيانية؛ ويمثل هذا الاتجاه بصورة جلية

القاضي عياض (- 544هـ) في كل من كتابيه (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) و(بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد)..

ويبدو من هذا التقسيم أنه تأكيد لما قيل من قبل، بل إن المصطلحات تلتقي فيما بينها وتتوحد في تعريفها.

وإبراز هذه الاتجاهات الثلاثة في المغرب العربي عامّة، لا نعني من ورائه أن نتناسى الجهود الكبيرة التي بذلها ابن رشيق المسيلي وأساتذته وتلامذته في هذا الحقل، لأنّ الوصول إلى استبطاط طائفة من المناهج التي سادت ربّع المغرب العربي لم يكن وليد يوم وليلة، وإنما قد مرّ حتماً بقضايا متشعبة أفضت في النهاية إلى هذه الاستنتاجات¹.

مهما يكن، فلابد من الاعتراف بأنّ النقد المغربي قد استطاع أن يؤصل نفسه، ويوسّس لمدرسة نقدية كان لها الأثر في ما لحقها من نظريات نقدية متقدّدة فيما بعد؛ وفي هذا السياق يقرر الدكتور أمجد الطرابلي حقيقة يقول فيها: "عرف القرن الهجريّ السابع، ومطلع الذي يليه مدرسة بلاغيّة عربّيّة مغربيّة تستحق أن يوليها المهتمّون بالدراسات النقدية والبلاغيّة المقارنة عناتهم، ويخصوها بنتائجهم. وهي مدرسة يبدو واضحاً، من خلال الآثار التي تركها لها أعلامها، أنّهم كانوا جميعاً - مع تمكّنهم حق التمكّن من اللغة العربيّة وآدابها بعامّة، ومن الدراسات النقدية والبلاغيّة العربيّة بخاصة - أحسن اطلاعاً على منطق أرسطو، وأعمق فهماً لمضمون كتابه (الشعر) و(الخطابة) من النقاد والبلغائيّين الذين عرفتهم القرون السابقة في شرق الوطن العربيّ ومغربه"⁽²⁾.

في الختام نؤكّد على ضرورة التخلص من هذه المنطّقات الجهوّية التي لن تقيّد الأدب العربي الذي يزخر بثروة عملاقة، تستحق دراسة معمقة تستجلّي المفارقات الفرعية المتعلقة بالخصوصيّة الثقافية لكل إقليم، دون أن تجعل من هذه الخصوصيّات معياراً يجب توفره في إنتاج كل إقليم، حتى يكون جديراً بالنقد أو الدراسة والاهتمام.

¹ النقد الأدبي في المغرب العربي القديم، محمد مرناض، ص 25، 26

⁽²⁾ المرجع السابق، ص 28

الأفضل الأول

إحاطة ببيئة الحصري القيروانى

- المبحث الأول: أضواء على القيروان خلال العهد الصنهاجى
- المطلب الأول: موقع مدينة القيروان ونشاطها
- المطلب الثاني: القيروان خلال العهد الصنهاجى
- المبحث الثاني: الحركة النقدية على أيام الحصري القيروانى
- المطلب الأول: الحراك الثقافى في قيروان الصنهاجيين
- المطلب الثاني: أدباء العصر الصنهاجيين
- المطلب الثالث: أهم القضايا النقدية المطروحة
- المطلب الرابع: إمتراج النقد بالبلاغة
- المطلب الخامس: أهم عوامل الازدهار الثقافى
- المبحث الرابع: صفحات من حياة الحصري
- المطلب الأول: اسمه ونسبه
- المطلب الثاني: مولده ونشأته
- المطلب الثالث: ثقافته
- المطلب الرابع: مكانته العلمية
- المطلب الخامس: وفاته
- المبحث الرابع: إسهامات الحصري في المشهد النبدي
- المطلب الأول: خصائص شعره
- المطلب الثاني: خصائص نثره
- المطلب الثالث: مؤلفاته

1- المبحث الأول: أصوات على القيروان خلال العهد الصنهاجي

إن توجهنا إلى دراسة البرنامج النبوي الذي انتهجه الحصري القيرواني في هذه المدونة المعنية بالدراسة، يُلزمنا أولاً بالتعرف إلى تلك المعطيات البيئية والتاريخية والاجتماعية والسياسية التي واكتبت إنتاج الحصري لكتابه "نور الطرف ونور الظرف". ومن هذا الباب فقد قمنا بإنجاز مساحة تعريفية بالحيز البيئي الذي احتضن ميلاد المدونة التي ألفها صاحبها في رقعة جغرافية عريقة تسمى القيروان.

1-1) المطلب الأول: موقع مدينة القيروان¹ ونشاطها:

تعد القيروان من أعظم مدن المغرب بالنظر إلى امتدادها الجغرافي، وموقعها المتميز ولكونها العاصمة الإسلامية الأولى للمغرب العربي والأندلس، وتقع في شمال إفريقيا وكانت من أعظم مدنها وقد اتخذها الولاية من قبل الأمويين ثم العباسيين عاصمة لهم، حتى تم لها الاستقلال فصارت عاصمة للأغالبة ثم الفاطميين والصنهاجيين وغيرهم². وكانت القيروان هذه في قديم الزمان منذ الفتح إلى أن خربتها الأعراب - دار العلم بالمغرب إليها ينسب أكابر علمائه وإليها كانت رحلة أهله في طلب العلم³. وتتموقع في نقطة من سهل منبسط تمتد منها الأراضي الزراعية والمراعي التي تتخللها بعض الأودية والروابي غرباً وجنوباً، وتسامتها من الشرق غابات الزيتون الدكناة حيث تقع جوهرة الساحل التونسي (سوسة). وتطل عليها من الشمال جبال شاهقة، تقطنها قبائل عتيقة قوية من البربر الإفريقيين في هذه النقطة، وعلى أنقاض سوق رومانية قديمة سماها القدماء (باليقيرية). واتسع العمران بهذه المدينة اتساعاً جعل أطرافها تمتد وجوانحها تنتفتح، ولما بات القرن الخامس للهجرة حتى نبتت بضواحيها وأحوازها القرية البعيدة القرى والبلدان والقصور والبساتين والأسواق

¹ القيروان مدينة في تونس أول من اختطها عقبة بن نافع عبد القيس الكناني والكاروان بالفارسي تعني القافلة ينظر معجم البلدان، ياقوت الحموي، مكتبة الأسد، طهران، 1957 ، 4/422، 420.

² كتاب النورين، الحصري القيرواني، ص 11

³ المعجب في تخبيص أخبار المغرب، عبد الواحد بن علي المراكشي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 2005، ص 255.

والمصانع والبرك والمحارس. ويكتفي للتدليل على اتساع عمر انها أن نشير إلى ما ذكره بعض الرحاليين من أن سوق السماط الواقع في شارع كبير يشق المدينة من القبلة إلى الجوف، أي من باب أبي الربيع إلى باب تونس، مارا بالجامع الأعظم قد وصل طوله إلى ميلين وثلث الميل، وان سورها الذي بناه المعز سنة 444 هـ وصله سور صبرة قد بلغ تكسير دائرته إلى اثنين وعشرين ألف ذراع (12 ميلا تقريبا). وفي هذا السور أربعة عشر بابا وتشتمل المدينة نفسها على أراض وحارات وشوارع وأزقة وأسواق عامرة بالمتجار، وأخرى للحرف والصناعات¹. ويصف المؤرخ التونسي حسن حسني عبد الوهاب أحد أبناء القิروان في القرن العشرين ذلك السهل الذي تقع عليه القิروان بأنه "فحص مدید شدید الحرارة، غیثها غير معتدل وللهذا السبب جهز بها مواجل عظيمة تجتمع في بعضها المياه النازلة في الشتاء، وجلب للبعض الآخر مياه الأودية من بعيد"².

وإذا أردنا التعريف الاصطلاحي عند الجغرافيين لمناخ القิروان فهو صحراوي قليل المطر، لذا تندم مصادر المياه إلا من المطر الذي هيئت له البرك العظيمة للافادة السكان منه في شؤون حياتهم. ولعلنا لو بحثنا في أسباب بناء القิروان في هذا السهل البعيد عن البحر أو مصادر المياه فإننا سنجد لذلك أسبابا عدة نذكر منها : بعده عن التغور البحري، فتكون في مأمن من مفاجآت الأساطيل البيزنطية ولتكون القิروان في وسط المراعي الصالحة للحيوانات الأليفة التي يعتمد الجيش على جهودها في النقل، وعلى لحومها في الأكل. كما أن الموقع قريب من معاقل القبائل البربرية التي لم تدخل الإسلام بعد، وتمثل أكبر قوة تهدد الجيش العربي. كما نجد دافع ضمانبقاء الطريق إلى مصر مفتوحة لوصول النجادات ومؤن الجيش الذي وضع الخطة للتوغل نحو الغرب³. ولنقف مع بعض المؤرخين الذين اهتموا بالقิروان ونقلوا صورتها المشرقة كما رأوها أو علق بأذهانهم عنها فهذا المقدسي (336-380هـ) صاحب كتاب "تحسن التقاسيم" عندما يتحدث عن القิروان أيام ازدهارها يحاول أن يعطي

¹ الحصري القيرياني، محمد المرزوقي، الجيلاني بن الحاج يحيى، مكتبة المنار، تونس 1963، ص 3

² الحصري وكتابه زهر الأدب، د. محمد بن سعد الشوير. الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1981، ص 20

³ ينظر المرجع نفسه، ص 21

صورة للجوانب المختلفة فيقول: "القيروان مصر الأقاليم بهي عظيم حسن الإخبار
جيد اللحوم، قد جمع أضداد الفواكه والسهل والجبل والبحر والنعم مع علم كثير
ورخص عجيب .. هي فرصة المغاربيين ومتجر البحرين لاترى أكثر من مدنها ولا
أرفق من أهلها. ليس غير حنفي ومالكي مع ألفة عجيبة لا شغب بينهم ولا
عصبية، لاجرم أنهم على نور من ربهم وقد اقبلوا على ما يعينهم وارتفع الغل من
قلوبهم .. فهي مفخرة العرب ومركز السلطان، واحد الأركان أرفق من نيسابور
واكبر من دمشق واجل من أصبهان. إلا أن ماءهم ضعيف .. تكون اقل من ثلاثة
أميال في مثلها بلا سور وشربهم من مواجين¹ وصهاريج يجتمع فيها المطر، وقد
أجرى لهم المعز قناته في الجبل تملأ المواجين بعد أن تدخل قصره بصيرة بنيائهم
مدر وآجر ومواجين الزيت بها كثيرة. الجامع بموضع يسمى السماط الكبير وسط
السوق في سرة البلد، اكبر من جامع ابن طيلون بأعمدة من الرخام مفروش وداره
الرخام ومزاريبه رصاص له باب السماط، باب الصرافين، باب الردهانة، باب
الفضوليين، باب المأدنة، باب الصباغين، باب الحواربيين، باب سوق الخميس، باب
الميضاة، باب الخاصة في التمارين ولهم باب اللحامين وسوق الرماحين، ودور بها
خمسة عشر درباً: درب الريبع، درب عبد الله، درب تونس، درب أصرم، درب
اسلم، درب سوق الأحد، درب نافع، درب الحذائين وصبرة بناها الفاطمي أول ما ملك
الإقليم واشتق اسمها من صبر عسكة في الحرب، وهي مدورة مثل الكأس لا ترى
مثلها ودار السلطان شديدة العمارة حسنة الأسواق بها جامع السلطان وعرض سورها
اثنا عشر ذراعاً، منفصلة عن العمارة بينها وبين مصر عرض الطريق".²

كما جاء ذكر القيروان لدى الشريف الإدريسي (493-560هـ) حيث قال: "ومدينة
القيروان أم أمصار وقاعدة أقطار، كانت أعظم مدن المغرب قطراً وأكثرها بشراً
وأيسرها أموالاً وأوسعتها أحوالاً وأنفقها ببناءٍ وأنفسها همماً واربحها تجارة وأكثرها

¹ الصواب مواجل جمع ماجل وهي البركة، وكل ماء في أصل جبل أو وادٍ بما كانت مواجين بدلاً من مواجيل
بطريق الإبدال، لأن العرب يبدلون اللام نوناً كما في السرحان والسرحان للذئب.

ملاحظة: إن ماجن لهجة تونسية ماتزال قائمة الذات (الحضرمي وكتابه زهر الاداب، الشوير، ص 56)

² الحضرمي القيرواني، محمد المرزوقي، الجيلاني بن الحاج يحيى، ص 19، 18

جبائية وأدفقة سلعة وأنماها ربحاً، والغالب على فضائلها التمسك بالخير والوفاء بالعهد والتخلّي عن الشبهات واجتناب المحارم والتقون في محاسن العلوم. والميل إلى القصد، فسلط الله سبحانه عليها العرب وتواتت الجوانح عليها حتى لم يبق منها إلا أطلال دارسة وآثار طامسة، وفيما يذكر أهل النظر أنها عما قريب ستعود إلى ما كانت عليه من العمارة وغير ذلك.^١

وما يمكن قوله أيضاً على عظمة هذه المدينة فيما يتصل بمؤسساتها ومعالمها وضواحيها وسكانها ونشاطها التجاري والزراعي والصناعي، هو امتلاكها لشبكة عمرانية في غاية الأهمية حيث كان بها نحو ثلاثة جامع ومسجد، أهمها الجامع الأعظم. ولم تكن هذه المساجد في الواقع محلات عبادة فقط، بل كانت إلى جانب ذلك مدارس عامة يؤمها الطلبة لسماع علوم الشريعة واللغة والأداب والنقد والفلسفة والجدل. إلى جانب مدارس ومجالس أخرى مخصصة للعلوم العالمية من تشريع وفتوى وطب ورياضيات، وكان بها مستشفى يسمى مستشفى الدمنة كان يشرف عليه مهرة الأطباء. قال عنه حسن حسني عبد الوهاب: "والمظنون أن أصل وضعه كان ملحاً كبيراً للفقراء، ثم خصص أيام الأغالبة للمصابين والعجزة. فصار ينقسم إلى قسمين أحدهما للمجنومين ويعرف بدار الجذماء، والآخر مأوي للعمى والفقراء يعالجهم به أطباء ماهرون. وكان الأمراء من كل دولة يزورون هذا المعهد الخيري لاسيما في المواسم، يوزعون الأموال والحلويات على المقيمين به كما يفعل رجال التمدناليوم. وفيها دار الضرب التي تضرب فيها السكة، والظاهر أنها كانت ملاصقة لدار الإمارة القديمة قرب الجامع الأعظم، ثم انتقلت بعد إلى الضواحي عند انتقال الأمراء. كما كانت المدينة كثيرة القصور والمباني كقصر أبي الفتح وقصر حمص وقصر الماء وقصر الجديد وقصر الضيافة .. الخ إلى جانب هذا كله مئات من الفنادق والحمامات المتوزعة على تلك المدن التي انتشرت في ذلك البسيط على أبعد

^١ الحصري وكتابه زهر الأداب ، الشوير، ص 20

- وقد كانت المصليات مساحات متسعة كما وصفها حسن حسني عبد الوهاب ومرتبة في الغالب وفي قبلتها محراب بسيط وقد خصصت للمجتمعات العامة كصلاة العيددين والاحتفال بالمواسم وبيعة الأمراء (المراجع نفسه ص 53)

- الحمامات العامة كان عددها 49 حماماً عمومياً (المراجع نفسه، ص 54)

متقاوطة، كمدينة صبرة العاصمة الإدارية للدولة والتي كانت تعج بالقصور والمؤسسات والمصانع والأسواق. وقرى المنية وقلشانة وزرود وضييعات كثيرة تمتد على كامل البسيط، ومنتزهات عجيبة يؤمنها الناس للراحة والاستجمام.¹

وعظمة هذه المدينة تعطينا فكرة عن غزارة سكانها الذين قدر عددهم خلال العهد الصنهاجي بما لا يقى عن خمسمائة ألف نفس حسب ما أورده المؤرخ التونسي الشهير حسن حسني عبد الوهاب، وقد انقسم سكانها في ذلك العهد إلى عنصرين هما البربر من قبائل صنهاجة وزناته وهوارة ونفزاوة وغيرهما من قبائل عديدة، إلا أن العدد الأكبر من كان في صنهاجة وزناته ثم العرب وهم العنصر الهام في المدينة وكان مجئهم مع الجيوش العربية، وغالبيتهم من قبيلة الخزرج والأزد والقيسيون وتنوخ والكتانيون وبنو جرير والكنديون والفهريون من قريش وغيرهم. وقد وحد بين العنصرين الدين الإسلامي، وإلى جانب هؤلاء جميعاً جالية من اليهود والنصارى.²

وقد عمل سكان القيروان على استثمار الأراضي التي اهتم الولاة المهالبة بتوزيعها، كما اعنى الأغالبة بالري من خلال إقامة السدود والقنوات واستغلال مياه الأودية وحفر الآبار التي كانت تسقي البساتين. كما اهتموا أيضاً بالنشاطات الصناعية وأقاموا لذلك معامل خاصة كالزرابي والمصنوعات الصوفية والقطنية والحريرية التي كانت تصدرها إلى الشرق، وكان بها معمل لطبع وتطریز الأنسجة يسمى (دار الطراز) تزين فيه الأقمشة بمختلف الألوان والكتابات. ونجد معامل لدبغ الجلود ولصناعة الأحذية والسروج ودكاكين عديدة لصياغة المعادن والجواهر والجارة الكريمة ومعامل للزجاج والبلور ولصناعة الرق للكتابة، ومعامل للسلاح على اختلافه.

أما التجارة فقد كانت لها سوق نافقة نتيجة لازدهار البلاد، فكانت معاملاتها التجارية تتجاوز هذا القطر إلى الأندلس وأوروبا والشرق الإسلامي والسودان بواسطة القوافل البرية. وما تحسن الإشارة إليه أن صادراتها كانت أوفر بكثير من وارداتها بحيث

¹ المرجع السابق ، ص 55

² ينظر الحصري القيرواني، محمد المرزوقي، الجيلاني بن الحاج يحيى ، ص 4، 5

كان لها الاكتفاء الذاتي بمحصولاتها ومواردها المحلية، وجل واراتها كانت من الرقيق والعااج والمجلوب من السودان ومن صقلية والأندلس، وبعض المصنوعات المستجلبة للترف والكتب العلمية والأدبية¹.

ومدينة القيروان كانت ذات مكانة مرموقة وسمعة علمية وحاضرة من حواضر ديار الإسلام، بل كانت حاضرة إفريقية سياسياً وحضارياً أيام النهضة المباركة التي شهدتها دولة الإسلام. وهذا ما أعطاها أهمية لدى الجغرافيين العرب الأوائل فقد تعرض لها بالدراسة والتحليل كل من الإصطخري (...-346هـ) في "مسالك الممالك" والمقدسي في كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" وأبي عبيد البكري (...-487هـ) في كتابه "معجم ما استعجم" و"المغرب في ذكر إفريقية والمغرب" وابن حوقل (...-367هـ) في كتابه "صورة الأرض" في القسم الأول منه واليعقوبي في "كتاب البلدان" والإدرسي في "نزهة المشتاق" وياقوت الحموي (-574-626هـ) في "معجم البلدان"²

1-2) المطلب الثاني: القيروان خلال العهد الصنهاجي :

يعتبر العهد الصنهاجي عصرًا ذهبيًا لإفريقية حيث بلغت فيه أوج حضارتها ومجدها، وتمتع أهلها بالرخاء والثروة وظهر اثر ذلك في علومهم وفنونهم وكمالياتهم، وازدهر الأدب تبعاً لذلك وتدرج الشعر في مراقي الكمال وراجت سوق الفكر والثقافة رواجاً عظيمًا³.

أ- المجال التاريخي :

ونشير في هذا السياق إلى اختيار يوسف بن زيري بن مناد لتولي أمر المغرب ما عدا صقلية وطرابلس من قبل المعز قبل رحيله إلى مصر وذلك لإنفصاله وحركته السياسية ومهاراته العسكرية، وقد توفي سنة 373هـ فخلفه ابنه أبو الفتح المنصور ثم

¹ ينظر المرجع السابق، ص 6

² المرجع نفسه، ص 22

³ النورين، الحصري القيرواني، ص 17

ابنه باديس سنة 386هـ. وكثرت أيام باديس الاضطرابات السياسية والثورات في المغرب الأوسط والأقصى¹ مما شجع القبائل وخاصة قبيلة زناتة على التمرد والعصيان. ودب الخلاف داخل صفوف الأسرة الحاكمة نفسها وتوفي باديس سنة 406هـ. وخلفه ابنه المعز بن باديس الذي قام بدور مهم في حياة الدولة الصنهاجية، مما كان له أكبر الأثر في حياة القิروان السياسية والفكرية. بعد ذلك فقد خلع المعز الولاء للفاطميين وترك الدعاء لهم وبaidu الخليفة العباسي أبا جعفر القائم بأمر الله وحمل سكان إفريقية على إتباع المذهب المالكي - وقد عرفت القิروان في عهده نهضة وحركية مشرقة - ساعد على إذكائها ما شغف به أمراء البيت الصنهاجي من حب للعلم وإقبال على الأدب، رغبة منهم في بث العلوم ونشر المعرفة وقد بالغ المعز في إكرام العلماء والأدباء والإغذاق عليهم ومنهم أسمى الرتب حتى سارت بذكره الركبان وقصده العلماء والأدباء من كل صوب وحصب، والتقي فيها شوامخ الأدباء والعلماء وكان الحصري ممن قدم عليه ونال أعطياته.²

ولا جرم أن نذكر بعواقب انتفاضات الفاطميين الذين أرسلوا جيشاً من قبيلتي بني هلال وبني سليم، اتجه نحو القิروان مستبيحا القرى والضياع حتى وصلوا إلى القิروان وحاصروها لمدة طويلة وما لبثت أن سقطت في أيديهم فأذروا معالمها ونهبوها نهباً لم تعرفه القิروان، ووُقعت مجازر ومجازر ومات الآلاف من سكانها وهرب المعز إلى المهدية بعد مقاومة مستمرة سنة 449هـ³.

هذه المعطيات التاريخية تغرينا أكثر لمعرفة المزيد عن شخصية المعز بن باديس، للإلمام بحياته وبنظام الدولة في عصره.

¹ المغرب الأوسط وهو من مدينة بجاية شرقاً إلى وادي ملوية غرباً، وهذا الوادي يقع بين مدینتي تلمسان الجزائرية وتازة المغربية.

- المغرب الأقصى يقع من وادي ملوية شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً(ينظر النقد الأدبي في المغرب العربي، د.عبد العزيز قلقيلية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988ج، 1، ط 2، ص 18)

² النورين، الحصري القิرواني، ص 17

³ المرجع نفسه، ص 15

ولد المعز بقصر الإمارة ببصرة العاصمة الإدارية للقيروان، احتضنته جدته (أم ملال) التي أشرفـت على تسيير شؤون الدولة باسمه منذ وفاة والده إلى وفاتـها لصغر سنـه. ورباه وعلمه ودرـبه على سياسـة الملك الأديـب الكبير أبو الحسن عليـ بن أبي الرجال الشـيـبـانـي أحد دـهـاءـ السـيـاسـةـ الـوـارـدـينـ عـلـىـ القـيـرـوـانـ منـ مدـيـنـةـ تـيـهـرـتـ، وـيـذـكـرـ أنـ هـذـاـ الرـجـلـ هوـ الـذـيـ لـقـنـ المـعـزـ مـذـهـبـ أـهـلـ السـنـةـ وـكـرـهـ فـيـ المـذـهـبـ الشـيـعـيـ وـذـلـكـ ماـ دـفـعـهـ إـلـىـ الخـروـجـ عـنـهـمـ فـجـاهـرـ الشـيـعـةـ بـالـعـدـوـانـ، وـشـرـعـ فـيـ الدـعـاءـ لـخـلـافـةـ العـبـاسـيـةـ بـبـغـادـ تـدـعـيـمـاـ لـمـرـكـزـهـ الـذـيـ اـرـتـقـىـ إـلـيـهـ بـعـدـ ماـ وـرـدـ إـلـيـهـ سـجـلـ الـولـاـيـةـ وـلـقـبـ شـرـفـ الدـوـلـةـ مـنـ الـخـلـيفـةـ الـفـاطـمـيـ الـحـاـكـمـ بـأـمـرـ اللهـ. وـقدـ أـرـسـلـ فـعـلـ رـسـوـلـاـ إـلـىـ بـغـادـ فـوـافـاهـ الـخـلـيفـةـ الـعـبـاسـيـ أـمـرـ التـقـلـيدـ وـالـاعـتـرـافـ لـهـ بـالـاسـتـقـالـلـ فـيـ اـفـرـيـقـيـةـ سـنـةـ 440ـهـ وـحـيـنـذـ بـادـرـ بـإـظـهـارـ مـاـ يـكـنـهـ عـلـىـ مـنـابـرـ الـجـوـامـعـ وـأـعـلـنـ اـنـفـصالـهـ عـنـ الـفـاطـمـيـنـ وـقـرـئـ عـلـىـ النـاسـ أـمـرـ الـخـلـيفـةـ الـعـبـاسـيـ، وـحـمـلـ سـكـانـ مـمـلـكـتـهـ عـلـىـ الـمـذـهـبـ الـمـالـكـيـ. ١

بـ- المجال الاجتماعي :

من الناحية الاجتماعية كانت القيروان إبان الحكم الصنهاجي غاية في النشاط و اتساع العمران، وانتشر في أهل القيروان البذخ والترف واستكان أهلها إلى الدعة والرفاهية وانتعشت أوجه النشاط التجاري فيها فأصبحت جسرا يربط المشرق بالمغرب، وكثير رواد المدينة والوافدون عليها سواء للتجارة أو العلم و عمرت أسواقها و حمامتها ومسجدها الجامع بشتى صنوف الوافدين. وانتشرت في ضواحيها أماكن اللهو والطرب وسباق الخيل، وبلغ الناس في التائق في اللباس رجالهم ونسائهم حتى قيل أن أحد القضاة ترك كسوة بعد وفاته قومت بألف دينار. وتقن الناس في أنواع المأكولات المشارب، ولا تزال القيروان إلى اليوم تحفظ بجانب من مظاهر الحضارة². وينظر حسن حسني عبد الوهاب أن للقيروانين أيام راحة معلومة يعطى فيها الشغل وتقام الأفراح لليهوا بما يرخص فيه الشرع، كاللعب بالحراب وسباق الخيل خارج المدينة ولعب الشطرنج. كما أن الشبان وأصحاب الخلاعة يطربون بسماع القوالين وآلات

¹ ينظر الحصري القيروانى، محمد المرزوقي، الجيلانى بن الحاج يحيى، ص 11، 10.

² المرجع نفسه، ص 19

الطب ورفض الغانيات ويجمعهم ربع البقرية المعد للز هو وخلع العذار. ويتعمل
حسن حسني عبد الوهاب في تسجيل الظاهرات الحضارية الاجتماعية فيذكر لباس
أهل القيروان، وهو أن كسوة الرجل من قميص وسرويل وجبة صوف. يتحزم عليها
بازار ملون ويغطي الرأس بعمامة يضع فوقها الدوخلة التي تنزل على القفا ويتحذى
بالنعال في الشتاء وبالخفاف في الصيف. أما المرأة فإنها تكتسي برداء من قطن أو
حرير، وتجعل فوقه غلالة تشدء بالمئزر وتتزين بأصناف الحلي من أساور مرصعة
وخلالخيل منقوشة ومعصفرات، فإذا خرجت من منزلها ترتدي و تضرب على
وجهها المعجر وتضع برجليها خفا لطيفا.¹

وقد اعنى الدكتور الجنحاني بذكر طبقات سكان القيروان وأسهب في ذلك، وأشار إلى فئة المرتزقة الذين يحاربون مع كل من يستأجرهم . مستندا إلى إشارة وردت في تاريخ ابن الأثير، وذكر فئة البطالين الذين يعيشون عن طريق التسول والسرقة ونشر الفساد² . وبهذا يمكن أن نغلق هذه النافذة المضيئة عن الحياة الاجتماعية يومذاك.

جــ المجال الثقافــي :

وبما أننا سنفرد مبحثاً خاصاً يتناول مكونات المشهد الأدبي والثقافي على أيام العهد الصنهاجي، فحسبنا هنا أن نمر بـإيجاز على الحياة الثقافية التي صورها ياقوت الحموي أثناء ترجمته لابن شرف فيقول: "وكانـت الفـيروـان فـي عـهـد وجـهـة الـعـلـمـاء والأـدـبـاء، لـمـا يـرـونـه مـن إـقـبـالـ المـعـزـ على أـهـلـ الـعـلـمـ والأـدـبـ وـعـنـايـتـه بـهـمـ".³

وقد بلغ الشعراء على أيام الدولة الصنهاجية عدداً كبيراً حتى قالوا: ولقد اجتمع بباب المعز أكثر من مائة شاعر، وكانوا لا يقلون عن فحول شعراء المشرق وقد ذكر أغلبهم ابن رشيق في كتابه الأنموذج⁴. ونشير أيضاً إلى أن المعز بن باديس كان على درجة عالية من الثقافة الأدبية والذوق الفني بما أهلته لنقد آثار كبار الشعراء نقداً يدل

¹ الحصري وكتابه زهر الأداب، الشويعر، ص 54

² المرجع نفسه، ص 56، 57

³ النورين، الحصري القيروانى، ص 18

⁴ البيان المغرب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذارى المراكشى، تحقيق ومراجعة ج.س.كولان واليفى، بيروت، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١، 2009، 306/1

على نباهة وذكاء وعلم واسع فاضطر الشعراء والأدباء إلى غربلة إنتاجهم والتسابق إلى الإتيان بكل نفيس وتصيد كل جميل ورائع .. واتجاه المعز نفسه إلى المجالس العلمية والأدبية واقتناه أنفس الكتب والإقبال على تجميل بلاطه بأوفر عدد من رجال الأقلام وكبار الشعراء، حتى انه كلما سمع بعالم أو شاعر ذاعت شهرته استدعاه لبلاطه وضمه لخاسته وأغدق عليه ألوان الحظوة والتشجيع. كل ذلك جعل دولة الأدب وعلى الأخص الشعر تزدهر وتصل إلى مكانة لم يتحدث بمثلها التاريخ في ذلك العصر، وغض بلاطه بنبغاء تركوا دويا في التاريخ أمثال ابن أبي الرجال أستاذ المعز ومربيه ورئيس ديوان رسائله، وابن شرف وابن رشيق وأبي إسحاق الحصري صاحب زهر الأدب وشيخ الجماعة الذي كانت داره ناديا ومدرسة لشباب القيروان. قال ابن رشيق: " كانوا يجتمعون عنده ويأخذون عنه وهو رأس عندهم وشرف لديهم"¹. ومن كبار أدباء وشعراء القيروان في ذلك العهد: القزار و النهشلي والخشني وابن السمين والكموني وابن حبان والمardi والطارقي والدرامي الوزير البغدادي الذي وفد على المعز من خليفة بغداد، واختار البقاء في بلاطه وغيرهم من رجال العلم والشعراء².

ويمكن القول أن المثقفين عموما على اختلاف تخصصاتهم من فقهاء ومحاذين ونحاة ولغوين، بل وحتى فلاسفة وأطباء ورياضيين كان لهم حظ في فن الشعر والأدب. وإن كان هناك تفاوت من واحد لآخر، لذلك فإن كثرة من الأدباء والشعراء هم شخصيات متعددة الجوانب فمنهم الشاعر الفقيه والشاعر اللغوي والشاعر الأديب والشاعر الناقد حتى الشاعر الطبيب أو الفيلسوف .. فقد تنافس الشعراء وولع الناس بقول الشعر، وقالوا في مختلف الأغراض والمواضيعات من مدح وفخر وهجاء ورثاء ووصف وغزل وملح ونواذر وفكاهات³.

د- المجال السياسي :

¹ انموذج الزمان في شعراء القيروان، ابن رشيق القيرواني، ص 45

² الحصري القيرواني، محمد المرزوقي، الجيلاني بن الحاج يحيى، ص 15

³ الحركة النقدية على أيام ابن رشيق، بشير خلون، ص 40

لقد تشكل نظام الدولة في عهد المعز بن باديس من قسمين أساسين : قسم شرعي وقسم سياسي.

- القسم الشرعي يتمثل في الرتب الشرعية ، وعلى رأسها القضاء الذي يتولاه قاض بالعاصمة له قضاة نواب في العاصمة وفي الأطراف، وهو الذي يوليهم ويحدد مسؤولياتهم. والقاضي هذا يختاره الأمير رئيس الدولة بعد استشارة كبار العلماء في الغالب، وترجع لنظر القاضي جميع القضايا الشرعية والمدنية فله النظر في الجرائم وإقامة الحدود وإماماة الصلاة. وهو مفتوح الباب لقبول المتخصصين وسماع البينات كل أيام الأسبوع، عدا يوم الخميس فهو مخصص للنساء. وتتفذ أحكامه على جميع الناس بالسوية حتى على الأمراء والوزراء¹.

ومن نوابه الراجعين إليه - زيادة على قضاة الأطراف - قاضي الجندي المختص بالنظر في قضايا وخصومات أفراد الجيش، وصاحب المظالم والمختص بأحكام السوق وأحكامه نافذة دون تعقب في التوازن الصغيرة دون مائة دينار.

وصاحب الحسبة وما أشبهه برئيس البلدية حيث يقوم بمقاومة المنكرات، ويحمل الناس على احترام المصالح العامة وينم عن تضييق الطرقات ومن وضع الأوساخ فيها ومن الغش والتسلیس، ويحكم بهدم المباني المتداعية وبمعاقبة من يعتذب حيوانا .. ولهذا القاضي أعون ينفذون أحكامه يسمون الأمناء.

ومن الوظائف المتصلة بالرتب الشرعية وبالقضاء، وظيفة العدول الذين يقومون بتحرير السجلات والعقود بين الناس حسبما ما هو معروف اليوم.

- والقسم الثاني الذي يتركز عليه نظام الدولة هو القسم السياسي، ورتبه تبتدئ من الإمارة وللأمير سلطة واسعة على الرتب السياسية، ولكنه كان لا يتدخل في شؤون القضاء الذي كان مستقلا تمام الاستقلال في أحكامه.

¹ الحصري القيرواني، محمد المرزوقي، الجيلاني بن الحاج يحيى، ص12

ويتلن الإماراة في الأهمية منصب الوزارة، والوزير ينوب للأمير وينظر في دواعين الدولة، ورئيس كل ديوان يعتبر في مرتبة وزير يرجع بالنظر للوزير الأول الذي له أيضاً تسمية الولاية بموافقة الأمير.

وتتشتمل الدولة على ثلاثة دواعين:

1)- ديوان الجيش :

ويتكون من قيادة الجيوش البرية، ولها نظام خاص في الرتب العسكرية التي نعرف منها صاحب السيف وهو قائد الجيش وقائد الألف وقائد المائة وقائد الأئمة (الخيل). ويتبع قيادة الجيش البري قسم الحرس المسمى عندنا اليوم بالحرس الوطني، وأفراده مكلفوون بحراسة المدن وصيانتها، ومقاومة الثورات وتبلیغ أوامر الأمير ووزرائه ودواعينه . وقسم الشرطة هو المسمى عندنا بالبوليس، وهذا القسم يرجع نظره لوالى المدينة ويقوم بحفظ الراحة للعموم ورصد المفسدين. ويستعين البوليس في الليل بالكلاب المدربة ثم تأتي قيادة البحر ولها نظام خاص أيضاً، وقائد البحر يسمى الملند ويظهر أن هذه الكلمة تساوي كلمة الأميرال عند الإفرنج . ومن توابع قيادة البحر ولاية التغور ويتوالاها في الغالب قائد خبير بشؤون الحصون والمحارس البحرية.¹

ومن توابع ديوان الجيش : دار السلاح وهي مخازن لسلاح الجيش المكون من سيف ورماح وحراب وسهام ونشاب ودروع وتروس مغافر ومنجنقات .. الخ وما يتبع هذه الدار من معامل للصناعة والإصلاح.

2)- ديوان الجباية :

وهو عبارة عن وزارة المالية التي تشرف على مداخلات الدولة المتكونة من المكوس والأعشار والجزية والزكاة والغنيمة .. الخ وعلى مصاريفها كالإنفاق في المصالح العامة والعطایا، ويتابع هذا الديوان قسم المحاسبات الذي يراقب تصرفات أقسام الديوان المختلفة، ولا شك أن دار الضرب أي مصنع النقود كان تابعاً لهذا الديوان.

¹ الحصري القيرواني، محمد المرزوقي، الجيلاني بن الحاج يحيى، ص 14

3)- ديوان الرسائل :

وما أشبهه بالكتابة الخاصة للأمير، ويشرف هذا الديوان على تحرير الرسائل والصكوك الصادرة عن الأمير لغيره من الملوك والأمراء وعمال الجهات والولاة والقواد. وذكر المؤرخ حسن حسني عبد الوهاب أن هذا الديوان في عهد المعز بن باديس كان يشتمل على أكثر من مائة كاتب بلية منتخب، كابن رشيق وابن شرف الشاعرين تحت رئاسة أستاذهم وأستاذ المعز ابن أبي الرجال.¹

وبهذا نختم حديثنا عن مظاهر القيروان التي نعمت في ظلال الصنهاجيين وب خاصة في أثناء حكم المعز بن باديس، بأذى عصورها الفكرية والثقافية على الإطلاق. وظللت هكذا حتى دخلها الأعراب وعاثوا فيها فسادا عام 449هـ، فكان ذلك تحولا خطيرا في حركة التطور الثقافي والحضاري فيها وانطفأت شعلة الازدهار وانتقلت تبحث عن مركز آمن لها.²

¹ المرجع السابق، ص 14

² النورين، الحصري القиرواني، ص 18

2- المبحث الثاني: الحركة النقدية على أيام الحصري القIROانI

1-2) المطلب الأول: الحراك الثقافي في قيروان الصنهاجيين

يمكن القول ان بلوغ القيروان تلك الدرجة الحضارية الرفيعة والازدهار الثقافي المضيء خلال العهد الصنهاجي، مرده إلى تراكم مختلف التجارب والخبرات التي سبقت الصنهاجيين، بما فيهم الأغالبة والفاتميين. فقد ذهب بعض الدارسين والمؤرخين حد تسمية العهدين (الأغالبي والفاتمي) بعصر النهضة والأدب.¹ حيث كانت القيروان وعاءً للحركة الثقافية في المغرب، وابتداء من أواخر القرن الثاني هجري إلى حوالي منتصف القرن الخامس الهجري عاشت القيروان قمة ازدهارها الفكري. مما جعلها في طليعة العواصم الإسلامية الكبرى التي لعبت دوراً فعالاً في تاريخ الفكر الإسلامي، وأصبح لقب القيرواني للعالم أو للأديب وسام فخر له وقوعه على الأسماع.² فقد عرفت القيروان حركة علمية واسعة شملت فروع العلم بأنواعها، فشاعت الرياضيات والفلسفة وعلوم الطب والأداب، ووُجدت هذه العلوم مشجعاً ونصيراً عند الأمراء الأغالبة حتى نبغ فيها أعلام كان لهم ذكر في التاريخ. وانتشرت المدارس العالية في عهد الأغالبة (بيت الحكم)، والذي يرجح المؤرخ الأستاذ حسن عبد الوهاب أن هذه المدرسة كانت برقادة.. وكانت الكتاكيت القرآنية هي المدارس الابتدائية التي يتلقى فيها الصبيان القرآن الكريم ومبادئ العلوم اللغوية. ثم ينتقل التلميذ إلى التعليم الثانوي الموجود بحلقات المدرسین المنتسبة بالجوامع والمساجد، ويترقى في تعليمه من حلقات المعارف الثانوية إلى حلقات تدرس فيها المعارف العالية من علوم دينية كالتفسيير والحديث والتشريع والفتواوى وأصول المذاهب وقواعدها. وعلوم لغوية وأدبية كالنحو والصرف والبلاغة والشعر والنثر.

¹ عصر النهضة والعلم يبدأ بقيام الدولة الأغالبية 184هـ وينتهي بقيام الدولة الفاطمية سنة 296هـ والسبب في هذا التحديد أن حكم الأغالبة قد اقترب في نفوس المغاربة بشعرهم باستقلالهم وسريان الروح الوطنية في صفوفهم وإن الدولة الفاطمية قد صاحبها بل سبقها تغيير جزئي في المفاهيم المذهبية (ينظر كتاب النقد الأدبي في المغرب العربي، عبد الله قلليلة ص 30)

كما يعتبر قيام الدولة الفاطمية منعطافاً لازدهار العلمي والأدبي (396-436هـ) ثم الدولة الصنهاجية بغير عيها: بنى زيري في المغرب الأدنى (362-543هـ) وبني حماد في المغرب الأوسط (404-574هـ) وأخيراً المرابطين في المغرب الأقصى (440-542هـ). عد إلى المرجع نفسه، ص 35

² النورين، الحصري القيرواني، ص 17

والنقد، وعلوم فلسفية كعلم الكلام والمنطق والجدل. ولم ينحصر التعليم في الكاتب والجواجم بل إن العائلات الغنية كانت تجلب لأبنائها المعلمين والأساتذة إلى منازلهم، والذي ساعد على انتشار العلم بين جميع الطبقات هي الحرية التي يتمتع بها الأستاذ والطالب في التعليم. فقد كانت الحلقات بالجواجم تتضمن حول الشيخ المالكي والحنفي والإباضي والشيعي على حد سواء، لم ينفعها منغص سوى بعض الفترات التي منعت فيها دروس المذاهب المخالفة للسنة، كما وقع ذلك زمن سحنون. بيد أن الضغط السلطاني أحياناً لم يزحزح المذهب المالكي عن مكانته، ولم ينل من حريرته إلا في فترة الخلفاء الفاطميين بالقيروان. أما حلقات الأدب من شعر ونثر ونقد وقصص وملح فكانت منتشرة انتشاراً عظيماً لا في المساجد التي كانت مدراس عظيمة للثقافة العامة فحسب، بل في الدور والقصور والنوادي الخاصة والدكاكين والساحات العامة. ولم تقتصر الثقافة على الرجال بل كانت عامة بين الرجال والنساء والعبيد والأحرار على السواء، بحيث يصح أن نقول أن الأممية في ذلك العصر كادت تكون مفقودة.¹

ومن دوافع الوثبة الثقافية خلال العهد العبيدي نجد : حضور التنافس الخلق الذي انطلق بين شعراء الدور الفاطمي الذين احتضنوا من قبل العبيديين ليويدوا أراء الفاطميين، ويدافعوا عنهم هجوم أهل السنة. وهم في الغالب مالكيون، وذكر من بين هؤلاء الشعراء: أبو بكر اللؤلؤي² وأبو العرب محمد بن احمد التميمي القيرواني³ وأبو القاسم الفزارى القيرواني⁴ والفضل بن نصر المعروف بابن الرايس¹ ومحمد بن

¹ الحصري القيرواني، محمد المرزوقي، الجيلاني بن الحاج يحيى، ص 8، 9

² ابو بكر اللؤلؤي القيرواني (272-318هـ) من كبار اللغويين والنحاة بالقيروان ومن الشعراء. نزهه الالباء في طبقات الأدباء،أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ابن الانباري، تح.د. إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار ،الأردن 1985 ، ص 256

³ وأبو العرب محمد بن احمد التميمي القيرواني (333-..هـ) كان مؤرخاً نسابة عارفاً بالفقه حافظاً للغة والأدب وكان شاعراً لطيفاً وكاتبًا فصيحًا. ورقات عن الحضارة العربية بأفريقيا التونسية، حسن حسني عبد الوهاب، مكتبة المنار ،تونس، 1970، ص 80

⁴ أبو القاسم الفزارى القيرواني: برع في اللغة والأدب وكان يعارض الفاطميين بإشعاره وأكثر من مدح أبي يزيد الخارجي منها بانتصاره على الفاطميين ثم اضطر إلى مدح المنصور العبيدي بقصيدة ميمية ألقاها أمامه في القيروان في جملة من استأمنهم على حياته . الحصري القيرواني محمد المرزوقي، الجيلاني بن الحاج يحيى ، ص

هانئ² وعلي بن محمد الايادي³ وتميم بن المعز الفاطمي، وقد قال تطرق إلى هذا التسابق المؤرخ ح حسني عندما قال: "ونشأ عن هذا التنافس مزاحمة في الأدب وتكاثر عدد الشعراء، وراجت بذلك سوق الأفكار واحتكت القرائح وتولد الاتخراج في المعاني والمسابقة إلى الإجادة في القول"⁴. وبالإضافة إلى هذا التنافس وجدنا أن العبيدين في جملتهم - ولاتهم وأمرائهم - عريقون في الأدب، يقرضون الشعر ويرتجلون الخطب الفصيحة فكان دعمهم للأدب ميلاً فطرياً.

وفي العهد الصنهاجي كانت الحياة قد انتعشت أكثر من أي عهد مضى، وازدهرت معاً معاً الحضارة مما يحق لنا أن نعتبر هذه الفترة (فترة حكم الصنهاجيين) بمثابة العصر الذهبي لبلاد المغرب، في ميادين المعرفة بشتى أنواعها وفروعها⁵.. ويرجع الفضل في ذلك إلى الاستقرار النسبي الذي شهدته الحياة على أيامبني زيري الصنهاجيين، حيث يرجع الفضل إليهم في إنشاء الحركة الفكرية والثقافية في هذه الربوع لإقليمهم هم أنفسهم على العلم والأدب. ولاخذهم بأيدي أهلها وتشجيعهم على النزوح إليهم والإقامة بالقرب منهم، وقد كان المعز بن باديس الصنهاجي محباً لأهل العلم كثير العطاء، مدحه الشعراء وانتفعوا به الأدباء. وكانت حضرته محطة بنى الآمال وقد اجتمع بحضرته من أفضل الشعراء مالم يجتمع إلا بباب الصاحب بن عباد.⁶ جمع بلاطه أكثر من مائة شاعر وأديب، قالوا في مختلف الأغراض والفنون الشعرية

¹ الفضل بن نصر المعروف بابن الرايس (...-344هـ) أبو العباس من الأدباء العلماء كان يسكن بسوسة ثم انتقل إلى القิروان ونال حظوة ورئاسة له شعر رائق ونشر غمض وأغلب شعره في رثاء ابنه الأوحد الذي قُتل في جزيرة شريك بورقات تونسية، ح عبد الوهاب، ص 88

² هو أبو الفاسق محمد بن هانئ الازدي أصله من بني المهلب الذين ملوكوا إفريقية وانتقل أبوه منها إلى الأندلس فولد له بها ابن هانئ المذكور وبرع في الشعر واشتهر ذكره حتى لقبوه بمنتبى الغرب واقترن اسمه بالمعز راجع المغرب في حل المغارب لابن سعيد المغربي، تتح شوقي ضيف، دار المعارف 1953 ، 97/2

³ علي بن محمد الايادي نشا وتربى بمدينة تونس ثم التحق بخدمة الدولة العبيدية بالقิروان والمهدية وكان من أشهر شعرائها عمر طويلاً ومات سنة 365هـ على أيام المعز لدين الله الفاطمي . مجمل تاريخ الأدب التونسي، حسن حسني عبد الوهاب، مطبعة المنار، تونس، 1966 ، ص 96

⁴ المرجع نفسه، ص 98

⁵ ظهر الإسلام، أحمد أمين ،دار الكتاب العربي، ط 5، بيروت، 1969 ، 304/1

⁶ هو الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن المشتهر بالصاحب بن عباد كان أول وزير لمؤيد الدولة البوبيهي له من المؤلفات كتاب المحيط في اللغة رتبه على حروف المعجم وكتاب الكافي في الرسائل وكتاب الكشف عن مساوى المنتبي توفي سنة 385هـ بالري . وفيات الأعيان لابن خلكان، تتح إحسان عباس، دار صادر بيروت لبنان، 1977 ، 230-229 / 1

و كذلك كان ابنه الأمير تميم¹ محبًا للعلم والعلماء يجيز الجوائز السنوية ويعطي العطاء الجزيئ، حتى قصده الشعرا من الآفاق البعيدة وأقاموا عنده ونالوا حظوظه كيف لا وكان هو الآخر شاعرًا وأديباً وناقداً ذواقه².

وكان من رجال حكمهم (الصنهاجيين) الأدباء والشعراء والعلماء من أمثال ابن أبي الرجال³ رئيس ديوان الإنشاء وابن أبي حديدة التميمي⁴ أحد كتاب ديوان الرسائل، وابن الربيب قاضي تاهرت⁵ وهو صاحب الرسالة المشهورة إلى أبي المغيرة عبد الوهاب ابن حزم (ت 438هـ). يذكر فيها تقصير الأندلس في تخليد أخبار علمائهم وفي هذه الرسالة شاهد على أن الإفريقيين في عصر زاهير شحهم للمفاخرة بحضارتهم وأدبهم⁶، هؤلاء وغيرهم كانوا من محبي اللغة والأدب والفنون والعلوم ولعل هذه الثقافة الواسعة هي التي أهلتهم ليكونوا من ذوي المناصب الهامة في الدولة الصنهاجية التي رسخت تقليد الاحتفاء بالعلم والعلماء. فتطور النثر الفني وراجت سوق الأدب وبدا الأدباء في تكوين شخصية افريقية مستقلة في النقد والأدب، إذ برزت في هذا العصر أول حصيلة نقدية شارك فيها الحصري بكتابه "زهر الأدب" وإن لم يبلغ فيه ما بلغ معاصره وتلاميذه كالنهشلي وابن رشيق وابن شرف. إلا أن للحصري فضل المبادرة علاوة على الميل لتقليد المشارقة. ويقول ح

¹ هو أبو يحيى تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي تولى الحكم في القفروان بعد وفاة أبيه المعز وكان قبل ذلك واليا على المهدية من قبل أبيه ويتميز تميم عن غيره من الأمراء الصنهاجيين بشاعريته وأدبه فقد كان شاعراً كبيراً وناقداً ذوّاقة يجالس العلماء والأدباء ويشجعهم ويعطيهم الجوائز السنوية توفي سنة 501هـ المرجع نفسه، 304/1

² محمل تاريخ الأدب التونسي، حسن حسني عبد الوهاب، ص 96

³ أبو الحسن علي بن أبي الرجال رئيس ديوان الإنشاء في الدولة الصنهاجية وهو الذي لقى المعز بن باديس العلوم ورباه تربية عالية كان شهماً كريماً محبًا للأدب والأدباء يقول الشعر ويتقن فيه وإليه كتب ابن رشيق العمدة وكانت تجمعه به روابط الائتماء إلى الوطني توفي سنة 426هـ. محمل تاريخ الأدب التونسي، ح ح عبد الوهاب، ص 108

⁴ احمد ابن القاسم بن أبي الليث المعروف بابن أبي حديدة التميمي أحد الكتاب بديوان الرسائل في الدولة الصنهاجية كان أدبياً وشاعراً وكاتباً وهو واحد من ارتات وأصدقاء ابن رشيق توفي حوالي 450هـ المرجع نفسه ص 141

⁵ الحسن بن محمد ويعرف بابن الربيب نشا بتاهرت وتعلم بالقفروان واخذ بصفة خاصة عن الفزار فبلغ به النهاية في الأدب وعلم الخبر والنسب وقد ألف العديد من الكتب في الأخبار والأنساب كما كان خبيراً باللغة وهو واحد من الشعراء الكبار في زمانه قال عبد الكريم النهشلي عندما سئل عن اشعر أهل بلده: أنا ثم ابن الربيب. مات بالقفروان سنة 420هـ. الحرفة النقدية على أيام ابن رشيق، بشير خلون، ص 23

⁶ الحصري وكتابه زهر الأدب، الشوير، ص 40

حسني عبد الوهاب عن هذا العصر : "في عهد الصنهاجيين وضع القبر وانيون فن نقد الشعر ، فألف إبراهيم النهشلي كتابه "الممتع" وألف ابن رشيق "العمدة" وألف محمد بن شرف "رسائل الانتقاد" ، وكل هذه الكتب في أساليب النقد ومناخيه. ومع أن البديع قد احدث ضجة كبيرة في بغداد في المجال الأدبي ومعركة بين القدماء والمحدثين ، فإن تطور الأدب في العصر الصنهاجي دفع بالأدباء إلى استعمال هذا النوع في نتاجهم كما هجروا الألفاظ الوحشية وسار الشعر في مدارج الارتفاع ، وراجت سوق الأفكار والخيالات الواسعة."¹

2-2) المطلب الثاني: أدباء العصر الصنهاجي

الشعراء والأدباء الذين ظهروا خلال العهد الصنهاجي كثيرون جداً، من لم يظفر بمثلهم أي عهد سابق أو لاحق في بلاد المغرب. وقد قدر لهؤلاء جميعاً أن يعيشوا في القبروان أو يكونوا على اتصال مستمر بها قادمين من المراكز الأخرى القريبة أو البعيدة ليستقرّوا ولو لبعض الوقت في بلد المuez بن باديس وابنه تميم بعده. من مثل ابن عبدون الوراق² الكاتب الشاعر، وإبراهيم بن أبي القاسم الذي شهر بابن الرقيق القيرواني³ وكان مؤرخاً وأديباً وشاعراً، وإبراهيم بن السوس⁴ وكان شاعراً فكها وإسحاق ابن إبراهيم⁵، وإسماعيل بن إبراهيم⁶، وبكر بن علي الصابوني⁷ والحسن بن

¹ المرجع السابق، ص 38

² محمد بن عبدون الوراق من مواليid مدينة سوسة كان شاعراً كلفاً بعنونة اللفظ والمعنى البعيد سافر إلى جزيرة صقلية وأقام بها بضعة سنوات ثم عاد إلى وطنه وتوفي سنة 400هـ تاريخ الأدب التونسي ص 108

³ أحد المؤرخين الأفضل تولى رئاسة الإنشاء في الدولة الصنهاجية ألف عدة تصانيف في علوم الأخبار والأدب توفي حوالي سنة 425هـ. المرجع نفسه، ص 121

⁴ إبراهيم بن السوس الماردي أحد شعراء القيروان كان معاصرًا لابن رشيق المسيلي وقد ترجم له في الأنماذج وقال فيه: وقد انفرد في مغربنا بالقلم الرياضي الحافي انفراداً كلياً لا يداني فيه ولا يناظره. أنماذج الزمان في شعراء القيروان، ابن رشيق القيرواني، جمع وتحقيق محمد العروسي المطوي، بشير البكوش، الدار التونسية للنشر، تونس 1986، ص 38

⁵ ذكره ابن رشيق في الأنماذج وذكر بأنه كان راضياً سباباً وكان متاثراً في شعره بابن هانئ قتل سنة 420هـ، المرجع نفسه، ص 45

⁶ ويكنى أبا طاهر بن الخازن يتميز شعره بالسهولة والوضوح وله عدة توأليف في مختلف الفنون الأدبية واللغوية، المرجع نفسه، ص 49

⁷ أحد الشعراء المطبوعين وصاحب نوادر وحكايات مولعاً بهجاء الناس سافر إلى مصر وتوفي سنة 409هـ عن عمر تجاوز المائة سنة، المرجع نفسه، ص 63

بن احمد التجيبي¹ وابن هيمون التجيبي² وخديجة بنت احمد بن كلثوم المعافري³ وابن وابن حربون⁴ والحسن بن علي الكاتب⁵ وابن الصيرفي⁶ وأبو محمد عبد الله بن أبي أبي زيد القيرواني⁷ وعبد الرحمن بن محمد الفراسي (ت 408هـ) كان شاعراً كثيراً المهاجاة، وحرز بن خلف بن رزين (ت 413هـ) من ذرية أبي بكر الصديق كان واعظاً وولياً صالحاً له أشعار في الزهد، وعبد العزيز بن خلوف (ت 430هـ) المشهور بالحروري النحوي، وعلي بن حبيب التنوخي (ت 440هـ) من أدباء سفاقيه، وعبد الواحد بن الفتوح (ت 447هـ) تأدب بمدينة تونس ثم استوطن القيروان وانخرط في كتاب الدواين، واحد تلاميذ الحصري أبو طاهر التجيبي البرقي القيرواني (ت 450هـ) واحمد بن القاسم بن أبي حديدة (ت 450هـ) من الكتاب بديوان الرسائل.⁸

وفي مضمون استعراضنا لهذه الأسماء القديرة التي أفادت الحقل النقدي الثقافي يومذاك، نضيف أسماء أخرى تمثل المع أسماء القائمة الأدبية بل ورواد العمل الثقافي خلال هذا العهد. وقد تجاوزت شهرتهم الآفاق أكثر من غيرهم بفضل أشعارهم وتأليفاتهم النقدية والأدبية. وهم خمسة فضلاء :

¹ شاعر معروف من أبناء القيروان ولكنه أوطن سوسة وكان صاحب مكتبات ومضرمات وملح وفكاهات، المرجع نفسه، ص 67

² قال عنه ابن رشيق كان شيخاً طريفاً ذا رقة مفرطة ولطافة بينة وافتنان، أدركته وقد أسن و كان مشهوراً بالمحبة والكلام عليها والوفاء فيها، منسوباً إلى طلب العلم وصحبة الشيوخ الجلة من أهله كابي الحسن الدباغ . ويقال انه فقد من أحبته نيفاً وأربعين غريقاً في البحر. فسار شعره كله رثاء تقععاً عليهم ووفاء لهم، المرجع نفسه ص 75

³ شاعرة حاذفة مشهورة على أيام ابن رشيق احبها شاعر من أهل الأندلس يدعى أبي مروان وظهر لها تشبيه بها فغار إخواتها فقتلوا. المرجع نفسه، ص 94

⁴ هو الحسن بن عبد العزيز بن حربون من شعراء القيروان المشهورين يعرف مستعمل اللغة وتركيب الفاظ الشعر ينحو نحو أبي القاسم بن هانئ سافر إلى المشرق وأقام بمكة. المرجع نفسه، ص 80

⁵ قال ابن رشيق انه من بيت كتابة ورئاسة وعلم وكان شاعراً بارعاً لكنه قليل الاختراع والتوليد حسن الابتداءات وقد صنع في قتل الرافضة قصيدة قدمها شيخنا أبو عبد الله على جميع ما صنع الناس كلهم وكانت وفاته بجزيرة صقلية سنة 416هـ. المرجع نفسه ص 85

⁶ هو الحسن بن علي الصيرفي من شعراء القيروان المعروفين ترجم له ابن رشيق في الانموذج . المرجع نفسه، ص 90

⁷ (ت 386هـ) جامع مذهب مالك وشارح أقواله ورسالته المشهورة في مذهب مالك مطبوعة وقد أورد له حسن حسني عبد الوهاب نثراً فنياً وشعراً الحصري القيرواني وكتابه زهر الآداب، الشوير، ص 39

⁸ الحصري القيرواني وكتابه زهر الآداب، محمد المرزوقي، ص 39، 40

- إبراهيم بن علي بن تميم الحصري، وكان أديباً لغويًا شاعرًا نقاداً اشتهر بتصانيفه العديدة ومن أهمها وأشهرها كتابه "زهر الآداب وثمر الألباب".

- أبو عبد الله بن محمد بن جعفر القراز، وكان هو الآخر لغويًا بارعاً وشاعرًا مطبوعاً ملماً بالصنعة وعلى قدر لابس به من النقد، اشتهر بكتابه "الضرائر الشعرية" الذي عالج فيه قضائياً لغوية لها اتصال بالنقد.

- عبد الكريم النهشلي شيخ ابن رشيق وكاتب المعز بن باديس، وكان أديباً ذواقةً وشاعراً مجيداً وناقداً فذا اشتهر بكتابه "الممتع في علم الشعر وعروضه" الذي أفاد منه ابن رشيق وبخاصة عندما ألف كتابه العمدة.

- أبو علي الحسن بن رشيق المسمى بالقيرواني، وقد كان من أشهر شعراء عصره وأدبائهم تفوق في النقد خاصة وألف فيه كتباً كثيرة من أهمها كتاب "العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده" و"قراضة الذهب في نقد أشعار العرب" و"أنموذج الزمان في شعراء القيروان".

- وأبو عبد الله محمد بن شرف القيرواني، ويُعتبر ثالث رجل في النقد بالقيروان بعد عبد الكريم النهشلي وابن رشيق، واشتهر برسالته مقام عن الشعراء وبملاحمه الشعرية مع منافسه ابن رشيق¹

وطبيعي أن ينقسم الشعراء حتى في هذه الرباع بين متعصب للقديم ليحافظ على عمود الشعر العربي وينسج على منوال البحترى، وبين منتصر للجديد الذي تأثر بحركة البديع ليتبع طريقة أبي تمام التي تعتمد على التعقيد والغموض أحياناً والغوص على المعاني. بل لقد تميز بعض الشعراء بفن معين لم يكن متاثراً فيه لا بالقديم ولا الجديد وإنما طبيعة البلاد هي التي أملت عليه هذا الاتجاه الخاص، كاشتهر عبد الله بن محمد الجراوي بوصف الديكة والدواجن، وقرهب الخزاعي

¹ الحركة النقدية على أيام ابن رشيق، بشير خلون، ص 25

بوصف الطين ومحمد بن مغيب بالهجاء، كما تميز بعضهم بالفكاهة والملح وبعضهم بالأراجيز كابن غالب علي بن عبد الكريم.¹

2-3) المطلب الثالث: أهم القضايا النقدية المطروحة

ويجدر بنا أن نحصر أهم القضايا النقدية التي كثر الحديث عنها ودار حولها النقاش وتعددت الآراء وتفاوتت، وسنتبع ذكرها بالرؤى النقدية لأولئك الأعلام البارزين. لكننا سنعود إلى استجلاء آراء الحصري بشيء من التمثيل والتفصيل ضمن البحث الذي سيتناول إسهامات ناقدنا في الحراك النقدي، على اعتبار أننا سنكتفي بإشارات عابرة له ولكل النقاد الذين تفاعلوا مع هذه القضايا المتمثلة في خمس موضوعات :

- موضوع ماهية الشعر ومفهومه
- قضية اللفظ والمعنى
- قضية القديم والجديد
- قضية الطبع والتلف أو المطبوع والمصنوع
- قضية السرقات الأدبية (بالخصوص السرقات في الشعرية)

1) مفهوم الشعر وماهيته:

- عبد الكريم النهشلي لم يكن الشعر من إبداع العرب فقط، بل هو قدر مشترك بين جميع الأمم. وإن كان حظ الأمة العربية أوفر من حظوظ الأمم الأخرى والشعر عنده لم يكن مجرد ألفاظ موزونة ومقفاة أو أقوال تدل على معنى، وإنما هو فطنة وشعور وعاطفة ووجودان.²

- الحصري القيرواني يكتفي بإيراد تعريف مقتضبة ضمن وفاته النقدية الواردة في كتابه زهر الآداب، كتعريف الناشئ الأكبر والخليل بن احمد وعمارة بن عقيل دون أن يحدد فهمه للعملية الشعرية أو يعطي تعريفاً من عنده لماهية الشعر. لكنه يرى أن

¹ المرجع السابق ، ص 31

² ينظر المرجع السابق، ص 56، 57

المقاطع القصيرة اعلق بالمسامع وأجود في المحافل، إذ يكفيك - كما يقول- من
القلادة ما أحاط بالعنق.¹

- القراز القيرواني ليس له موقف صريح حول القضية في كتابه المشتهير باسم "ضرائر الشعر"، والذي تعرض فيه إلى قضايا لغوية بحثة دافع من خلالها عن عيوب الشعراء وأغلاطهم. ومن ثمة يمكن الوقوف ضمنيا على رأية من حيث أن الشعر أفضل من النثر عنده حتى وإن لم يصرح بذلك، مadam يكلف نفسه مشقة البحث عن الحجج والشواهد في أشعار الأوائل وقصائدهم وأقوالهم كي يتخذ من ذلك مبررا لا خطاء معاصريه من الشعراء.²

- في كتاب العمدة تتضح لنا الكيفية التي نظر بها ابن رشيق إلى الموضوع، حيث أطلق لفظ "المنظوم" على الشعر. ثم عبر عن وعيه العميق بالظاهرة الشعرية بقوله: "فَلِمَا تَمْ لَهُمْ وَزْنُهُ سُمُوهُ شِعْرًا لَّأَنَّهُمْ شَعَرُوا بِهِ أَيْ فَطَنُوا، فَالشِّعْرُ عِنْدَهُ يَزِيلُ الْهَمَّ عَنِ الشَّجَى وَيَبْعَثُ الْأَمْلَى فِي النُّفُوسِ، وَيَدْخُلُ الْمُسْرَةَ وَالْطَّرَبَ إِلَى الْقُلُوبِ".³

- ورد رأي ابن شرف في كتابه "أعلام الكلام" في فقرتين أثار فيما مفهوم الشعر الحسن الجيد، عندما قال: "إِنْ امْلَحَ الشِّعْرُ مَا قَلْتَ عَبَارَتِهِ وَفُهِمَتِ إِشَارَتِهِ وَلَمْحَتِ لَمْحَهُ وَلَمْحَتِ مَلْحَهُ، وَوَقَفَتْ حَقَائِقُهُ وَحَقَّقَتْ رَقَائِقُهُ، وَاسْتَغْنَى فِيهِ بِاللَّمْحَةِ الدَّالَّةِ عَنِ الدَّلَائِلِ الْمُتَطَاوِلَةِ".⁴

بينما وردت الفقرة الثانية في خاتمة الكتاب: "وَأَحْسَنُ الْحَسْنِ مِنْهُ - أَيُّ الشِّعْرِ - مَا اعْتَدَ مِنْهُ وَاغْرَبَ مَعْنَاهُ، وَزَادَ فِي مَحْمُودَاتِ الشِّعْرِ عَلَى مَا سُواهُ".⁵

2) قضية اللُّفْظِ وَالْمَعْنَى :

¹ ينظر المرجع نفسه، ص 88

² ينظر المرجع نفسه، ص 99

³ ينظر المرجع نفسه، ص 113

⁴ أعلام الكلام، ابن شرف أبو عبد الله محمد، مطبعة النهضة ،القاهرة 1926 ،ص 37

⁵ المرجع نفسه، ص 46

- لا يختلف موقف عبد الكريم النهشلي عن الجاحظ ، فهو يعول على الأسلوب أكثر مما يعول على الفكرة.¹

- اكتفى الحصري القيرواني بإشارات عابرة دلت على موقفه من القضية، حيث فرق بين الألفاظ والمعانى ويرى أن الإبداع في فن الشعر يتوقف على المعانى ويعتمد عليها لأنها تتجدد باستمرار فهي مبسوطة إلى غير غاية، وممتدة إلى غير نهاية. أما الألفاظ فهي معروفة ومحدودة محصوره، يستطيع كل واحد أن يطلع عليها ويستعملها في كلامه.²

- ابن رشيق يرى ان اللفظ والمعنى توأمان متلازمان ولازمان للعمل الأدبي، وان كفة المعنى لترجمة اللفظ بمقدار ما ترجمة الروح للجسم.³

- ابن شرف قد صاحبه ابن رشيق في تشبيه اللفظ بالجسم والمعنى بالروح، واشترط لجودة الأدب سلامة الاثنين من العطب، ثم ذهب إلى انه إذا كان التقصير في اللفظ محتملاً فإن التقصير في المعنى غير محتمل.⁴

- لم نقف للقراز على رأي في القضية حسب الكتب التي عدنا إليها في البحث، كتاب الحركة النقدية ل بشير خلون أو كتاب النقد المغربي لعبدة فلقيلة.

(3) قضية القديم والجديد:

- النهشلي لا فضل لقديم على محدث ولا لمحدث على قديم، مادام كل منهما قد عبر بصدق على عصره.

- الحصري وهو حسن الظن بالمحدثين والمولددين لأن لهم من لطائف الابداع وتوليدات الاختراع أبكارا لم تقتربهما الأسماع، يصبوا إليها القلب والطرف ويقطرون منها ماء الملاحة والظرف.

¹ ينظر النقد المغربي، عبدة فلقيلة، ص 367

² ينظر الحركة النقدية على أيام ابن رشيق، بشير خلون، ص 173

³ ينظر الحركة النقدية على أيام ابن رشيق، بشير خلون، ص 173

⁴ ينظر النقد المغربي ، عبدة فلقيلة، ص 367

- القزاز ينتصر ضمنيا للمحدثين وينصف عثراتهم ويرفض التشنيع بأخطائهم من طرف النقاد، فلو أنصفوهم أو لو أنصفوا الحق من أنفسهم لعلموا أن ما عابوه صحيح أو له وجه من الصحة.

- ابن رشيق له رأيان في هذه القضية بناء على انه مزدوج الجنسية فهو ناقد مرة وشاعر أخرى، وهو ناقد أميل إلى القدماء وشاعر أميل إلى المحدثين لأنه منهم، وقد اقر بان القدماء احكم بناء وارسخ عمدا. أما المحدثون فارق لفظا وارق فكرا، وكان بذلك متعادلا مع نفسه.

- ابن شرف عالج القضية معالجة طيبة بطلبه من النقاد التحفظ عن شيئاً هما إجلال القديم واستصغار المعاصر من أجل الاستصغار والإجلال فقط، دون تمحيص النصوص إخضاعها للنقد البناء.¹

(4) قضية الطبع والصنعة :

- يتضح رأي شاعرنا الحصري القيرواني في ميله إلى التوسط بين الحالتين من الطبع والصنعة، فهو معجب بالمطبوع الجيد والمصنوع المثقف. ولكن الشيء الذي ينكره هو التكلف والتعمل والجري وراء الألفاظ على حساب المعنى، فيأتي الشعر مهلهلاً كثير الخطأ ضعيف الصواب.²

- وأشار بشير خلون في كتابه "الحركة النقدية على أيام ابن رشيق الميسيلي" إلى عدم اهتمام القزاز القيرواني بالقضية في كتابه "ضرائر الشعر".³

- لا نكاد نعثر على رأي واضح للنهشلي في هذا الموضوع، عدا بعض الأحكام العامة المقتضبة كقوله: هذا شعر مطبوع أو شاعر متكلف. وأغلبظن أن النهشلي تعرض إلى الموضوع ضمن مؤلفاته الأخرى التي لم تصلنا.⁴

¹ ينظر المرجع السابق، ص 384، 385

² ينظر الحركة النقدية على أيام ابن رشيق، بشير خلون، ص 205

³ ينظر المرجع نفسه، ص 205

⁴ ينظر المرجع نفسه، ص 206

- ابن رشيق رأي معتدل، فهو يوصي الشعراء بالمحافظة على الطبع مع الاهتمام بمذهب أهل الصنعة حيث يقول: "وسبيل الحاذق بهذه الصنعة إذا غالب عليه التصنع أن يترك للطبع مجالا يتسع فيه".¹

5) قضية السرقات الأدبية :

- عبد الكريم النهشلي يسمح بأخذ المعاني إذ حولها الأخذ عن موضوعها الذي وردت فيه إلى موضوع آخر، ومadam الأمر كذلك فإنه يغري به ويرى تركه غفلة.²

- الحصري مولع بتقصي معاني الشعراء والرجوع بها إلى أصولها، ولذلك كثيرا ما كان يشير إلى أن هذا المعنى قد سرق أو اختلس من شاعر آخر وهكذا. و موقفه من القضية موقف وسطي، فهو لا يمنع الاستعارة بخواطر الشعراء خاصة إذا أحسن المستعين بها التوسيع فيها والإضافة إليها، لكنه يؤخذ أولئك الذين يغيرون على البيت الشعري ولا يحسنون التصرف فيه أو يشوهوه.³

- ابن رشيق يطرح أمامنا أنواعا جديدة للسرقات ويدرك أصنافها وأجزاءها (الاصطراط، الإغارة، الغصب، المرافدة، الاهتدام، الملاحظة، الالمام، الاختلاس، الموازن، العكس، التلقي... الخ) وانتهى في الأخير إلى ما انتهى إليه سابقيه ذلك أن السرقة لا تكون إلا في البديع المخترع الذي اختص به شاعر بعينه.⁴

- ابن شرف خص القضية بنص موجز ولكنه واضح ومتعدد التفريعات، حيث يقول: "ومن عيوب الشعر السرق وهو كثير الأجناس في شعر الناس فمنها سرقة ألفاظ ومنها سرقة معان وسرقة المعاني أكثر لأنها أخفى من الألفاظ، ومنها سرقة المعنى كله ومنها سرقة البعض منها مسروق باختصار في اللفظ وزيادة في المعنى وهو أحسن السرقات، ومنها مسروق بزيادة ألفاظ وقصور عن المعنى وهو أقبحها. ومنها

¹ ينظر المرجع نفسه، ص 210

² النقد الأدبي في المغرب، عده قلقلة، ص 381

³ ينظر الحركة النقدية على أيام ابن رشيق، بشير خلون، ص 222

⁴ ينظر المرجع السابق، ص 231

سرقة محسنة بلا زيادة ولا نقص، والفضل في ذلك للمسروق منه ولا شيء
للسارق.¹

وفي الأخير يقرر الدكتور محمد مرتابض أن ما تركه هؤلاء النقاد لم يكن مجرد لمحات عابرة أو وقفات قاصرة، ولكن بعضهم حاول أن يؤسس لمنهج نقدٍ يطبعه الوضوح ويسمه التبيين.²

4-2) المطلب الرابع: إمتزاج النقد بالبلاغة

بعد هذا الاستعراض الموجز لأراء نقادنا حول ابرز موضوعات النقد آنذاك، تجدر الإشارة الى ظاهرة امتزاج النقد بالبلاغة في الممارسات النقدية لهؤلاء النقاد. حيث اختلطت البلاغة بالنقד في المغرب العربي مثلما اختلطت به في المشرق، ويفهم من الفصل الذي أورده ابن رشيق لأنستاده النهشلي في باب القدماء والمحدثين أن البلاغة عند النهشلي إنما هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال. وقد أشار الدكتور محمد مرتابض في كتابه النقد المغربي إلى تأثر الحصري القيرواني بالبلاغة والنقد، وهو يعطي مقياس جودة الرثاء والرثاء الجيد عنده هو ما خلط فيه المدح بالتفجع على المرثي، ولا بد من أن يكون بكلم صحيح ولهجه معربة ونظام غير متقاوت. كما كان ابن رشيق من ينادون بالشاعر قادر على القول في كل الفنون، بل انه ليزيده موحد الدرجة لا يكون في النسيب ابرع منه في الهجاء، ولا في الافتخار بالغ منه في الاعتذار، ولا في موضع أحسن منه في آخر.³

وممّا هو قمين بالتسجيل أن هؤلاء النقاد اعتمدوا في هذا التأسيس الذي ارتبته، كثيراً من الآراء التي انطلقت من البلاغة والنقد معاً، أو إن شئنا، كانت البلاغة ركيزة من الركائز في ظهور مفاهيمهم النقدية.

¹ المرجع نفسه، ص 232

² النقد الأدبي القديم في المغرب العربي، محمد مرتابض، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2000، ص 145

³ نظر النقد الأدبي في المغرب ،عبدة قليلة ،ص 387

ليس من غرائب الأشياء ولا من الشذوذ في الرأي أن نعثر في نقد هؤلاء المغاربة على المزج بين البلاغة والنقد، لأن المناهج النقدية لم تكن قد تبلورت بعد، ولم تكن المصطلحات التي عرفتها العصور المتأخرة بالجة المعالم، بادية للعيان، ويكون من الغلوّ بل من الظلّم أن نلتمس مناهج نقدية خالصة في لمحات هؤلاء، لأنّ الذين عنوا بقضايا النقد الأدبي إنما تناولوها ممتزجة مع أصولها وأسسها، وتحدثوا عنها حديث المتعمق في مكونات بنائهما وطبيعة تركيبها، فقد ترکزت مفاهيمهم النقدية على ما كان متداولاً قبلهم، إذ أنّ الذين سبقوهم عثوا في أحکامهم تلك بطبيعة وأنساق هذا المزج بصورة عامة، بل إن كثيراً منهم بنى منهج حكمه الندي على تأثيره الواضح بالبلاغة، فأجهد نفسه في اختراع قضايا ذوات الصلة الوثيقة بها بدءاً بالباحثين في إعجاز القرآن، ومروراً على الشارحين وال محللين للحديث النبوّي، وانتهاء بالدارسين للآثار الشعرية وحدها.¹

2-5) المطلب الخامس: أهم عوامل الازدهار الثقافي

يسن بنا في الاخير أن نختتم هذا المبحث بتلخيص أهم الأسباب الداعمة لهذا النضج الحضاري الذي احتضنته الربوع القيروانية آنذاك، حتى ندعم المادة العلمية التي حاولت أن تحيط بها سطور هذه الورقة. ونأتي على ذكرها آتيا:

- بعض الضغوط السياسية المخالفة لما اشتهر عند أهل القيروان ومشى عليه معتقدهم وإلفهم وعاداتهم، كحمل الفاطميين الناس على مذهب التشيع ومعارضة السنين من أهل الحاضر لذلك. فترتب على ذلك نهضة ثقافية في العقيدة وأصولها وفي الفقه وأصوله كما واكب ذلك نهضة أدبية ما بين شعراء فاطميين مصطنعين وشعراء سنين معارضين، وعلى مثل هذا حمل المعز بن باديس الناس على مذهب مالك بن انس (93-173هـ) مع أن السائد عندهم مذهب أبي حنيفة النعمان (80-150هـ). ونجد من بين الأسباب ميل أمراء العهدين الصنهاجي والفاتمي إلى الأدب وحبهم للثقافة واصطدامهم الأدباء للمنافحة على مذاهبهم الدينية، فما منهم من لم

¹ النقد الأدبي القديم في المغرب العربي ، محمد مرتابض، ص 145

يقرض الشعر وينطق بالخطبة الفصيحة ارتحالاً. وعلى سبيل المثال نذكر من أمراء الفاطميين الأدباء: عبيد الله المهدي (259-322هـ) والقائم بأمر الله (278-334هـ) وتميم بن المعز (337-374هـ). أما الأمراء الصنهاجيون فمع أنه لم يشتهر منهم غير الشاعر تميم ابن المعز الصنهاجي فإنهم في جملتهم متذوقون للأدب ولشته فروع الثقافة، ويدل على ذلك تقريبهم للعلماء وإغراؤهم بالممال وإناء منازلهم والتعویل على آرائهم. فهذا المعز بن باديس يستحسن أراء الأديب أبي بكر عتيق السوسي (ت 422هـ) عقب مجلس علمي وبهدي إليه تسعمائة مجلد من نفائس المصنفات يحملها إليه على رؤوس الحمالين.

يقول حسن حسني عبد الوهاب: "انه لا يوجد بين الأمراء الفاطميين من لم يقرض الشعر، لفرق بين متولي للحكم ومجرد الأمير."¹

- ولقد كان للنشاط الرحلـي (الرحلات) واضح الأثر في تنمية الفعل الثقافي خلال القرن الثالث هجري، الذي أصبحت فيه القـيروان موـفـداً لـطـلـابـ الـعـلـمـ منـ الـأـنـدـلـسـ والمـغـرـبـ والمـوـدـانـ للـدـرـسـ أوـ التـدـرـيـسـ، كـماـ أـنـ الـقـيرـوـانـيـنـ أـنـفـسـهـمـ رـحـلـواـ إـلـىـ الـآـفـاقـ ثـمـ عـادـواـ إـلـىـ الـقـيرـوـانـ لـلـتـدـرـيـسـ وـالـرـوـاـيـةـ وـالـتـأـلـيـفـ.

ومن العوامل الداعمة للحركة النهضوية توفر المكتبات والجوامع والمدارس والحلقات العلمية، ففي القرن الثالث هجري انتشرت المدارس الابتدائية والعالية وفي طليعة المدارس العالية "بيت الحكمة" الذي أسسه الأغالبة ثم قلدهم الناس فوقفوا كتاباً عديدة على الجوامع والمساجد. وقد اطلع حسن حسني عبد الوهاب على بقايا هذه الأحـبـاسـ وـرـأـيـ مـكـتـوـبـاـ عـلـىـ اـغـلـبـهـ اـسـمـ المـوـقـفـ لـهـ حـسـنـ الصـورـ الـآـتـيـةـ:

ما حبس فلان الفلانـيـ عـلـىـ جـمـاعـةـ الـعـلـمـ مـنـ الـمـسـلـمـيـنـ، وـحـرـامـ مـنـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ عـلـىـ
مـنـ باـعـهـ أـوـ رـهـنـهـ.

ثم يقول عبد الوهاب معلقاً: "يلوح لنا أن أهم ما وقف من الكتب على مكتبة الجامع الأعظم وقع زمن المعز أو في دولة الأمراء أبايه، لتتوفر أسباب العلم والثروة في ذلك

¹ نظر الحصري وكتابه زهر الآداب، الشوير، ص 43

العصر". وعن المكتبات الخاصة يذكر لنا محمد بن تميم بن تمام(ت 333هـ) أول مؤرخ إفريقي بلغت كتبه ثلاثة آلاف وخمسمائة مجلد ويتم تجميع هذه المكتبات إما بالنسخ أو بالشراء أو بعطایا الأمراء والأغنياء.¹

¹ نظر المرجع السابق، ص 44

4- المبحث الرابع: صفحات من حياة الحصري

1-4) المطلب الأول: اسمه ونسبه

هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الحصري الأنباري القروي¹، وذكر ابن رشيق انه ابن خالة أبي الحسن الحصري(الملقب بالضرير).

وال Hutchinson كما قال ابن خلكان نسبة إلى عمل الحصر أو بيعها، وقد شكلها بضم الحاء وتسكين الصاد. وقد تعددت الآراء حول حقيقة تلقيبه بال Hutchinson ويُمكن أن نأخذ رأياً تقربياً للمؤرخ حسن حسني عبد الوهاب الذي قال: "الحصر وهي قرية صغيرة كانت حدود القيروان يصنع بها الحصر".²

¹ الحصري وكتابه زهر الأدب، الشوير، ص 65

- وردت ترجمته في : كتاب النورين، الحصري القيرواني، ص 20

- أنموذج الزمان في شعراء القيروان، ابن رشيق القيرواني، ص 45

- تاريخ الأدب العربي لبروكلمان، ترجمة د. رمضان عبد التواب، دار المعارف القاهرة، ط 2 ج 5، ص 105

- النقد الأدبي في المغرب، عبده فقليلة، ص 127

- الوفي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، تج احمد الارناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط 1 2000

1 - موسوعة إعلام المغرب، تنسيق وتحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان ط 1980، ص 327

- وفيات الأعيان، ابن خلكان، تج إحسان عباس، دار صادر، بيروت لبنان ، 1977 م

- معجم الأدباء، ياقوت الحموي الرومي، تج د.إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان ج 1 ط 1 1993 ، ص 158

1 - الذخيرة في محسنات أهل الجزيرة ، علي بن سامي الشنتريني ، تج د.إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت لبنان ط 1 1979 القسم الرابع، مج 2، ص 584

1 - معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002 ، كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ج 1 ط 1 2002 ، ص 57

- الحصري وكتابه زهر الأدب، الشوير، ص 65

- معجم المؤلفين ، عمر رضا كحاله، مطبعة الترقى، دمشق 1957 ، ج 1 ، ص 64

- ترجم المؤلفين التونسيين ، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط 1 ، ج 2 ، ص 149

- عصر القيروان، ابو القاسم محمد كرو و عبد الله شريط، دار المغرب العربي ،تونس ،ط 1 1973 ، ص 65

- محفل تاريخ الأدب التونسي ، ح ح عبد الوهاب، ص 119

² نظر الحصري وكتابه زهر الأدب، الشوير ، ص 66،67

كما أن في موضوع قرابتة بالحصري الضرير اختلاف وتمايز في الآراء، لكننا نميل إلى ترجيح قول ابن رشيق الذي أوردناه في بداية التعريف على اعتبار أنه من معاصريه واحد تلامذته، فقد يكون أكثر إحاطة بأمور أستاذه من الآخرين.¹

وقد أشارت الدكتورة لينة عبد القدس في تحقيقها لكتاب "نور الطرف ونور الظرف"، ضمن القسم الذي تناولت فيه الكتاب بالدراسة إلى أن: تلقيه بالقيروانى نسبة إلى القيروان حيث نشأ المؤلف، أما الأنصارى فلم توضح لنا المصادر التي ذكرت هذا النسب شيئاً عنه ولعل أحد أجداده كان مولى لبعض الأنصار². واستندت في ذلك على رأي الأستاذ الشويعر من خلال دراسته لكتاب زهر الآداب حيث قال: "وهناك شاهد آخر وهو أن الحصري وصف بأنه أنصارى وقد يكون ذلك نسبة إلى الأنصار صلبة أو ولاع".³

3-2) المطلب الثاني: مولده ونشأته

لم تشر المصادر القديمة التي ترجمت للحصري إلى مكان وتاريخ مولده، ولعل ذلك يعود كما أشار الدكتور الشويعر إلى أن الحصري ولد في بيئة عادية ولم يكن من بيت أو علم أو جاه حتى يحتفى بمولده. إلا أن مكانته العلمية فيما بعد لفتت إليه الأنظار فكانت وفاته موضوع اهتمام الباحثين⁴، لكن الدكتور الشويعر وبعد استقصائه لمختلف الآراء بالاعتماد خصوصاً على رأيي ابن رشيق وابن بسام الذين قالا بموت الحصري بعد مجاوزته الأشد. (والأشد عند اللغويين أربعون سنة كما في قوله تعالى {حتى إذا بلغ أشدّه وبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً} فقد حدد سنة تقريبية لميلاده فقال: فالراجح أن ميلاده حاصل طرح مابين الأشد والشيخوخة من تاريخ وفاته، وعندما نجعل عمره عند وفاته في نهاية الأشد وبداية الشيخوخة أي 50- عاما. لأن هذا أقرب

¹ عالج الدكتور الشويعر قضية اختلاف نسبة الحصريين إلى بعضهما بإيراد مختلف الآراء وأشار إلى قضية الخلط بينهما لدى بعض المؤرخين (ينظر الحصري وكتابه زهر الآداب ص 69، 68)

² النورين، الحصري القيروانى، ص 21

³ الحصري وكتابه زهر الآداب، الشويعر، ص 69

⁴ النورين، الحصري القيروانى، ص 21

شيء يتفق مع التعبير اللغوي – فان ولادته تصبح عام 363هـ تقريباً، وهذا هو الأرجح عندي.¹

وتعزو الدكتورة لينة عبد القدس هذا الاختلاف القائم بين الباحثين إلى عدم وجود أي إشارات تاريخية في مؤلفات الحصري تدل على معاصرته لأحداث معينة يمكن الاحتكام إليها في التاريخ الدقيق، وهذا طرح يزكيه الدكتور الشويعر الذي يتأسف لغياب مؤشرات تدل على تفاعل الحصري مع أحداث عصره في جميع الكتب التي اطلع عليها. ومن ثمة يتحفظ الدكتور الشويعر على قول عبد قلقيلة - وهو الوحيد - الذي اعتبر الحصري صحيفة سياسية اصطنعها الصنهاجيون لتكون معبرة عن صوتهم ومؤيده لهم، وذلك لأن الدكتور الشويعر لم يجد أدلة انعكاساً لمجريات العصر عند الحصري. إذ لو كان صحيفة سياسية كما قال الدكتور قلقيلة لما صمت عن أهم أحداث عصره.

أما ما يتعلق بنشأة شاعرنا القيرواني فيصرح الدكتور الشويعر بقلة المادة التاريخية حولها، ونجد من ذلك بعض الومضات القليلة التي سجلتها المراجع أو بعض الاستنتاجات التي توصل إليها الباحثون المحدثون سواء تعلق الأمر باجتهادهم الخاص أو بالاستناد إلى تلك الومضات القليلة.²

ومن أهم ما كتب عن نشأته هو ما جاء في كتاب الأنموذج لابن رشيق القيرواني حيث يقول: "كان أبو إسحاق الحصري قد نشأ على الوراقة والنسخ لجودة خطه، وكان منزله لزيق جامع مدينة القيروان فكان الجامع بيته وخزانته وفيه اجتماع الناس إليه ومعه بنظر في النحو والعروض ولزمه شبان القيروان واحد في تأليف الأخبار

¹ الحصري وكتابه زهر الأداب، الشويعر، ص 71

² يقدم الدكتور الشويعر مجموعة من الاستنتاجات حول نشأة الحصري بالقيروان كما يطرح مجموعة من الانتقادات تتعلق بآراء المؤرخ حسني عبد الوهاب حول زعامة الحصري الأدبية وذلك بعد مقاربات تاريخية تعلل ما ذهب إليه (ينظر المرجع نفسه ص 75، 74، 73، 72)

وصنعة الأشعار مما يقرب في قلوبهم، فرأس عندهم وشرف لديهم ووصلت تأليفاته
صقلية وغيرها وانثالت الصلات عليه.¹

وتتجلى أهمية العبارة في كونها تكشف إلى حد ما عن فترة غامضة من حياة
الحصري، تلك التي سبقت زعامته الأدبية في القิروان وهي فترة نشأته وتلقفه
العلم. وقد صرحت الدكتورة لينة عبد القدس بعد وفاته بورود أسماء الشيوخ الذين تلمنذ
عليهم الحصري في المراجع التي ترجمت له، وقد ورد في الذخيرة عبارة بسيطة
تقول: كان أبو إسحاق الحصري يختلف إلى بعض مشيخة القิروان.

ولانجد في كتبه أيضا إشارات إلى هؤلاء الشيوخ ولا نجد في كل كتاب النورين ذكرا
لمن نقل عنهم سوى سند واحد أورده في أول كتابه مما يلي المقدمة يقول: "حدثني
أبو محمد الحسن بن القاسم."²

وهو ينص على حذف الأسانيد في مقدمة الكتاب يقول: "وأنا احذف أسانيد ما رویته
وأتي بمتون ما رأيته."³

ولعل في قوله (رأيته) إشارة تدل على أن اغلب مصادر الحصري التي نقل عنها
كانت الكتب التي اطلع عليها ورأها، وبخاصة أثناء عمله مع الوراقين إذ لو كان قد
أخذ عن شيخ مشهور معروف لما أغفله وأشار إليه على طريقة المؤلفين في
عصره.⁴ ونشير إلى أن عمله مع الوراقين وملازمته دكاكيينهم والاطلاع على
المؤلفات المتنوعة توجه بتكوين رصيد ثقافي راجح، وساعدته في ذلك أيضا محاذاته
لمسجد القิروان الذي كان منزله ملاصلاً له مما يجعله دائم الحضور في مجالس
العلم وحلقات الدرس يتلقى منها إبان نشأته، ثم يفيد فيها بعد نضجه الذي سمح له
بمجالسة كبار العلماء والنظر في الكتب والمؤلفات. وهذا ما تحيل عليه عبارة تلميذه

¹ أنموذج الزمان في شعراء القิروان، ابن رشيق القيرواني، ص 45

² النورين، الحصري القيرواني، ص 105

³ المرجع نفسه، ص 102

⁴ المرجع نفسه، ص 24

ابن رشيق" وفيه اجتماع الناس إليه ومعه" ولا تخفي علينا مكانة المسجد العلمية والروحية في ذلك الزمان.

3-3) المطلب الثالث: ثقافته

يتوقع الدكتور الشويعر في متن الدراسة التي أجرتها على كتاب زهر الأدب لمؤلفه الحصري القيروانى، أن يكون هذا الأخير عصامي التكوين في اغلب ثقافته التي رصدها عبر القراءة والجمع والتدوين والحفظ.

وإذا اعتبرنا أن جل رواد ثقافته تتمثل في بطون الكتب التي نسخها وجال فيها، فإننا سنحاول التعرض إليها كما يأتي:

- هناك مصادر شفاهية تتمثل في النقل عن مشاهير الأدباء المشارقة، ويبعد ذلك من خلال تصريحات الحصري بقوله: "حدثني، أنسدني"، رغم أنه لا يسمى كتب الذين نقل عنهم. ويمكن أن نتمثل بذلك من خلال آراء الدكتور الشويعر في دراسته لكتاب "زهر الأدب" الذي يعتبر المنطلق الأول لكتاب "النورين"، ومن ثمة فان الدكتور الشويعر يقدم لنا حكما لا نكاد نجد له تعليلاً عنده ولا استطعنا أن نتوصل إلى إيجاده. حيث يرى هذا الدكتور أن الحصري يعطي القراءة والنقل من الكتب حكم المشافهة، فقد صرَّح بـان الصولي (176-243هـ) انشده وهو لم يعاصر الصولي والأمر نفسه مع إسحاق بن إبراهيم الموصلي (155-235هـ) ولم يتعارض معه أيضاً¹

- يميل الحصري إلى عدد من المصنفين المشهورة مؤلفاتهم للأصمعي (122-122هـ) والجاحظ، والزبيير ابن بكار (172-256هـ)، وابن قتيبة، والمبرد (210-286هـ) وابن دريد، وعدد غيرهم من أعلام العرب ولكنه لم يوضح بأنه رجع إلى كتبهم مباشرة لأنه إذا قال : "قال الأصمعي"، احتمل انه رجع إلى كتاب من كتب الأصمعي واحتُمل انه رجع إلى كتاب ينقل عن الأصمعي، كأحد كتب الجاحظ مثلاً أو أخذه بالسماع والرواية.

¹ نظر الحصري وكتابه زهر الأدب، الشويعر، ص 78

ومن المصادر التي صرخ بالنقل عنها نجد :البيان والتبيين للجاحظ،سحر البلاغة للشعالبي،وفقه اللغة للشعالبي،وكتاب للمطوعي ألفه في شعر الميكالي ونشره والشعراء، نقل عن ابن سلام(150-232هـ)نصوصا توجد في كتابه طبقات فحول الشعراء.ونقل كلاما عن قدامة بن جعفر (ت 337هـ)،يوجد في كتابه نقد الشعر. وإلى برأي لابن قتيبة يوجد في كتابه الشعر والشعراء،كما نقل عن أخبار ابن الرومي لعلي بن العباس المسيب،ومن نظم القصيدة للحاتمي،ويرجح انه اخذ عن إعجاز القرآن للرماني وأبي فرج الأصفهاني.¹

وعلى رأي الدكتور الشويعر توجد مصادر لم يصرح الحصري بالأخذ عنها،حيث يمر عرضا بأسماء أبي عبيدة معمرا بن المثنى(110-209هـ)وابن المرزبان(ت نحو 420هـ)،وابن طباطبا(ت 322هـ) والصاحب بن عباد،والحسن بن وهب(ت نحو 250هـ) وسليمان بن وهب (نحو 272هـ)،فينقل عنهم بعض ما يستحسنه.²

4-3) المطلب الرابع: مكانته العلمية

إن المتتبع لحياة الحصري يقف على شخصية متعددة الموهاب جلية التأثير في أدمغة معاصريه،BDLIL أن انبع رجالات الأدب على عهده كانوا من تلامذته.وهذا ما يؤكده ابن رشيق في كتابه الأنموذج عندما قال: "وكان شبان القิروان يجتمعون عنده ويأخذون عنه،ورأس عندهم وشرف لديهم."³

ومن تجليات تأثيره الأدبي وهو انه حب أدب المحدثون المشارقة إلى تلامذته،بينما كان التذوق لدى المغاربة ينحصر في الأدب القديم واحتذائه.ومن هنا كان تأثيره في دخول المقامة إلى افريقيا،والمقامة أدب محدث بلا ريب لم يعرفها الجاهليون ولا المسلمين في صدر حياتهم،ويذكر لنا بعض المحدثين أن الأدب الذي أوفره الحصري

¹ نظر المرجع السابق ص 220،219

² المرجع نفسه،ص 221

³ انموذج الزمان في شعراء القิروان،ابن رشيق القيرواني،ص 45

قد اثر في ابن شرف صاحب رسائل الانتقاد و عبد العزيز الطارقي أحد شعراء الأنموذج¹.

وهذا ما جعل الدكتور الشاذلي بوحبي يرى أن تأثير الحصري كان شاملًا لافريقية وقد تجاوزها وترك جهداً امتد إلى القرن الحادي عشر حيث يقول: "استطاع إبراهيم الحصري وهو لايزال شاباً بواسطة تدريسه المباشر والطابع التعليمي لإنجاته وأصالة نظريته ومنهجه في نمط الأدب، وعلى وجه الخصوص أدب النصوص وفضيله أدب الشبان (المؤلفين الجدد) علاوة على دائرة معارفه الواسعة، استطاع بكل هذا أن يفرض نفسه كمعلم قد تجاوز إشعاعه حدود افريقيا ولم يلبث أن ترك أثراً في الانطلاقة الأدبية في الغرب الإسلامي من القرن الخامس إلى القرن الحادي عشر، وقد شارك نموذج كتاباته ومختاراته في نشر الذوق النثري الفني الدسم. وقد ادخل فن المقامة الذي لم يلبث أن درس بعنایة من أحد تلاميذه وهو ابن شرف".²

أما الدكتور الشويعر فإنه يصنف الحصري ضمن أصحاب الاتجاه الأدبي في نثره واختياراته، لأنه يعتمد على ذوقه الشخصي في ذلك ويقول في هذا الشأن: "والمنتبع لتأثير الحصري وشخصيته العلمية، يلاحظ أن هذا التأثير منه لم يكن تأثيراً فكريّاً ينتمي إلى ذات الحصري وشخصيته العلمية، وإنما هو تأثير رجل إخباري حفظ دون أدب المشارقة. فكان همزة وصل بين المشارقة وبين تلامذته، تعني أن هذا التأثير لا ينتمي إلى فكر الحصري وخياله وعواطفه وابتكاراته، وإنما ينتمي إلى حافظته وجمعه وتدوينه".³

ولعل أحقر الناس بالشهادة لل Hutchinson هو تلميذه ابن رشيق، إذ يشير في نموذجه إلى مكانة الحصري في عصره فيقول: "كان شاعراً نقاداً عالماً بتنزيل الكلام وفضيل النظام، يحب المجانسة والمطابقة ويرغب في الاستعارة ... وكان شبان القيروان

¹ الحصري وكتابه زهر الأدب، الشويعر، ص 79

² المرجع نفسه، ص 81

³ المرجع نفسه، ص 79

يجتمعون عنده ويأخذون عنه¹ و هذا يعني أن ناقدنا اجتمع حوله تلامذة وطلاب ينهلون من معينه ويغترفون من رصيده، وأشهر من أخذوا عنه نجد :

أبو طاهر إسماعيل بن احمد بن زيادة الله التجيبي البرقي، صاحب شرح المختار من شعر بشار. فقد أخذ عن أبي إسحاق وسمع منه واخذ عنه.

ومن تلامذته أيضا ابن رشيق القيراني الذي ترجم له في أنموذجه، واعتبره شاعر خبيرا بعوالم القول وعنه منطبع ما لو أرسله على سجيته لجرى مجرى الماء ورق رقة الهواء². وما يدل على قرب العلاقة بين الأستاذ وتلميذه هي صلة التقدير التي كانت بينهما، حيث يرى الدكتور ياغي أن الحصري يقدر تلميذه ابن رشيق الذي التمس منه الترفق في تأليف كتاب عن طبقات الشعراء الذين عزم الحصري على ترتيبهم حسب أعمارهم، ولما بلغه رأي تلميذه عدل عن ذلك. ويورد ابن رشيق نفسه هذه الحادثة في كتابه الأنموذج حيث يقول : "وله تأليف جيدة في ملح الشعر والخبر، وقد كان أخذ في عمل طبقات للشعراء على رتب الأسنان و كنت اصغر القوم سنا فصنعت :

رفقا أبا إسحاق بالعالم حصلت في أضيق من خاتم
لو كان فضل السبق مندوحة فضل إبليس على ادم
فلما بلغه البيتان امسك عنه واعتذر منه ومات، وقد سد عليه باب الفكرة ولم يصنع شيئا.³.

وهذا ما جعل الدكتور الشويري يعتبر الحصري صاحب الفكرة الأولى لأنموذج ابن رشيق، لأنه كان صاحب البداية عندما أخذ بالتأليف عن الشعراء، وهذا جانب من تأثيره في تلامذته أيضا.

¹ أنموذج الزمان في شعراء القيروان، ابن رشيق، ص 45

² ينظر النورين، الحصري القيراني، ص 26

³ أنموذج الزمان في شعراء القيروان، ابن رشيق، ص 48-49

ومن بين تلامذته كذلك نجد ابن شرف القير واني الذي قال ياقوت الحموي في ترجمته

¹ انه : "اخذ العلوم الأدبية عن أبي إسحاق الحصري."

ومن تأثير الحصري حسب الدكتور الشويعر انه بزهر الآداب أوحى للدكتور زكي مبارك بتأليف النثر الفني في القرن الرابع، كما أن ابن حزم (456-384) في طوق الحمامات تأثر بكتاب الحصري "المصنون في سر الهوى المكون".²

ولاجرم أن نستدل ببعض الشهادات التي قيلت في حق الحصري من قبل النقاد والمؤرخي، ونذكر منهم: ابن سعيد الأندلسي (610-685هـ) الذي اعتبره من علماء الأدب. كما اعتبره الدكتور عبد العزيز البشري صاحب قدم في العلم والأدب، لأن ابن خلكان وياقوت الحموي ترجماه وهم لا يترجمان إلا لمن هذه صفتهم.³

ونختتمها بقول ابن بسام الذي أشاد باتساع افقه وطول باعه ومبلغ قدره الذي ناله بإنفاق عمره في تحصيل العلم النافع، فيقول :

"كان أبو إسحاق هذا صدر الندى ونكتة الخبر الجلي وديوان اللسان العربي، راض صعايه وسلك أوديته وشعابه وجمع أشتاته وأحيا مواته، حتى صار لأهله إماماً وعلى جده وهزله زماماً. وطنطت به الأقطار وشدت إليه الأقتاب والأكور وأنفقت فيما لديه الأموال والأعمار، وهو يقذف البلاد بدرر صدقها الأفكار وسلوك ناظمها الليل والنهر. عارض أبا بحر الجاحظ بكتابه الذي وسمه بزهر الآداب وثمر الألباب، فلعمري ما قصر مداه ولا قصرت خطاه. ولو لا أنه شغل أكثر أجزاءه وأنحائه .. بكلام أهل العصر دون كلام العرب لكان كتاب الأدب لا ينماز عه ذلك، إلا من ضاق عنه الأمد وأعمى بصيرته الحسد."⁴

¹ النورين، الحصري القير واني، ص 26

² ينظر الحصري وكتابه زهر الآداب، الشويعر، ص 81

³ نجد كذلك آراء حول الحصري من قبل الشاذلي بو يحيى والدكتور محمد زغلول سلام والمؤرخ حسن حسني عبد الوهاب (ينظر المرجع نفسه ص 108، 107)

⁴ النورين، الحصري القير واني، ص 29

3-5) المطلب الخامس: وفاته

حتى في تاريخ وفاة الحصري القيرواني لا نجد اتفاقاً بين المؤرخين، فقدر هذا الرجل الامع أن لا تناول حياته حظها من التوثيق الدقيق. وإن كنا نرى وبكل تواضع أن العبرة بما ينجزه الإنسان بين المولد والممات، وذلك ما يستدعي الصرامة في التسجيل والتخليد.

اختلف الباحثون حول وفاة الحصري، وترددوا بين رأيين :

- الرأي الأول: توفي الحصري العام 413هـ، وعلى رأس الآخذين بهذا الرأي تلميذه ابن رشيق الذي صرّح بذلك في كتاب الأنموذج قائلاً: "مات بالمنصورة سنة ثلاثة عشرة واربعين، وقد جاوز الأشد".¹

- الرأي الثاني: كانت وفاة الحصري سنة 453هـ، ومن الآخذين به ابن بسام الذي قال في الذخيرة : "وكانت وفاته فيما بلغني سنة ثلاثة وخمسين واربعين".²

وقد كان هذا التمايز في الآراء سبباً وجيهًا في أقدام الدكتور الشويع إلى تحقيق تاريخ الوفاة، وذلك بمقاربة التواريخ ومناقشتها بالدليل التاريخي والاستنتاج المنطقي، ثم استقر رايه على رأي ابن رشيق وقد علل ذلك بما يلي:

"والصحيح عندي انه توفي سنة 413هـ بموجب المرجحات التالية:

1- إن هذا رأي ابن رشيق وهو من خلطاء الحصر، ورب الدار أدرى بما فيها. كما انه رأي الضبي وكاد أن يكون من معاصريه، وقد نقل هذا الرأي عن الأنموذج مؤرخون كياقوت والصفدي (696-764هـ) وابن خلكان، كانوا يملكون الأنموذج ورجعوا إليه مباشرة. بل إن ياقوت نص على ذلك في "معجم البلدان" في ضبط الكلمة

¹ أنموذج الزمان في شعراء القيروان، ابن رشيق، ص 46

² عرض الدكتور الشويع مختلف أراء المؤرخين والباحثين المتعلقة بوفاة الحصري ثم اجتهد في تحقيقها واستقر في الأخير على رأي ابن رشيق معللاً ذلك بما هو موجود أعلاه (ينظر الحصري وكتابه زهر الآداب، الشويع، ص 94، 95، 96، 97، 98، 99)

(وصفة) إذ قال: "كذا ضبطته من خط حسن بن رشيق في الأنموذج." وفي كلمة
(صدق) قال: "قال الحسن بن رشيق القيرواني، ومن خط يده نقلت."

2- إن كتب التراث والسير مجمعة على أن القيروان قد خربت على أيدي الهايليين
سنة 449هـ، وقد لاحظنا تأثيرها النفسي في أدباء القيروان وشعرائها كابن رشيق
وابن شرف والحريري الضرير. ولكننا لم نجد لها أدنى إشارة عند أبي إسحاق
الحريري في شعره أو في مؤلفاته، مما يقطع يقيناً بان وفاته سابقة لهذه الفاجعة التي
تهاز النفوس وتثير المشاعر.^١"

^١ الحريري وكتابه زهر الآداب الشوير، ص 99، 100

4- المبحث الرابع: إسهامات الحصري في المشهد النقدي

يقال بان قيمة المرء فيما يحسنه ويقاس البشر بما يقدمونه من انجازات، ولا تخفي على باحث أو مهتم بالأدب منزلة الحصري القيرواني الذي أفاد الخزانة الثقافية والأدبية - العربية عموما والمغربية بوجه خاص - بإنتاج أشاد به مختلف النقاد والدارسين - ومن بين هؤلاء نجد الشيخ عبد العزيز البشري (1362هـ) وهو من المعجبين به وقد أفضى في ترجمته وحرص على أن يوفيه حقه فهو يقول عن موهبته وثقافته : "والحصري - كما يعرفه كل متأنب في العربية - رجل واسع العلم عظيم الاطلاع نافذ الذوق بلغ الاختيار، يؤثر في تأليفه إرسال القول ما دعت المناسبة إليه. فيتبع المقاممة الظرفية بالقصيدة البارعة ويلحق النادرة الظرفية بالخطاب القاطع، فيتحول بقارئه من فن إلى فن ويستدرجه من حديث إلى حديث دون أن يتداخله الملل أو يحس بانطواء الزمان بتجديد اللغة وتغيير الفكر على مختلف الصور."¹ - وهو إلى جانب اضطلاعه بالتأليف كناقد، نجده شاعراً يحسن النظم وتطويع الكلم. إذ يؤكد ذلك تلميذه ابن رشيق في أنموذجه حيث قال : "وكان شاعراً نقاداً عالماً بتنزيل الكلام وتقسيمه والنظام."²

وجريدة على منهج الدكتور الشوير في دراسته لكتاب الزهر، ارتأينا تسجيل بعض النقاط المتعلقة بطريقة الحصري في الكتابة النثرية والشعرية، علماً بان هناك من الباحثين من يقر بشاعرية الحصري بل وفيهم من ينسب إليه ديوان شعر.

ويرى الشاذلي بو يحيى أن الحصري شاعر مشهور وأديب رفيع ثم قال : "رغم أننا لا نملك سوى بضعة أبيات قدرها بخمسين بيتاً في الوصف والغزل، حيث الوصف البسيط المعتدل في تقليد أبي تمام، إلا أنها لا تخفي كليّة قريحة حقيقة وحساسية مرهفة. كما أن شهرته تعتمد على إنتاجه في الأدب المحفوظ له والمتمثل في مؤلفاته".³

¹ الحصري وكتابه زهر الأداب، الشوير، ص 82

² أنموذج الزمان في شعراء القيروان، ابن رشيق، ص 46

³ الحصري وكتابه زهر الأداب، الشوير، ص 130

٤-١) المطلب الأول: خصائص شعره

بالعودة إلى دراسة الشويعر للزهر نجده قد تتبع أبيات الحصري في مختلف المصادر والمراجع التي استطاع الحصول عليها، ورتبها على حروف المعجم ثم اتبعها بوجهة نظره حول بعض الأبيات. حيث رصد الدكتور الشويعر أربعة وعشرون مقطعة شعرية متنوعة القوافي والبحور، ومن الحروف التي اعتمدتها الحصري كروي لقصائده نجد ما يلي:

حرف: الباء، التاء، الدال، الراء، السين، العين، الفاء، القاف، الميم، النون، الهاء، الياء.

وقد استعمل من البحور الشعرية ما يأتي :

بحر: البسيط، الكامل، الوافر، السريع، الطويل.

و بما أننا لم نعثر على ديوان قائم بذاته للحصري، فإننا لا نستطيع الحكم على نفسه الشعري من خلال هذه المقطوعات القصيرة التي أوردها الدكتور الشويعر.^١

ويرى هذا الدكتور أن شعر الحصري بصفة عامة تعبير عن خواطر ذاتية جاشت بها نفسه وفاضت عنها أحاسيسه، يستلهم هذا الشعر في مناسبات معينة وأحياناً كان يجعله مجرد نظم لفكرة عرضها في تاليفه أو فكاهة بروح بها عن الناس. فهو لم يكن من أولئك الذين قصدوا بيوت المدحدين أو طرقوا أبواب الفاطميين والصنهاجيين، أو تكسروا بشعرهم كما فعل تلميذه ابن رشيق أو ابن هانئ أو ابن شرف.

ولاحظ أيضاً أن الحصري يصبح شعره بالصبغة العلمية ويلبسه سمت الفقهاء والمتكلمين، فيأتي شعره على منهجهم في النظم التعليمي كما يقول :

القول محتمل للصدق والكذب وكل سر ضمير عنك في حجب

وأحياناً يكتب شعراً عفويًا بلا اصطناع أو تكلف ك قوله مادحاً أحدهم:

أبا بكر إن أصبحت بعض ملوكهم فان الميالي بعضها ليلة القدر

^١ نظر المرجع نفسه، ص 109، 110، 111، 112، 113، 114، 115، 116، 117، 118.

إلا انه أحيانا يتكلف النظم موظفا أنواع البديع الذي كان من المولعين كقوله :

وإظهاري وإضماري وحسي

وحبك مالك لحظي ولفظي

ومن مميزاته تأثره بابي تمام (188-231هـ) وهذا أمر صرح به ابن رشيق في
أنموذجه حيث قال: "يحب المجانسة والمطابقة ويرغب في الاستعارة تشبيها بابي تمام
في أشعاره وتتبعا لآثاره".¹ وقد أكد الدكتور محمد ابن شريفة تأثر المغاربة بشعر
أبي تمام على الخصوص شعراء القرن الخامس هجري حين بلغ الازدهار الشعري
قمه بالقيروان، ومن ابرز هؤلاء الشعراء المتاثرين بابي تمام إبراهيم الحصري²
ويتمثل الدكتور الشوير لهذا التأثر القائم بين الشاعرين بقول الحصري القيرواني في
هذه الاستعارة التي هي من مشرب أبي تمام:

فيغضي جفون الفكر عنك مهابتي ويحبس عن وهم الضمير عناني

ويحجب أغصاني لحاظ خواطري ويخرس عن ذراك نطق لسانني

ومن ابرز الأغراض عنده نجد الوصف والغزل، بل إن الوصف يحتل مكانة كبيرة
عند الحصري الذي نجده يصف العذاري قائلاً:

ومعذرين كان نبت خدودهم أقلام مسك تستمد خلوقا

قرنوا البنفسج بالشقيق ونظموا فوق الزمرد لولوا وعقيقا

ويقول واصفا الياسمين :

فقد راح رأس الياسمين منورا كأقراط در قمعت بعقـيق

إذا الريح أدنته إلى الأرض خلتـه نسيم جنوب ضمخت بخـلوق

وقال في الغزل :

¹ أنموذج الزمان في شعراء القيروان، ابن رشيق القيرواني، ص 46

² ينظر ابوتمام وابو الطيب في ادب المغاربة، د/ محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان ط 1 1986، ص 71

وفي الأخير يقرّ الدكتور الشوير بـأن م الموضوعات الشعر الحصري تكاد تكون موقوفة على الغزل والوصف مع تأملات فلسفية طفيفة.¹

٤-٢) المطلب الثاني: خصائص نثره

للحصري القิرواني مؤلفات نثرية مختلفة سنأتي على ذكرها فيما ياتي، لكن الجدير بالذكر قبل ذلك هو قلة نثر الحصري في كتبه التي تعتبر مختارات منقوله يغلب

¹ الحصري وكتابه زهر الاداب، الشويعر، ص 129، 124، 126، 127، 128، 130.

¹ أنموذج الزمان في شعراء القيروان، ابن رشيق القيرواني، ص 46

عليها الطابع الأدبي، وإنما نجد كلام الحصري في مقدمة و خاتمة كتابه . وقد ذكر الدكتور الشويعر أن أكثر مؤلفات الحصري استيعاباً لنثره هو كتابه "المصنون في سر الهوى المكنون" ، وقد أورد بعض النماذج منه في دراسته لكتاب الزهر مراعياً في ذلك جملة من المعايير. لأن يكون كل نموذج مغایراً للآخر، إما في صياغته اللفظية وإما لكونه يشتمل على موضوع جديد من الموضوعات التي يتّألف منها أدب الحصري.¹

وسنمثل لخصائص الحصري التئيرية على ضوء كتابه "نور الطرف ونور الظرف" لأنه الكتاب المعنى بالدراسة في هذا البحث.

ومن جملة السمات الحصرية في الكتابة التئيرية نجد² : ولو عه بالمحسنات البديعية كالسجع والمجانسة والمطابقة، ويعود السبب في ذلك إلى تأثره ببديع الزمان الهمذاني(358-398هـ). وسنرى بان اثر الصنعة واضح في نثره، ولا نستغرب ذلك منه فهذه سمة بارزة لدى كتاب القرن الرابع هجري. ومن أمثلة سجعه وجناسه قوله في مقدمة كتاب النورين : "وصل الله بسيدي الجليل، جناح الصنع الجميل، وواصل لديه السول وأوصل إليه المأمول، وعمر بحبه ربوع انسى، وأمطر بقربه ربيع نفسي".³

وبالإضافة إلى تأثره ببديع الزمان في صنعة البديع، فقد تابع أبا تمام في الإغراء في الاستعارة وتجسيد المعنويات. ونجد من ذلك قول الحصري في خاتمة كتابه النورين: "فكان كتابي باكورة حلت، غير أنها قلت. وفي هذا الكتاب أكثر المعونة بأيسر المؤونة، على تنبيه نائم الخواطر وتحريك ساكن السرائر، لمن يجول في ميدان المخاطبة والمكاتبة ويتأخذ بعنان المذاكرة والمحاورة".⁴

¹ راجع الحصري وكتابه زهر الآداب ص 133، 134، 135، 136، 137، 138، 139، 140، 141، 142، 143

² بنظر المرجع نفسه، ص 144، 145، 147، 148، 149، 150

³ النورين، الحصري القبروني، ص 95

⁴ المرجع السابق، ص 390

فهذه العبارات من الاستعارات، تجسد المعانيات تجسداً لم يألفه العرب القدماء بهذه الكثرة والإسراف.

والحصري يُضمن نثره في كثير من الأحيان شعراً من نظمه أو يقتبسه من غيره، وإنما يدمجه استشهاداً دون أن يشير إلى أن الذي سيأتي بعد النثر شعر. ويبدو أنه متأثراً في هذا بطريق بديع الزمان الهمذاني الذي نحى هذا النحو في مقاماته ورسائله¹. ولنا في هذه القطعة التي جاءت في مقدمة الكتاب شاهد ودليل: "فقلت لما رأيت ما يكاد يبكي الحبر من نوره، ويعقب المسك من كافوره :

نقشت بحالك الأنفاس نورا جلا عيوننا نورا وزهرا

فديج من بسيط الفكر روضا أنيقاً مشرقاً الجنبات نضرا

لو استسقى الغليل به لأروي أو استشفي العليل به لأبرا

هفا عطر الجنوب له نسيم أقول إذا اناسم منه نشرا

نثرت لنا على الكافور مسكاً ولم تنشر على القرطاس حبرا".²

ومن جملة الخصائص التي نجدها عند الحصري، هو إجماله القول في عبارة موجزة ثم تفصيله في عبارات متواالية. ومن أمثلة الإجمال والتفصيل بعد الإجمال قوله في المقدمة : "فلازلت راتعاً في زهرة رياضك شارعاً في غمرة حياضك، فإنها رياض لا تغض جفون غضارتها، ولا تغيب عيون نضارتها. وحياض تصدر القلوب الصادية عن مواردها الصافية، قد رويت غلالها وشفيت عللها إذا جر عها الفراق من مر مذاقه وسقاها الدهاق من زعاقه".³

وقد نجد أحياناً بعض الومضات الفلسفية أو قل المسلمات البدائية التي يتوقع الدكتور الشوير أنها تكونت لديه من ثقافته الدينية والأدبية، لأن بعض المؤلفين في النقد

¹ المرجع نفسه، ص 99

² الأبيات للمؤلف نفسه وقد وردت منسوبة إليه في: شرح مقامات الحريري ،أحمد الشريشي- إشراف محمد عبد المنعم خفاجي، مطبعة عبد الحميد حتى، مصر 1952 ، 196.197/4

³ النورين، الحصري القيرولي، ص 98

الأدبي والبلاغة العربية وعلم الأصول في اللغة والفقه يصدرون لكتبهم بمثل هذه المسلمات الفلسفية ولا باس بمثال عن ذلك من أقوال الحصري: "وعلم المعلوم بالنفس اصدق من علمه بالحس، وقد ترى الشيء الكبير الجرم العظيم الجسم كبيرا إذا قرب منه صغيرا إذا بعد عنك. والعقل يكشف لك منه التحقيق، ويريك فيه التصديق".¹

ترى السيدة أبو صالح من خلال خوضها تجربة التحقيق في كتاب النورين أن أسلوب الحصري يسير على نهج كتاب المشرق من الاهتمام بالأسلوب اهتماما يفوق الاهتمام بالمعنى ولعل منهج الكتاب القائم على نقل الأخبار بأساليب رواتها أو الاكتفاء بمجرد اختصارها لا يدع لنا مجالا للحكم على أسلوب الحصري ومميزاته الفنية بصورة واضحة مستوفاة²

3-4) المطلب الثالث: مؤلفاته

يمكن تصنيف كتب مؤلفات الحصري ضمن "كتب الأدب الجامعة"³ التي تجمع بين طياتها ثقافات متعددة وأخبارا جما وأشعارا غزيرة.

وهي الكتب التي وضعها لانتقاء عيون الشعر أولا، ثم دخلتها صناعة التبويب بعد ذلك. وقد أطربوا في صعوبة الاختيار المرضي الذي يؤتى الأذواق على رغائبها، ويتبع النقوس بمطالبهما، حتى قالوا: دل على عاقل اختياره.⁴

وقد ارتبط ظهور هذا النوع من الكتب مع بدايات القرن الثالث هجري، وكان الجاحظ اسبق المؤلفين إلى هذا النوع من المصنفات في كتابيه "الحيوان" و"البيان والتبيين". ثم جاء كتاب "الكامل" للمبرد (ت 285هـ) وكتاب "عيون الأخبار" لابن قتيبة (ت 276هـ). ومن المؤلفات الصادرة خلال القرن الرابع نجد كتاب "العقد الفريد" لابن عبد ربه الأندلسي وكتاب "اللامالي" للفالي، ولاريب أن كتاب "الأغاني" للأصفهاني من أشهر كتب الأدب في القرن الرابع هجري واحفلها بالمعارف، ولكن منهاجه

¹ الحصري وكتابه زهر الأدب، الشوير، ص 145

² النورين، الحصري القيرواني، ص 85

³ نظر المرجع نفسه، ص 33، 34

⁴ تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعى، مكتبة الإيمان، مصر، ط 1، 1997، 2/308

يختلف عن منهاج مؤلفي الكتب السابقة، وهو يقارب في تنسيقه من كتب الترجم و قد جاءت كتب الحصري سائرة على هذا المنهج الأدبي الجامع الذي يأخذ من كل فن بطرف، وهذا ما يجعلنا نميل إلى تزكية ما قرره الدكتور الشويعر بان الحصري من طراز الأدباء الإخباريين الذين يصلحون للمنادمة والسمر لحفظهم الأجناس الأدبية المألوفة في عصرهم.¹ ومن مؤلفاته :

- كتاب: زهر الأدب و ثمر الألباب² :

و هو من أشهر كتبه وأضخمها و يعد من أمهات كتب الأدب، يشير إلى ذلك الصفدي حيث يقول: "و هو مشهور من أمهات كتب الأدب صنفه بالقيروان".

و قد صرخ الدكتور عبده قليلة بان المؤرخ حسن حسني عبد الوهاب قد ذكر أن الحصري نفسه قد اختصر كتابه زهر الأدب، تحت عنوان "نور الطرف و نور الطرف" و يسمى أيضا النورين.

و كان السبب الذي دعا الحصري إلى تأليف كتابه و ندبه إلى تصنيفه ما رأاه من رغبة أبي الفضل العباس بن سليمان في الأدب، و إنفاق عمره في الطلب و ماله في الكتب حتى أن اجتهاده في ذلك حمله على الارتحال إلى المشرق بسببها والإغماض في طلبها باذلا في ذلك ماله و مستعدبا تعبه، إلى أن أورد من كلام بلغاء عصره و فصحاء دهره طرائف طريفة و غرائب غريبة.

و قد سأله أبو الفضل هذا ان يجمع له من مختارها كتابا يكتفي به عن جملتها، يضيف إلى ذلك من كلام المتقدمين ما قاربه و ما شابهه و ماثله³.

يقول الحصري في ذلك: "فسارعت إلى مراده وأعنته على اجتهاده، و الفت هذا الكتاب ليستغني به عن جميع كتب الأدب. إذ كان موشحا من بديع البديع ولائي الميكالي

¹ الحصري وكتابه زهر الأدب، الشويعر، ص 105

² ينظر النورين، الحصري القيرياني، ص 35

³ النقد الأدبي ، عبدة قليقة، ص 133

وشهى الخوارزمي وغرائب الصاحب ونفيس قابوس وشذور أبي منصور بكلام
يمتزج بأجزاء النفس لطافة، وبالهواء رقة وبالماء عذوبة".¹

وهذا تصريح منه على أهم الرواية التي شكلت مادة كتابه الذي أشار إليه ابن بسام في
الذخيرة على أنه عارض في طريقة تأليفه الجاحظ إذ يقول: "عارض أبو بحر الجاحظ
بكتابه الذي وسمه بزهر الأدب وثمر الألباب، فلعمري ما قصر مده ولا قصرت
خطاه. ولو لا أنه شغل أكثر أجزاءه وأنحائه بكلام أهل العصر دون كلام العرب لكان
كتاب الأدب لا ينافيه ذلك إلا من ضاق عنه الأمد، وأعمى بصيرته الحسد".²

وفي الكتاب كثير من النصوص النقدية التي قيلت في قضايا النقد المختلفة، لكنه لم
يسقها في مجال البحث والدراسة إبداء الرأي. أي لم يتقويها على كلام له يقوله، ولو انه
فعل لا تعتبرنا ممثلة لرأيه ولقلنا انه عبر بها عن فكرة.³

ومن ثمة نجد أن الدكتور بشير خلون يعتبر كتاب زهر الأدب واحد من الكتب
الأدبية العامة وليس من الكتب النقدية، وبذلك يرى أن حظ الحصري من النقد قليلاً
ولكنه مع ذلك يعتبر من بين النقاد الذين ظهروا في المغرب في هذه الفترة
الظاهرة⁴. وقد صرخ الدكتور عبده قليقية بان المؤرخ حسن حسني عبد الوهاب قد
ذكر أن الحصري نفسه قد اختصر كتابه زهر الأدب تحت عنوان "نور الطرف
ونور الظرف" ويسمى أيضاً "النورين"،⁵ ولزهر الأدب مختصر اسمه "اقتطف
الزهر واجتباء الثمر" تأليف الإمام أبي الحسن علي بن محمد بن بري. وفي دار
الكتب المصرية نسخة من هذا المختصر في مجلد بقلم مغربي جميل، مكتوبة عن
نسخة بخط المختصر رقمها: 14.94 أدب.

¹ زهر الأدب وثمر الألباب، الحصري القبروني، ضبط وشرح أ.د. يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت
لبنان، طبعة 1، 1997، 1 / 110

² الذخيرة في محسن أهل الجزيرة، علي بن بسام الشنتريني، القسم الرابع مج 2، تج، إحسان عباس، دار الثقافة،
بيروت لبنان ، ط 1، 1979 ، 2 / 584

³ النقد الأدبي، عبده قليقية، ص 134

⁴ نظر الحرفة النقدية على أيام ابن رشيق، بشير خلون، ص 87

⁵ نظر النقد الأدبي، عبده قليقية، ص 129

وأشار الدكتور قليقة إلى أن كتاب زهر الأدب طبع مرة بتحقيق على الباجوبي،
ومرة بتحقيق زكي مبارك.

- كتاب: نور الطرف ونور الظرف :

وهو موضوع دراستنا هذه، وسنعرض إلى التعريف به في المبحث الأول من الفصل الثاني.

- كتاب : المصنون في سر الهوى المكنون :

أول من ذكره ابن رشيق، ووصفه ابن خلkan بأنه مجلد واحد فيه ملح وآداب.

وهو كتاب يبحث في عاطفة الحب بصفة عامة، أجزءه الحصري في قالب حواري أجراه على لسان عاشقين، ويستشهد فيه بالكثير من الأشعار والأخبار. والكتاب كما أشار إليه الشاذلي بوحي عبارة عن حوار بين أليفين نشأ في وفاء وصفاء، انتهى المؤلف شخصيتهمما ولم يكن هذا الحوار خياليا إلا في انتقال الشخصيتين فقط. لأنه حديث تقريري عن واقع الحب ومسائله، وليس الكتاب حوار من أوله إلى آخره وإنما يكون الحوار تمهدًا لما سيسوقه من أخبار العشاق وأشعارهم.

وعلى ذلك يعد هذا الكتاب - حسب السيدة لينة عبد القدوس - أقرب إلى التخصص في موضوع واحد، مخالفًا بذلك زهر الأدب والنورين. وقد طبع الكتاب بتحقيق محمد عارف حسين.¹

وأشار الدكتور الشويعر إلى مسألة تأثر ابن حزم في كتاب " طوق الحمامه" بكتاب المصنون للحصري حيث اشتراك الكتابان في الحديث عن الهجر وفلسفته، وأفاضا في تفصيل آثاره ومظاهره وذلك ما جعله يرى أن كثرة التشابه بين الكتابين في الأمثلة يحيل إلى تأكيد تأثر ابن حزم بالحصري، وليس الأمر من باب توارد الخواطر واتفاق

¹ نظر الحصري وكتابه زهر الأدب، الشويعر، ص 167

المصادر، خاصة إذا علمنا أن ابن حزم ألف كتابة بعد وفاة الحصري. وللدكتور الشويعر تحقيقاً فيما في مسألة التأثير هذه.¹

- كتاب: جمع الجوادر في الملح والنوادر:

ذكره ياقوت فقال: "وعندي له كتاب الجوادر في الملح والنوادر كتبه عبد القادر البغدادي، ولم يذكره ابن بسام وابن خلkan".²

ونذكر الدكتور الشويعر بأن الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب رجح أن يكون اسم الكتاب هو "جوادر النوادر ولحم الملح" اعتماداً على ورود هذا النص في مقدمة الحصري لهذا الكتاب.³

ونشر الكتاب لأول مرة في القاهرة سنة 1353هـ، بعنوان "ذيل زهر الآداب". بتحقيق محمد أمين الخانجي، ثم بتحقيق محمد الباجوبي باسم "جمع الجوادر في الملح والنوادر". وذكر الباجوبي أنه علل لتسميته بالذيل "أن زهر الآداب لم يرد فيه ملح ونوادر، فلما جاء جمع الجوادر مشتملاً على الملح والنوادر صح أنه ذيل له".⁴

- كتاب: جزء مما قيل في طيبات الأغاني ومطربات القيان :

قال الحصري في كتابه جمع الجوادر : "كنت كتبت جزءاً مما قيل في طيبات الأغاني ومطربات القيان". ولا نعلم لهذا الكتاب خبراً غير هذه الإشارة ، غير أن أَحمد بن عامر قال : "إن الحصري اشتهر بولوْعه بالأغاني، وألف كتاباً جمع فيه الأشعار التي تناسب الغناء. ولعله استقى ذلك من حسن حسني عبد الوهاب الذي قال: "والحصري جملة مصنفات أدبية بدعة النسج، ضمنها كتاب جمع فيه الأشعار التي

¹ ينظر المرجع السابق ص 198، 197.

² النورين، الحصري القيرواني، ص 37

³ ينظر الحصري وكتابه زهر الآداب، الشويعر ، ص 91، 90.

⁴ النورين، الحصري القيرواني، ص 37

تناسب الغناء ضاع مع جملة ما تلف من تأليف الإفريقيين في عصر فرض حضارة القيروان قبل زحفة الهلاليين.¹

- ديوان شعري :

ذكر ابن خلكان أن له ديوان شعر لكنه لم يصل إلينا أما الدكتور قلقيلية فقد ذكر أن حسن حسني عبد الوهاب قد جمع شعره في كتابه "الم منتخب المدرسي من الأدب التونسي".²

وبهذا نأتي على نهاية هذا الفصل الأول الذي حاول أن يتعرف عن المؤلف من حيث النشأة والشخصية العلمية وحاول أيضاً أن يحيط بيئته على مختلف الأصعدة، موضحاً ابرز أعلام المشهد الثقافي آنذاك مشيراً إلى أهم معطيات الحركة الأدبية على أيام العهد الصنهاجي الذي مثل حقبة مشرقة في تاريخ القيروان بالخصوص، والمغرب العربي بشكل عام.

¹ النورين، الحصري القيرواني، ص 37

² المرجع نفسه، ص 38

الفصل الثاني

التعريف بمدونة البحث

- المبحث الأول: إضاءة تعريفية بالكتاب
- المطلب الأول: وصف عملية التحقيق
- المطلب الثاني: مضمون كتاب "النورين"
- المطلب الثالث: فهرس موضوعات المدونة
- المبحث الثاني : المؤشرات المنهجية في كتاب النورين
- المطلب الأول: المنهج المنصوص عنه
- المطلب الثاني: قراءة استنتاجية لمنهج المؤلف
- المبحث الثالث: النثر الفني في المدونة
- المطلب الأول: الأسلوب المتوازن أو الترسلي
- المطلب الثاني: الأسلوب البديعي
- المطلب الثالث: الأسلوب المسجوع
- المبحث الرابع: قراءة سيميائية في عنوان الكتاب

سعينا من خلال هذا الفصل الى تقصي الإجابات المقنعة حول أهم إشكاليات بحثنا هذا بما فيها السؤال المركزي الذي يقول :

1- هل يعكس كتاب النورين الذي لا يقوم على التصنيف والترتيب ملامح منهجية في التأليف؟ والى أي مدى يمكن أن تعرفنا المدونة بالسمات النقدية السائدة في المغرب على أيام الحصري القيروانى؟

وحاولنا أيضاً أن نجيب على الإشكاليات التي جاء فيها :

2- عند أي حد تم استثمار التجربة المشرقة الأدبية في انجاز الكتاب؟؟ وهل يمكن أن نقف من خلال ذلك على مدى تأثير هذه التجربة في الفكر النبوي المغربي من خلال كتاب النورين؟؟

3- هل يعكس الكتاب خصوصية نقدية مغاربية (محلية) ؟ وهل يمكن أن نعتمد عليه كمرجع للثقافة المحلية؟

ولكننا في الوقت نفسه لا ندعى أننا قمنا بتقديم الإجابة التامة عن هذه الأسئلة التي حاول المبحث الأول أن يجيب على السؤالين الآخرين منها بينما قام المبحث الثاني بتتبع الإجابة على الإشكال المركزي

١ - المبحث الأول: إضاعة تعريفية بالكتاب

تعرضنا سلفا إلى منجزات الحصري الأدبية ضمن المبحث المتضمن لـإسهامات الرجل في الفصل السابق من هذا البحث ، واستثنينا من ذلك كتابه نور الطرف ونور الظرف الذي خصصناه بهذا المبحث على اعتبار أنه المدونة المعنية بالنقد والتحليل في هذه الدراسة المتواضعة.

(١) المطلب الأول: وصف عملية التحقيق

نشير في البداية إلى أن الكتاب تم تحقيقه في إطار عمل أكاديمي ، تقدمت به السيدة لينة عبد القدس أبو صالح كرسالة جامعية ، للحصول على درجة الماجستير في اللغة والأدب العربي بجامعة الملك سعود ، بإشراف من الدكتور محمد الرباداوي . وذلك في العام ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م وقد دفعها إلى اختيار الكتاب رغبتها في المساهمة في إحياء التراث العربي القديم وبخاصة التراث المغربي ، لفترة ما حقق منه لاسيما وان كتاب النورين لم ينشر قبل ذلك وهو من أشهر مؤلفات الحصري بعد زهر الأداب . ومما زاد في رغبة التحقيق لديها هو عثورها على مخطوطة نادرة وكاملة لكتاب النورين ، على عكس ما هو الحال بالنسبة للمخطوطتين اللتين عثر عليهما الباحثين في كل من الاسكوريا وجوتا، وفيهما نقص من حيث عدد الأوراق.

كما صرحت السيدة أبو صالح بسبب آخر ساهم في تقديمها إلى عملية التحقيق ، يتمثل في سعيها إلى توضيح الفروق الكائنة بين كتابي الحصري : زهر الأداب والنورين . لأن كثير من الباحثين على رأسهم الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب أشاروا إلى أن الحصري اختصر كتاب النورين من كتابه زهر الأداب ، معتمدين في ذلك على الإشارات السابقة لابن رشيق وياقوت الصدفي . بينما تبين لها من الفهرسة الأولية لمخطوطة النورين أن فيه جزءاً مختصراً من الزهر يشكل ثلث كتاب النورين أو أكثر بقليل ، ولكن هذا الجزء جاء مختلطاً بالكثير من النصوص الإخبارية الجديدة التي لم ترد في الكتاب الأول ، وتتشكل هذا المادة الجديدة ثلثي الكتاب .

اعتمدت المحققة في تحقيق كتاب النورين على ثلاثة مخطوطات، حصلت على صوراتها بعد عناء من مكتبة الاوسكريال ومكتبة جوتا ومكتبة السليمانية باستانبول.

وقدمت بوصف المخطوطات فيما يتعلق بعدد الأوراق وترتيبها ونقصها ومسطرة كل مخطوطة ومتوسط الأسطر في الصفحة الواحدة ونوع الخط الذي كتب به ، وذكرت رقم مخطوطة الاسكوريا ورقم مخطوطة جوتا ولم تذكر رقم مخطوطة السليمانية التي اعتمدتتها كأصل لوضوحاها واكتمالها . واكتملت بوصفها ونشرت لوحات مصورة منها يبدو من خلالها أن رقمها (2945)، ولم تنشر كما هي العادة صورا للمخطوطتين الآخريتين . وقد أشارت إلى الترميز الذي اعتمدتة في تصنيف المخطوطات الثلاث ، كما قدمت بالتهميشه لبعض الاختلافات الحاصلة بين المخطوطة الرئيسية والمخطوطتين الآخريتين في بعض الأبيات الشعرية أو الكلمات النثرية . كما قدمت بنسبة الأبيات إلى أصحابها، وشرحـت منها ما يتطلب الشرح.

وقد جاء الكتاب مطبوعا في 455 صفحة، مقسما إلى قسمين حسبما اقتضته طبيعة البحث. حيث شغل القسم الأول الذي تضمن دراسة الكتاب 91 صفحة، وشغـل تحقيق الكتاب الصفحات من " 39 إلى 395 ". وشغلـت الفهارس وهي ثمانية (الآيات،الأحاديث،الأمثال،الأشعار،الأماكن،الأعلام،المصادر والمراجع) الصفحات من "455 إلى 396".

وقد بلغ عدد المراجع والمصادر التي اعتمدتـها السيدة أبو صالح مائة وخمسون مصدرا ومرجعا، بالإضافة إلى دورية واحدة مرتبة ترتيبا هجائيا حسب اسم الكتاب ، وتنوعـت هذه الكتب بين المصادر التراثية والدواوين الشعرية والدراسات الحديثة .

القسم الأول من الدراسة يتـشكل من أربعة مباحث ، تتناول المبحث الأول المناحي السياسية والاجتماعية والثقافية التي واكبـت عصر المؤلف ، رغم أن المحققـة لم تقـف في كتاب النورين ولا في أي مصدر آخر على ما يشير إلى تفاعلـ الحصري مع أحداث عصره السياسية.

أما المبحث الثاني فقد جعلته محطة تعريفية بالمؤلف ،تناولت فيه اسمه ونسبه ومولده ونشأته وشيوخه وتلامذته وثقافته ومكانته الأدبية والعلمية و صدى آرائه النقدية لدى من تلذموا على يديه. كما أشارت إلى عقيدته ومذهبة انطلاقا مما ورد في كتاب النورين الذي تنتزه عن أخبار المجنون والشعر الفاحش مما لم تسلم منه كثير من أمهات الكتب القديمة ،وقد أوردت المحققة نصا مهما يتعلق بنشأة الحصري لم يسبق وان أفاد منه الباحثون. وهو يكشف عن فترة غامضة في حياة الحصري ، وهي فترة نشأته وتلقيه هذه الثقافة الواسعة التي ازدانت بها كتبه⁽¹⁾، ثم ختمت هذا المبحث بالحديث عن تاريخ وفاته مشيرة إلى أرجح الآراء.

ابرزت في المبحث الثالث آثار الحصري ومؤلفاته ،نحو كتاب زهر الآداب وكتاب جمع الجواهر وكتاب المصون وهي الكتب التي أصبحت مصدرا رئيسيا لأدب المشارقة بالنسبة للمغاربة والأندلسيين.⁽²⁾

في المبحث الرابع والأخير في القسم الأول من الدراسة قامت السيدة أبو صالح بدراسة مفصلة لكتاب النورين ، وهذا ما تؤكده المحققة في مقدمة التحقيق حيث تقول:" وقد قمت فيه بإثبات نسبة الكتاب إلى الحصري القيرواني ، ووصف مخطوطاته وأهمها المخطوطة النادرة الكاملة لكتاب والتي اعتمدتتها أصلا . ثم عنيت بدراسة مصادر الكتاب المشرقية والمغربية ¹ كما تناولت منهج الحصري في جمع الأشعار والأخبار في كتابه ، ثم بينت أهم الآراء النقدية التي بثها منتشرة في تصاعيف هذا الكتاب. والتي تعكس شيئاً عن الاتجاه النقيدي السائد في المغرب آنذاك .. ثم تناولت في هذه الدراسة أسلوب الحصري القيرواني واتجاهه البديعي المتأثر بالمشارقة."²

⁽¹⁾ عد إلى المبحث الثالث من هذا البحث، ص 32

⁽²⁾ النورين، الحصري القيرواني، ص 89. لم تقدم المحققة وصفا لكتاب طيبات الأغانى ومطربات القيان عدا الإشارة إلى كونه كتابا مفقودا ذكره الحصري في كتابه جمع الجواهر، وكذلك الشان بالنسبة لديوان الحصري الذي صرحت بعدم وصولها إليه.

¹ تصرح المحققة بأسماء بعض المصادر وهي أمهات كتب الأدب والمخترارات الأدبية والترجم ودواوين الشعراء. ينظر المرجع نفسه، ص 7

² النورين، الحصري القيرواني، ص 7

كما أوضحت المحققة أن كتاب النورين ليس مجرد اختصار لزهر الأداب ، وهو ما اتفق عليه سائر الباحثون القدماء والمحدثون. حيث تبين لها بعد تحقيق الكتاب ومقابلة نصوصه الشعرية والثرية بما ورد في الزهر أن فيه جزءاً مختصراً يشكل نحو ثلث الكتاب. ولكن هذه المادة المختصرة جاءت مختلطة بمادة مشرقية جديدة من أشعار ورسائل وأخبار لم ترد في الزهر ، وتوصلت السيدة أبو صالح إلى نتيجة مفادها أن طبيعة الكتاب القائمة على الجمع والانتقاء لا تسمح بالحكم على فكر الحصري أو الحياة العقلية في عصره وان كان في مجلمه يصور مدى الاتصال الوثيق بين الفكر المشرقي والمغربي.¹

وختمت المحققة هذا القسم بتبيين منزلة كتاب النورين بين كتب المؤلف والكتب المغربية والتراثية المماثلة، كون الكتاب أثراً أدبياً مغربياً لم ينشر من قبل . ولعله يسهم مع كتب الحصري الأخرى بإعطائنا صورة مشرقة عن ازدهار حركة التأليف في المغرب، وان كانت مادته المشرقة الغالبة فيه لا تساعدننا على تجلية الأدب المغربي القديم الذي لم ينل حظه من الاهتمام.²

أما القسم الثاني من الرسالة فهو الجزء الذي احتضن نص كتاب نور الطرف ونور الظرف، محققاً موثقاً مطبوعطاً بالشكل ملحقاً بالفهارس الفنية التي تخدم الكتاب وتيسّر سبل الإفادة منه.

١ (٢) المطلب الثاني: مضمون كتاب "النورين"

إن أوثق ما يمكن قوله حول تأليف كتاب نور الطرف ونور الظرف أن الحصري قام بإنجازه بعد تأليفه لكتاب زهر الأداب ، ذلك أن المؤلف نفسه يصرح في مقدمة كتاب النورين بان هذا الاخير م ختصر من كتاب الزهر: "وقلت اجعله كالمختصر من

¹ ينظر المرجع نفسه، ص 89

² المرجع نفسه، ص 91

الكتاب الموسوم بـ زهر الآداب وثمر الألباب ، الذي ضمنته كل لطيفة ونظمته بكل طريقة.¹

أ - اسم الكتاب:

وإذا عرفنا انه ألف زهر الآداب سنة 405هـ كما نص على ذلك الحصري نفسه ، فإننا نستطيع أن نجزم بان النورين قد أله بعد هذا التاريخ . أي بين سنة 405هـ و413هـ وهي سنة وفاة الحصري على الغالب.

وكان أول من ذكر كتاب النورين ابن رشيق إذ يقول: "واختصره - أي زهر الآداب- في جزء لطيف سماه نور الطرف ونور الظرف."

ثم أشار إليه ابن بسام وسماه كتاب النور والنور وقال عنه : " ثم اخذ بعد ذلك في إنشاء التواليف الرائقة والتصانيف الفائقة كتاب النور والنور ."

وأما ياقوت الحموي فقال عنه : "والذي اعرفه أنا من تصانيفه كتاب زهر الآداب ، وكتاب النورين اختصره منه . وهو ما يتضمنان أخبارا وأشعارا حسانا". وقد نقل ياقوت عن النورين في أكثر من موضع مما يدل على اطلاعه عليه بنفسه .

كما أشار الصفدي إلى هذا الكتاب وسماه كتسمية ابن رشيق(نور الطرف ونور الظرف)، وقال: "انه جزء لطيف مختصر من الزهر".²

وقد ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون باسم نور الطرف ونور الظرف، وقال انه في جزء واحد . وأما بروكلمان فقد أشار إلى انه مختارات شعرية قصيرة .³ وقد صرخ الدكتور عده قليقلة بان المؤرخ حسن حسني عبد الوهاب قد ذكر أن الحصري نفسه قد اختصر كتابه زهر الآداب تحت عنوان "نور الطرف ونور الظرف".⁴

¹ المرجع السابق، ص 101

² المرجع نفسه، ص 39

³ النورين، الحصري القبرواني، ص 39

⁴ نظر النقد الأدبي ، عده قليقلة، ص 129

ونشير الى أن الحصري نفسه يصرح باسم الكتاب في مقدمة النورين عندما يقول : "وفيما القى إليك في هذا الكتاب الذي هو نور الطرف ونور الظرف ،المختار الكبير مما ليس في الكتاب الكبير."¹

وستقف عند مسألة الاختصار هذه عندما نأتي للمقارنة بين كتاب الزهر وكتاب النورين،لوضوح الفوارق الموجودة بين الكتابين.

ب- سبب التأليف :

ويبدو أن الحصري قد ألف الكتاب بطلب من أحد كبراء عصره ،ويظهر ذلك من خلال الثناء الذي أولا به المؤلف في مقدمة الكتاب وخاتمه دالا على مكانته المرموقة ومن ذلك قوله: "أمرتَ فيه - أعلى الله أمرك وأسنى قدرك، قلبا لا يتقلب إلا في طاعتك وصباً لا يتصرف إلا في مرضاتك ،أن يمد يد الاختيار والاستجادة لما يقع منك بحسب الإشارة والإرادة ،من تصنيف كتاب لطيف .ينظم نظم العقود ويرقم رقم العقود".²

ثم يضيف قائلا: " فأجبتاك الى ما إليه أشرت ، على ما أحبيت وآثرت من غرائب العجائب".³

ويشير الحصري الى انه صنف الكتاب بطريقة لا تخضع للترتيب أو التبويب و سبب ذلك موضح في قوله : "فنشرت ما سطرت على غير تبويب ،وجمعت ما صفت على غير ترتيب،وذلك اقرب لنشاطك وأوجب لانبساطك".⁴

ج- مصادر الكتاب:

ونقسمها الى نوعين،مصادر مشرقية وأخرى مغربية ونذكرها آتيًا :

- أولاً : المصادر المشرقية

¹ النورين،الحصري القيرياني،ص 100

² المرجع نفسه،ص 100،199

³ المرجع نفسه،ص 102

⁴ النورين،الحصري القيرياني ، ص 106

المصادر التي رجع إليها الحصري في تأليف النورين لا شك أنها المصادر ذاتها التي اعتمدتها في كتاب الزهر، مadam كتاب النورين مختصر من كتاب زهر الأدب الذي تشكل مادته الأدبية من أشعار وأخبار أكثر من ثلث كتاب النورين ،بالنظر إلى اتفاق الكتابين في المنهج و المادة المرصودة وهذا ما يؤكده الحصري نفسه قائلا: " وقلت أجعله كالمختصر من الكتاب الموسوم بزهر الأدب وثمر الألباب ... فيكون المطلع

¹ على أغراضه ومقاصده ،والمتصفح لمصادره وموارده كالعارف بما في ذاك

²،والواقف على ما هناك.²

وإذا كان كتاب الزهر قد ألفه – كما صرح الحصري – ليستعني به الأمير أبو الفضل العباس بن سليمان عنسائر كتب الأدب ،فهذا يعني انه توسع في تحصيل مادة هذا الكتاب الذي سيكون مغنيا لصاحبه عنسائر الكتب ،لاسيما ونحن نعلم بان الحصري ذا ثقافة واسعة وغزيرة استقاها في الغالب من قراءاته الكثيرة وإطلاعه على أمهات الكتب، وب خاصة المشرقية حين عمل مع الوراقين على نسخها.³

ومن المصادر التي استفاد منها الحصري في كتابه زهر الأدب نجدها موضحة في في مقدمة كتاب الزهر إذ يقول " إذا كان موشا - أي كتاب الزهر - من بدائع البديع ولآلئ الميكالي وشهى الخوارزمي ،وغرائب الصاحب ونفيس قابوس وشذور أبي منصور."⁴.

و هذه المصادر- جلها مشرقية - هي بعضها التي استفاد من موادها في كتاب النورين في هيئة أشعار ورسائل وأقوال مأثورة ،ونذكر على سبيل الاستشهاد تصريحه بالنقل عن الشاعري إذ يقول: " وأبو منصور قريع دهره وفريد عصره ،وله مصنفات كتب في

¹ كلمة(ذاك) تعود على كتاب زهر الأدب وثمر الألباب

² النورين،الحصري القيرواني، ص 101

³ المرجع نفسه،ص 49

⁴ زهر الأدب وثمر الألباب،الحصري القيرواني، 1/07

العلم والأدب تشهد له بأعلى الرتب، وكل ما احكيه من ألفاظ أهل العصر غير منسوب إلى قائله فمستخرج من تأليفه مأخذ من تصنيفه.¹

وهناك مصادر مشرقية أخرى استقى منها الحصري مادة الكتاب، حيث نجده ينقل عن عمر بن علي المطوعي خبرا طويلا له مع الأمير أبي الفضل الميكالي²، وينقل عنه أخبارا وأشعارا أخرى للأمير الميكالي. كما ينقل عن أسماء لامعة لمؤلفين معروفين كالأصمسي والجاحظ والمبرد والأصفهاني وابن دريد وأبي بكر الانباري، وابن جني وغيرهم من أعلام اللغة والأدب. ونجده يأخذ عن بعض الشعراء كابن الرومي وأبي فراس الحمداني وابن المعتر والشاعر أبو الفتوح محمود بن الحسن المعروف باسم كشاجم، والشاعر الحسن بن علي بن وكيع وأبو دلف العجي وابن بسام والصاحب بن عباد وأبو نواس والصولي وأبو تمام وأخرون.

- ثانياً: المصادر المغاربية :

وأما المادة المغاربية من أشعار وأخبار فهي قليلة جداً، وهذا مستغرب من مؤلف جليل كالحصري، عاش عصر ازدهار القيروان وخاصة وافريقياً بعامة. إلا أن هدفه على ما يبدو لم يكن تدوين نماذج من الأدب المغربي، وإنما نقل المادة المشرقية للمغاربة للإفادة منها، كما فعل ابن عبد ربه في العقد الفريد من قبله.³

وإذا ما حاولنا النظر إلى هذه المادة المغاربية القليلة في كتاب النورين فإننا نجده أورد خمس نصوص شعرية فقط، اثنين منها للحسن بن هانئ الأندلسي وآخرين لعبد الكريم النهشلي ونص واحد لعلي بن محمد الآيادي التونسي. أما النصوص النثرية التي تصف أخبار القيروان أو الأندلس فلم يأتي منها بأي شيء، وقد بلغ عدد أبيات النصوص

¹ تؤكد المحققة استفادة الحصري من مؤلفات الثعالبي بما فيها كتابه يتيمة الدهر الذي أفاد منه كثيراً، ثم كتاب سحر البلاغة وسر البراعة وكتاب من غاب عنه المطرب وكتاب التمثيل والمحاضرة. وتتوقع السيدة لينة اطلاع الحصري على كتب الثعالبي الأخرى كالأيجاز والإعجاز وثمار القلوب ولطائف اللطف وغيرها. ينظر

النورين، الحصري القيرواني، ص 51

² النص موجود في كتاب درج الغرر ودرج الدرر، عمر بن علي المطوعي، تتح جليل العطية، عالم الكتب، بيروت لبنان، ط 1، 1986، ص 122

³ النورين، الحصري القيرواني، ص 57

الشعرية المغربية التي احتواها الكتاب ثلاثة وأربعون بيتا¹. حيث وصل مجموع أبيات ابن هانئ الى سبعة أبيات جاءت خمسة منها في النص الأول الذي تناول وصف نوارة رمان قطعت ولم تنتهي، ثم بيتين آخرين في مدح جعفر بن علي . وقد بلغ مجموع نصي عبد الكريم النهشلي أربعة وعشرون بيتا ، جاء النص الأول منها في ثلاثة عشرة بيتا تصف مرور النهشلي بين رفاقه، أما أبيات النص الثاني الإحدى عشر فقدمت أوصافاً لليلالي اللهو في عهد الماضي، وقد جاءت الأبيات الائتمى عشر على بن محمد اليايادي التونسي في وصف البحر.

وترى المحققة أن هذه النصوص الخمسة السابقة استقاها ولا شك من بيته ، باعتبار إن أولئك الثلاثة من أشهر شعراء العرب في المغرب والأندلس آنذاك . ولاشك انه حفظ من شعرهم الكثير أو اطلع على دواوينهم وربما التقى بهم وأخذ عنهم لمعاصرته لهم، كما ترى السيدة أبو صالح أن حجم هذه المادة المغربية الأندلسية ضئيل جدا بالمقارنة مع مجموع أشعار الكتاب التي بلغت ألف واربعئة وخمسون(1450) بيتا.²

د- طريقة النقل:

ويبدو انه نقل مشافهة بطريقة مباشرة في معظم مراحل الكتاب حيث يقول في مقدمة الكتاب : "وأنا أحذف أسانيد ما رويته، وآتي بمتون ما رايته".³

لأنه ينقل: دون ذكر اسم الناقل أو الراوي ، نحو قوله عن أبي بكر الخوارزمي: "خبرني من رأه ببناسابور وقد كظه الشراب فطلب فقاعا فلم يجده."⁴

ونحو قوله عن ابن وكيع : "خبرني بعض المصريين قال: كان ابن وكيع يهوى غلاما نصرانيا بتنيس ، فلامه فيه بعض إخوانه وقال له : ممكانك من العلم والأدب .. " ¹ الى آخر الخبر.

¹ وردت أبيات الشعراء الثلاثة كما يأتي : أبيات ابن هانئ الأندلسى ص 331-176 . أبيات محمد اليايادي ص 312. أبيات عبد الكريم النهشلي ص 313 - 348 وبلغت النسبة المؤدية لهذه المادة المغربية الأندلسية اثنان بالمائة فقط .

² النورين، الحصري القيرواني، ص 58

³ المرجع نفسه، ص 108

⁴ المرجع نفسه، ص 290

ونحو نقله أشعار العلی بن يونس المنجم أخذها مشافهة يقول:
"أنشدني له بعض المصريين يصف قينة:

غَتْ فَأَخْفَتْ صُوتَهَا فِي عُودِهَا فَكَائِمًا الصُّوتَانِ صُوتُ الْعُودِ
الى آخر الأبيات.²

ثم يقول : " وأنشدني - أي الرواي نفسه - في غلام يهواه قوله:
يجري النسيم على غلالة خده و أرق منه ما يَمْرُّ عَلَيْهِ إِلَى آخِرِه ".³

كما نجده يستعمل الألفاظ التالية في النقل : (حدثني، قال بعض الرواة، قال بعض أهل العصر، كتب بعض أهل العصر .. الخ) وهي مفردات تدل على احتفائه بالنقل عن معاصريه من الشعراء والأدباء ، وهذا أمر صرح به المؤلف نفسه في زهر الآداب الذي يعتبر النموذج الأول لهذا الكتاب(النورين) ، حيث يقر لنا بنظمته فقرا البعض معاصريه سواء من لحقه بعمره أو لحقه أهل دهره.⁴

نؤكد في الأخير أن المادة الشعرية في كتاب النورين قد بلغت ألف واربعئة وخمسون بيتا، أما حظ النثر في هذه المدونة فقد بلغ مائة وأربعون قطعة نثرية توزعت بين بعض الأحكام النقدية للحصرى وبعض الفصول المتعلقة بالألفاظ أهل العصر حول مختلف الأغراض التي تناولها الكتاب . بالإضافة المكاتبات التي تتنوعت بين رسالة وجواب وعددتها ثمانية وعشرون كتابا ، سنعود إلى ذكرها ضمن الورقة الخاصة بموضوعات وفصول كتاب النورين التي يحتويها المطلب الآتي.

١ (٣) المطلب الثالث: فهرس موضوعات المدونة

نذكر هنا أهم الأغراض والموضوعات التي شكلت مادة الكتاب ، ولابد من القول أن هذه الموضوعات جاءت متفرقة في تصاويف النورين . حيث يذكر الحصرى غرضا

¹ المرجع نفسه، ص 145

² المرجع نفسه، ص 156

³ المرجع نفسه، ص 150

⁴ ينظر زهر الآداب وثمر الالباب، الحصرى القيروانى، 10/1

معينا في أول الكتاب ثم يعود إليه بعد عدة صفحات من العرض ،كموضوع الخمر أو العشق أو وصف الربيع ... الخ . فهذه المواد لم تأتي مرتبة في فصول وأبواب كما هو الحال في كتاب الزهر، وقد تعمد المؤلف هذه الطريقة التي تتجاوز الترتيب والتصنيف قصد إمتعاق القارئ وصرف الملل عنه كما علمنا سلفا.

وإننا إذ نقدم هذه المواضيع ،نقوم بذكرها على شكل فصول معونة . اجتهدنا في ضبطها على النحو الآتي :

1- فصل في حكمة القول : ومما جاء فيه:

- وصف الجاحظ لكلام الرسول صلى الله عليه وسلم ،بالإضافة إلى رأي الجاحظ فيما يجب على الرجل أن يتخلّى به من صفات.
- حكم كلثوم بن عمرو العتبي.

2- فصل في الوصف : وهو أكثر الفصول استقبلاً للمادة الأدبية في الكتاب ،وهذا ما تصرح به محققة الكتاب التي ترى أن الحصري يعني عنابة خاصة بموضوع الوصف بالمقارنة مع الأغراض الأخرى ،حتى ان الفصول التي سماها بألفاظ أهل العصر كلها تتدرج ضمن هذا الغرض.¹ ومما جاء في هذا الفصل : جملة في وصف النور والزهر ثم نجد وصفاً للربيع ،الحسن،جمال النساء والافتتان بهن ،حسن الحبيب وقبح الرقيب ،النار،الماء،البحر،النجوم،الشعر،الكتاب،الرياض،تشبيه المحبوب بالبدر،الخط وسرعة الكتابة،الغيث.

3- فصل للملوك والأمراء : ومما جاء فيه : حديث عن هجاء منصور بن بسام للوزير داود بن الجراح،جور الحاج بن يوسف الثقفي ،خوف وهب بن ناجية الرصافي من الواثق بالله،قصة عمر بن علي المطوعي والأمير أبو الفضل عبيد الله بن احمد مع المطر،رسائل شمس المعالي قابوس بن شكمير ملك جيلان ،رسالتين للخوارزمي إلى سادته،رسالتی الأمير عبید الله بن احمد المکالی ،رسالتی بدیع الزمان الهمذانی إلى شمس المعالی.

¹ ينظر النورين،الحصري القيرواني، ص 62

4- فصل في الخمريات : ومما جاء فيه : فقر للنبيذيين ، مجالس الشراب وشروط المنادمة، بعض مواقف وأشعار أبو نواس في الخمر.

5- فصل في العشق : ومما جاء فيه :

أبيات في عشق الغلمان ، عشق بين الجارية عليه والخادم طل ، رسالة ابو الفضل بن الحسين العميد في وصف العشق، حديث أبو المقدام الاسدي لعشق أحد غلمانهم لجارية من طبيئه، أبيات لأبي دلف في الحب.

6- فصل للمكاتبات : وجاء فيه ثمان وعشرين رسالة كما أسلفنا الذكر، وهي كماليلى:

خمسة منها لشمش المعالي قابوس بن شكمير ، وثمانية لمدح الزمان الهمذاني ، وأربعة لأبوبكر الخوارزمي ، ورسالتين للأمير عبيد الله بن احمد الميكالي ، ورسالتين آخريين لابو الفضل محمد بن الحسين العميد ، ونجد رسالة وجواب بين الحسن بن سهل والحسن بن وهب ، وكتابين لابي إسحاق الصابئ ، إحداهما قطعة من رسالته في قوس البندق . ونجد أيضا رسالة لأبي الخطاب التي سماها بالرسالة الكبشية ، أما بقية المكاتبات فهي عبارة عن ردود على رسائل بديع الزمان الهمذاني ورسائل شمس المعالي ، مع العلم بأننا لم نجد ردودا على رسائل أبوبكر الخوارزمي .

7- فصل في ذكر الغناء والمعنىين : استغرق هذا الفصل أربعة عشرة صفحة متالية وما جاء فيه : رأي إبراهيم الموصلي في المجيدين من المغنيين ، أبيات لكشاجم ، غناء عريب جارية المأمون ، وأبيات وآراء مختلفة لبعض الشعراء والأدباء في الغناء والمعنىات كابن الرومي واحمد بن الطيب السرخي وعثمان الناجم .

8- فصل في المدح: ومما جاء فيه :

مدح أبو العباس النامي لسهد الدولة أبا المعالي ، مدح أعرابي لأحد الأقوام ، مدح وهيب الحميري للمعتصم بن الرشيد ، قوله في مدح أبا القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب ، مدح ابن هانئ الأندلسى لجعفر بن علي .

9- فصل في الذم والهجاء: ولم يأتي فيه بالكثير ، ومما جاء فيه :

هجاء لمجهول لم يصرح الحصري باسمه، ذم العتبي لأحد الرجال.

10- فصل في رقيق الشعر: ومما جاء فيه أشعار مختلفة.

11- فصل في الرثاء: ولم يورد منه الكثير نظراً لطبيعة الكتاب التي تحاول أن تحتفي بكل ما يشرح النفس ويُمتع القلب ومما جاء فيه:

أبيات لأبي عثمان الناجم في رثاء جارية ، ابن الرومي يرثي جارية ، رثاء ابن بسام
لعلي بن يحيى بن منصور بن المنجم ، أبيات لأبوبكر محمد بن القاسم بن بشار
الانباري.

12- فصل في أخبار القيان: ومما جاء فيه:

قصة اجتماع أربعة عشاق لقينة ، ومن أخبار هذا الفصل ما جاء مختلطًا مع فصل
الغناء والمعنىين.

13- فصل في ما قاله بعض الظرفاء: وهي متفرقات حول مختلف مواضع الكتاب

14- فصل لمقاطعات في معانٍ مختلفة: وقد ورد في النورين بالصيغة الآتية: قطعة
من مقاطعات تجري من شعرهم في التمثيل والمحاضرات، في معانٍ مختلفة.

15- فصل لأشعار أهل المغرب: ومما جاء فيه : أشعار للنهشلي ولابن هانئ
الأندلسي ولمحمد الأيدي، ونصيف إلى أشعار هؤلاء أبيات الحصري القيررواني التي
وردت في مقدمة الكتاب.

16- فصل في ذكر أخبار النساء وأشعارهم.

17- فصل لموضوعات متفرقة: وهو فصل حاولت أن اجمع فيه بعض المواد التي لم
يصل حجمها إلى مستوى يمكننا من خلاله أن نعقد فصلاً قائماً بذاته لكل مادة من
مواده، نظراً لقلة ما جاء في كل مادة على حدا. ومما جاء فيه:

أبيات عن الهدية، الحنين إلى الوطن، الفقر، الشّعر (ما ينبت فوق الرأس).

* فصول لألفاظ أهل العصر: وعددتها أربعة عشر فصلاً، وهذه الألفاظ عبارات عن أجزاء تابعة لمختلف الفصول أو الأغراض التي جاءت في الكتاب. ومما جاء فيها:

- 18- فصل لألفاظ أهل العصر في محاسن الغلمان والمعذرين.
- 19- فصل لألفاظ أهل العصر في الاستدعاء إلى الأنس.
- 20- فصل لألفاظ أهل العصر في وصف ليالي الأنس.
- 21- فصل لألفاظ أهل العصر في وصف الليل والنجوم وما يقارب ذلك ويتعلق به.
- 22- أ فصل لألفاظ أهل العصر في المدح.
- 23- فصل لألفاظ أهل العصر في الذم والهجاء.
- 24- فصل لألفاظ أهل العصر في وصف الخط وسرعة يد الكاتب.
- 25- فصل لألفاظ أهل العصر في الغناء والمغنيين.
- 26- فصل لألفاظ أهل العصر في الرثاء.
- 27- فصل لألفاظ أهل العصر في الربيع وحسن منظره، وفضل أحواله وطيب مخبره.
- 28- فصل لألفاظ أهل العصر في أوصاف النساء.
- 29- فصل لألفاظ أهل العصر في وصف الماء.
- 30- فصل لألفاظ أهل العصر في ألفاظ أهل العصر في النبيذ.
- 31- فصل لألفاظ أهل العصر في ذكر الكتب.
- 32- فصل لأبي بكر الخوارزمي (وقد ورد بهذه الصيغة في كتاب النورين)
- 33- فصل لتميم بن معز: ومما جاء فيه، استعراض لبعض أشعاره ونقد الحصري له.

- 34- فصل لأبي العباس عبد الله بن المعتز: وما جاء فيه استعراض لبعض شعره ونشره، ونقد الحصري له.
- 35- فصل لبديع الزمان الهمذاني : وما جاء فيه رسائله وبعض شعره.
- 36- فصل لشمس المعالي قابوس بن شكمير : وما جاء فيه رسائله وبعض شعره ، ونقد الحصري له.
- 37- فصل لأبي منصور الثعالبي: وما جاء فيه ذكر لبعض شعره ، ونقد الحصري له.
- 38- فصل لأبي الفضل الميكالي: وما جاء فيه استعراض لبعض شعره.
- 39- فصل لابن وكيع : وما جاء فيه استشهاد ببعض شعره، ونقد الحصري له.
- 40- فصل لابن الرومي: وما جاء فيه استعراض لبعض شعره، ونقد الحصري له.
- 41- فصل للعتابي: وما جاء فيه استعراض لبعض شعره، ونقد الحصري له.
- 42- فصل لأبي إسحاق الصابئ : وما جاء فيه نثر رسائله وبعض أشعاره ،ونقد الحصري له.
- 43- فصل لابن بسام : مما جاء فيه بعض أشعاره.
- 44- فصل لأبي نواس : مما جاء فيه بعض خمرياته.
- 45- فصل لأبي تمام : مما جاء فيه بعض أشعاره.
- 46- فصل لكشاجم : مما جاء فيه بعض أشعاره.
- 47- فصل لإسحاق الموصلي : مما جاء فيه آراءه في الغناء، وبعض أشعاره.
- 48- فصل لأبي الفتح البستي : مما جاء فيه بعض أشعاره.
- 49- فصل لأبي فراس الحمداني.

3- المبحث الثاني: المؤشرات المنهجية في كتاب النورين

تناول هذه المساحة البحثية ابرز المؤشرات المنهجية التي اتبعها الحصري في تأليف كتاب النورين، وسنذكر في البداية ما نص عليه المؤلف في مقدمة الكتاب ، فيما يتعلق بطريقته التي سار عليها في جمع المادة الأدبية وعرضها ، ثم ننتقل بعد ذلك لتقديم النقاط المنهجية التي استنتجتها قراءتنا للمدونة.

1-3) المطلب الأول: المنهج المنصوص عنه

اقر الحصري في مقدمة كتابه بمجموعة من الخطوات المنهجية التي تشكلت من خلالها مدونة النورين، ونعرضها على النحو الآتي :

سبق وאשרنا في الورقات المتعلقة بتعريف كتاب النورين الى التصريح الذي يعترف فيه الحصري باختصاره لكتاب النورين من كتاب الزهر ، مما يوحي بتشابه المصنفان في الطريقة والمنهج. وما يثبت هذا الطرح هو كلام الحصري نفسه في مقدمة النورين إذ يقول: "وفيما القى إليك هذا الكتاب الذي هو نور الطرف ونور الطرف المختار الكثير مما ليس في الكتاب الكبير ، وإنما كان كالملخ من سبيكته والمُخْ من تريكته ، لأنَّه يحذو حذوه وينحو نحوه".¹ ثم يواصل في موضع آخر: "ليكون لما استعاره من حلية وليس من حلله وأخذ من صفاته وسلك من سبله كالأنموذج له والمدخل إليه والمعرف به والمنبه عليه، فيكون المطلع على أغراضه ومقاصده والمتصفح لمصادره وموارده كالعارف بما في ذاك، والواقف على ما هناك، فقدימה دلت الأوائل على الأواخر".²

ونتوقع في بداية الحديث عن منهج الكتاب أن الحصري قد كتب مقدمته بعد فراغه من تصنيف المدونة على طريقة الباحثين المعاصرین، ونتوصل الى ذلك من قوله : "ولعل ما تركت أولى مما أدركت، إذ كان قليل من كثير".³

¹ النورين، الحصري القيرياني، ص 103

² المرجع نفسه، ص 101

³ المرجع نفسه، ص 106

ومما يؤكد الحصري في مقدمته النورين، هو إعمال الذوق الشخصي في العملية الانقائية لموضوعات الكتاب التي رصدها من شتى فنون القول. ونجد هذا في قوله : "إذا لم يُحَصّ المؤلِّف (وجهاً يقصده ولا فناً يعتمد) ¹ فكل الكلام تمتد إليه حاله وتنتال عليه رماله، فانما حقه انتقاء ما اتصل بناظره، واقنقاء ما وصل إلى خاطره." ²

ثم يحيلنا الحصري على جودة ما نقله لأنَّه يدرك جيداً صعوبة الاختيار. وهذه الإحالة في مضمونها اعتذار بقدرته العقلية والأدبية في هذا الشأن ، مadam اختيار المرء وافتقار عقله ورائد فضله ³ فيقول: "وليس للناقل من فضل أكثر من تجويد النقل ... بدليل الاقتدار على جميل الاختيار ، إذ الاختيار ميسن العقل ومعلم الفضل . وهو باب يتضمن ولا يتناهى ويتناقل ولا يتنافر ويتعارف ولا يتناكر ، فإذا عرض هذا المختصر على نيران الفكر وُعْجَمَ بـإنسان النظر." ⁴ (شعر)

فكان كالذهب المعروف مخبره يزيد في السبب للدينار دينارا. ⁵"

ثم يؤكد: "وكذلك جميع ما صنفته وكل ما الفتَّه ، وان أجريت الى غير ذلك في جميع المسالك". ⁶"

ثم يشير الى صعوبة الاختيار قائلاً: " وقالوا اختيار الكلام اشد من نحت السلام ، وقال حكيم اليونانيين: لكل شيء صناعة، وصناعة الاختيار صناعة العقل." ⁷

وقد ذكر الحصري انه اعتمد على مجموعة من المقاييس في تصنيف مادة كتابه، مشيراً في الوقت نفسه الى السبب الرئيس الذي دفعه الى تأليف الكتاب بذلك الشكل. ويتعلق الامر بالرجل الوجيه الذي طلب من الحصري أن ينجز له كتاباً لطيفاً يقوم على الجودة في اختيار وجمع الأخبار والأشعار التي يفضل الرجل(صاحب

¹ وهو ما كان حاصل مع الحصري في النورين، حيث لم يوقف التأليف على غرض أو فن معين بل مست اختياراته مواداً أدبية متعددة على غير ترتيب ولا تبويب.

² المرجع السابق ص 106

³ المرجع نفسه ص 105

⁴ المرجع نفسه، ص 105

⁵ البيت موجود في: ديوان المتنبي، تج عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت (دت) 244/2

⁶ النورين، الحصري القيرواني، ص 104، 103

⁷ المرجع نفسه، ص 105

الطلب)أن تكون حسنة المعاني لطيفة المتون والحواشي ،بحيث ترتاح إليها الأرواح .
يقول الحصري عن ذلك : "أمرت فيه - أعلى الله أمرك وأسني قدرك - قلبا يتقلب إلا في طاعتك وصبا لا يتصرف إلا في مرضاتك ،أن يمد يد الاختيار والاستجادة لما يقع منك بحسب الإشارة والإرادة ،من تصنيف كتاب لطيف ينظم نظم العقود ويرقم رقم العقود في مقطوعات أدب كفراضة الذهب من شذور منثور وعيون موزون . ترتاح الأرواح إلى خفة أرواحها وكثرة غررها وأوضاحتها ،ولطف متونها وحواشيها وحسن عيونها ومعانيها المشرقة التذهب المونقة التهذيب."¹

ثم يوضح لنا المؤلف طريقته التي اعتمدت على انتقاء النوادر والطرائف وضم الأشعار إلى الأخبار ،وتفضيل المادة الأدبية الغربية في إبداع المحدثين . وكل ذلك نزولا عند إشارة صاحب الطلب .إذ يقول الحصري: " فأجبتك إلى ما إليه أشرت على ما أحببت وآثرت من غرائب العجائب وظرائف اللطائف وجواهر النوادر ،وقرنت بالفصول بالأصول وضمت الأشعار إلى الأخبار ووشحتها بالمستندر والمختار من كلام ملوك النظم والنشر من أفراد أهل العصر الذين قهروا السابقين وبهروا اللاحقين بكريم عنصر البلاغة وصميم جوهر البراعة."²

ثم يبرر اختياره للمادة الأدبية الغربية في إبداع المحدثين بقوله: " والنفوس قد طبعت على استطراف ما سمعت، مما لم يتكرر فيتكرر، ويتوالى على الأسماع فتمجه الطياع، وتكثر روایته فتمل حکایته."³

بلاغة أهل العصر وبراعتهم هي الدافع الأكبر لاختياره أدبهم وابتعاده عن أدب الأقدمين الدائر ذكره بين الناس ،كما أن النفوس تكون أكثر وعيا وإدراكا لمستحدث الكلام،نظرا لقربها من محیطه الزمني والثقافي ، فهي أحق بحفظه إذن . ومن ثمة كان حريرا بالحصري أن يميل إلى انتخاب الغريب الجيد من كلام أهل عصره ، وهذه ما دفعه للقول: "فلبلاغات أدوات يقتفي أمثالها ويحتذى مثالها ،فأولاها بعد إقامة اللسان

¹ المرجع السابق،ص 100،99

² المرجع نفسه،ص 102،101

³ المرجع نفسه،ص 102

حفظ كلام البيان وبخاصة أهل هذا الزمان ، إذ النفس اقرب الى ما قرُب منها مما بعده
عنها وهي أحق وأحلى أن تكون لإدراكه أرجى.¹

ولعل أهم ملحوظة في نهج المؤلف هو تعمده الاختصار وعدم الإطالة، دفعاً للإسهاب الممل. إضافة إلى الابتعاد عن التبويب والتنسيق، مع تحري التنوع الأدبي والاستطراد لامتناع القارئ وتشويقه، حيث يقول: "ولم أوغل في هذا الكتاب ... إذ لو توفرت في التصريف على ما يوجبه التصنيف في تلك التصارييف لأخللت بالإحسان في الافتتان ، فنثرت ما سطرت على غير تبويب وجمعت ما صفت على غير ترتيب . وذلك أقرب إلى نشاطك وأوجب لانبساطك² ... وقد خفت أن أخرج بصدر الكتاب إلى معيب الإسهاب".³

ثم يخبرنا الحصري بأن سبيل الاختصار الذي اتبعه ليس لعدم قدرة منه على التوسيع ، أو لقصور معرفته بهذا النوع من الأدب . ولكنه فعل ذلك وفقاً لما طلب منه ، لأن حصيلته الأدبية أقدر على الإتيان بما يفوق الذي أتى به . وهذا ما يؤكد قوله : "ولو أردت لمددت إلى ما يربى على الغاية ويوفي على النهاية ، إذ ذاك متيسر غير متذرع ومتسع غير ممتنع، وإنما أغريت أن أجري إلى رسالك حسب مبتغاك".⁴

ثم يقول في موضع آخر من متن الكتاب: "والشعر في هذا الباب أكثر من أن يُكتَّب به الكتاب، ولكنني سأشدك يسيراً واترك كثيراً".⁵

ومن المؤشرات المنهجية التي نبه عليها الحصري منذ المقدمة ، هي إقراره بحذف أسانيد ما يرويه من أشعار وأخبار ، لأن هدفه هو دلالة النص الممتنع . حيث يؤكّد ذلك

¹ المرجع السابق، ص 392

² المرجع نفسه، ص 102، 101

³ المرجع نفسه، ص 106

⁴ المرجع نفسه، ص 392

⁵ المرجع نفسه، ص 345

فائلاً: "وأنا أحذف أسانيد ما رويته وآتي بمتون ما رأيته ،إذ هي الغرض المطلوب من استمالة القلوب بما تحويه من سحر البيان وسر البرهان."¹

3-2) المطلب الثاني: قراءة استنتاجية لمنهج المؤلف

وتطرح هذه القراءة مجمل ما أسعفنا به اجتهادنا في استنتاج نقاط منهجية أتاحتها لنا فرصة معاينة الكتاب، والنقط موضحة كما يأتي:

01- من مقدمة الكتاب يتجلى لنا الحس الديني والأخلاقي للحصري ،حيث يفتتح المقدمة بحمد الله والصلوة على الرسول عليه السلام . كما يبتدئ موضوعات النورين بالحديث عن كلام النبي فيقول: "وليس بعض كلامه (صلى الله عليه وسلم) بأولى من بعض التقديم ولا أحق بالإجلال والتعظيم ، وإنما بدأت بكلمته تيمناً ببركته."² كما نجده يبتعد في مختاراته عن كل ما يخرج عن حدود اللياقة والأدب ، على عادة أهل المغرب الذين تميزوا بميلهم الفطري إلى الترفع عن المجون والاستجابة للنزوارات .³ حتى أنه يتباهي أحياناً على مغالاة بعض الشعراء كالخوارزمي فيلعنه ويكرهه ، مما يدل على حاسته الدينية .

02- يبدي الحصري اعتزازه بالرصيد الأدبي الذي يتوفر لديه ،اذ يقول: "وفي هذا الكتاب أكثر المعونة بأيسر المؤونة ".⁴ رغم انه يقول في المقدمة: "ولعل ما تركت أولى مما أدركت ".⁵ كما نجده يمدح مستوى في الاختيار عندما يؤشر على تشابه كتابيه (الزهر والنورين) من حيث جماليات الانتقاء فيقول: "في هذا الكتاب المختار

¹ المرجع نفسه، ص 108

² المرجع نفسه، ص 108

³ ينظر محاضرات في الشعر المغربي القديم،الدكتور عبد العزيز نبوi، ص 92 -

ان ما اشرنا إليه حول أهل تعفف اهل المغرب تزكيه شهادة ابن حوقل الذي زاره في القرن الرابع فقال: "وليس في بالهم من الفواحش الظاهرة وتعاطي الأمور المنكرة كالعیدان والطنبایر والمعازف والقیان والمخنثین والفسق الشنیع ما بكثیر من المواقع" من كتاب: شعر المغرب حتى خلافة المعز،الدكتور إبراهيم الدسوقي، دار الثقافة القاهرة 1973 ، ص 122

⁴ النورين، الحصري القرواني، ص 39

⁵ المرجع نفسه، ص 106

الكثير مما ليس في الكتاب الكبير ... وإنما يدل عليه وبهدي إليه بدليل الاقتدار على جميل الاختيار.¹

03- لا يميز بين كلامه وكلام وغيره في الغالب ، حيث انه لا يضع علامات توضح ذلك، ولا يستعمل الأدوات الدالة على كلامه . كأن يكتب مثلا: قلت ، أقول،رأيت،ويقول. حتى يتضمن لنا التمييز بين كلامه وبين كلام غيره.

04- يأتي بأحكام نقدية تدخل في باب النقد المجمل أو النظارات النقدية العامة ، وهي أحكام مقتضبة يكتفي فيها الحصري بالتعليق الموجز والحكم السريع على الشعراء ، او بعض المختارات الأدبية ولكنها قد تلمح الى آرائه بوجه عام.

05- يظهر ميلانه للبيع من خلال نصوصه الموثقة في المقدمة والخاتمة والتي يكثر فيها السجع والجناس والطباقي ، حتى يكاد يخرج به ذلك الى معيب الإسفاف . ويتجلّى حبه للبيع من خلال اختياره لنصوص من يشاركونه التذوق لهذا اللون ، كلالمذاني وابن المعتر والخوارزمي والبستي وغيرهم . ويشير الحصري الى انه يراعي في ذلك أيضا ذوق العصر ، فلا يكاد القارئ يجد عنده نصاً أدبياً تحرر من التزام صنعة البيع . ولا نستغرب ذلك من الحصري ، فهذه سمة بارزة لدى كتاب القرن الرابع هجري.²

06- يفرد فصولاً خاصة لكلام المحدثين في مختلف الأغراض التي جاء بها الكتاب ويسميه "ألفاظ أهل العصر" مثلاً هو الحال في كتاب الزهر ، وهذا ما يجعلنا نجدد المشاركة في تقديم الانطباع حول ميلانه الى جديد القول . وغالباً ما يأتي بذكر الشيء ونقشه في هذه الفصول مثلاً جاء في "ألفاظ أهل العصر في المدح".³

07- يعتني بموضوع الوصف أكثر من أي موضوع آخر ، ويظهر ذلك في احتفائه بـ شعر ابن الرومي وابن المعتر وكشاجم وكذا النصوص النثرية التي جاء بها محتفية

¹ المرجع نفسه، ص 103

² ينظر الحصري وكتابه زهر الآداب، الشوير، ص 145

³ ينظر التورين، الحصري القبرواني، حيث يجعل المؤلف فصلاً لألفاظ أهل العصر في المدح، ص 325، ونقشه ذلك ص 326

بها الغرض . علاوة على ما أورده من ألفاظ لأهل العصر وكلها داخلة في باب الوصف.

08- يبالغ أحيانا في بعض الأوصاف مثلاً رأينا في وصفه لسعادة قلبه بكتاب الرجل الذي طلب منه تأليف النورين، أو في مدحه لذلك الرجل.¹

09- يتعرض إلى بعض الأغراض الجديدة في الشعر كالتعزز بالغلمان وبعض الأغراض التي تلائم المرحلة الحضارية كالرسائل الأخوانية والعتاب (وهذا جانب يبين ميلانه للمعاصرة).

10- تحتفي اختيارات الحصري بنصوص غير العرب من الأعاجم ،لتتفوقهم في الفصاحة وإدرالكهم كلام العرب حيث يقول: "إذ النفس اقرب الى ما قرب منها مما بعد عنها، وهي أحق وأحلى أن تكون لإدراكه أرجى ،لاسيما إذا رأى العربي الصريح نطق العجم باللسان الفصيح ... فكثير مما أوردت عليك من روائع حكمهم وبديع كلمتهم أعادهم درت لهم الفصاحة بغير عصاب وسبقت إليهم الرجاحة بغير اغتصاب ، إذ علموا ما آية معانيها وكيفية مبانيها".²

11- يتعمد الاختصار لغاية تعلمية وتنقية ، تتمثل في إسعاف المتلقى بحفظ أكبر قدر من المنقولات بأيسر الكيفيات التي تنمي ذائقته وتنبه خاطره ، وتحيي ملكته في ميدان المكاتبة والمخاطبة والمذاكرة والمحاورة.

12- يبتعد في اختياراته عن المواضيع المتعلقة بالشعور المؤلم أو بسيئ المعاني ، كالرثاء أو الهجاء أو الحزن ، وهذا ما يجعله يميل أكثر إلى اقتراح الفكاهات . أما ما ندر وروده من هجاء أو رثاء فلأنه يحقق لذة الإمتاع والمؤانسة، من باب التنويع الأدبي.

¹ ينظر المرجع نفسه، ص 98

² المرجع نفسه، ص 393، 394

13- يتفق في طريقة ترتيب بعض فصول النورين - رغم تصريحه بعدم الترتيب في المقدمة - مع طريقته في الزهر¹ فتارة يأتي بأغراض في شكل فصل منتظم دون أن يعنون لها باسم فصل، ويفتحها بأبيات شعرية و يتبعها بالأخبار أو العكس .ثم يعقد في موضوع الفصل أفالطا لأهل العصر ، وقد يدللي برأيه في الموضوع وتارة أخرى يرسل الكلام على غير ترتيب دون أن ينبه القارئ لعودته من هذا الاستطراد ، وأمثلة ذلك كثيرة جداً يلمسها قارئ الكتاب بسهولة .و سنمثل للطريقتين كما يلي:

مثال الطريقة الأولى نجده في ما جاء به حول عشق الغلمان ، حيث افتتحه نثرا بالحديث عن عذر بعض إخوان ابن وكيع على عشقه لأحد الغلمان ، ثم جاء بببئين لابن وكيع وبأبيات أخرى للعادل ، واتبع ذلك برأيه في ابن وكيع ذاكرا له أبياتاً أخرى . ثم عقد فصلاً لألفاظ أهل العصر في محسن الغلمان والمعذرين.²

ونجده يتبع هذه الطريقة في موضوعات أخرى مثل: "الغناء والمعنىين" و"الأوصاف النساء" و"النبيذ" وهو الفصل الوحيد الذي ذكر عنواناً لموضوعه سماه: فقر للنبيذيين.

أما المثال الذي نسوقه على ظاهرة الاستطراد فنجد أنه في حديثه عن النديم والمنادمة، حيث يبتدئ الحصري برأيه في الشريف أبي القاسم الرسي ثم يذكر له موقفاً في الشرب مع كوفان المغني ويأتي بعده بما كان ينقله جعفر بن حذار من أخبار الشراب، ويردف ذلك بقول بعض الظرفاء في ثم ينتقل فجأة بعد ذلك إلى موضوع مكتبة جرت بين الحسن بن سهل والحسن بن وهب حول تلبد السماء بالغيوم.³

¹ يقول الحصري عن منهجه في الزهر: "وقد نزعت فيما جمعت عن ترتيب البيوت .. فجعلت بعضه مسلساً وتركت بعضه مرسلاً". زهر الأدب، ثمرة الباب، الحصري القيرواني، 10/1

² ينظر النورين، الحصري القيرواني، ص 142، 141، 140، 139

³ ينظر المرجع السابق، ص 281، 280، 279، 278، 277

وقد علق الدكتور الشويعر لى هذه الظاهرة التي توجد في كتب الحصري ووجدت عند غيره قبله وبعده ،فلم يكن هذا الاستطراد استطرادا في إنشاء الكاتب وإنما استطراد في المعلومات التي ينقلها.¹

14- نجده يكتفي بالتصريح بالنقل عن بعض المصادر دون ذكر اسمها ،مثلا وجدنا ذلك مع مؤلفات الثعالبي والبديع والخوارزمي وغيرهم ولا يصرح بالأخذ عن مصادر أخرى ولا يذكر اسمها أيضا وهذا هو الغالب في الكتاب . وقد علقت محققة الكتاب على ذلك(عدم التصريح بالنقل) فقالت: "وقد استطعنا التعرف إلى هذه المصادر من خلال تخرير النصوص في أثناء التحقيق ،إذ نجدتها منقوله بنصها وهذه المصادر بالطبع مصادر سابقة للنورين مثل دواوين الشعراء الذين نقلهم، فمن الواضح انه اطلع على الدواوين بنفسه اطلاقاً أتاح له فرصة الموازنة بين الشاعر وغيره في معنى واحد أو بين عدة أبيات للشاعر تدور حول المعنى نفسه .ونجد ذلك على الأخص عند ابن الرومي وابن المعتز اللذين احتفالاً بها احتفالاً كبيراً ،وكثيراً ما يعقد موازنات بينهما وبين عدد من الشعراء".²

وترى السيدة أبو صالح أن عدم تصريح الحصري أو الإشارة إلى بعض المصادر التي نقل عنها أمر لا يدعو لمباحثته لأنه يجري على منوال المؤلفين في عصره³

ومن أمثلة ما صرّح به قوله عن مؤلفات الثعالبي: "وأبو منصور قريع دهره وفريد عصره،وله مصنفات كتب في العلم والأدب تشهد له بأعلى الرتب ،وكل ما احكيه من ألفاظ أهل العصر غير منسوب إلى قائله فمستخرج من تأليفه مأخوذ من تصنيفه"⁴

وقد وقفنا على هذه الحقيقة في مختلف مراحل المدونة ،حيث نجد أن مختلف ما عقده من فصول لألفاظ أهل العصر مستمد من كتاب "سحر البلاغة وسر البراعة" وكتاب "من غاب عنه المطرب".

¹ الحصري وكتابه زهر الأداب،الشويعر،ص 160

² النورين،الحصري القيرياني،ص 52

³ المرجع نفسه،ص 53

⁴ المرجع السابق،ص 301

نحو: ألفاظ أهل العصر في الربع وحسن منظره، وفضل أحواله وطيب مخبره.¹

ألفاظ أهل العصر في وصف الخط وسرعة يد الكاتب²، وألفاظ أهل العصر في الاستدعاء إلى الأنس³، وألفاظ أهل العصر في محاسن الغلمان والمعدرين.⁴

كما أن معظم ما أورده من كلام لأهل العصر منسوباً لقائله مستمد من كتابه "يتيمة الدهر" مثل: "وقال بعض أهل العصر وهو أبو عبد الله الحسين بن عبد الرحيم الزلزالي⁵(شعر) _ كتب بعض أهل العصر وهو ابوبكر الخوارزمي الى بعض إخوانه جواباً(نشر) _ وقال بعض أهل العصر وهو أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن يونس المصري في نحو أبيات البحتري الأولى⁶(شعر).

والشواهد على ذلك كثيرة في الكتاب، يستطيع أن يتبعها القارئ بيسر.

وأمثلة ما لم يصرح بأخذها عن مصادره - وهو الغالب في هذا الكتاب - قوله مثلاً بعد ذكر أبيات لابو العباس النامي يمدح سعد الدولة أبا المعالي شريف بن سيف الدولة علي بن أبي لهيجة بن عبد الله بن حمدان . (يذكر أبياتاً له لكننا سنورد البيت الأخير منها وهو المعنى بالمثال) :

"لو يكتب المجد أسماء الملوك اذاً أعطاك موضع باسم الله في الكتب

اخذ قوله(لو يكتب المجد) من قول أبي العباس عبد الله بن المعتز بالله في ناقة

وناقة في مهمة رمى بها هم إذا نام الورى سرى بها

¹ سحر البلاغة وسر البراعة، للتعالبي ضبط احمد عبيد، دمشق المكتبة العربية 1350 هـ ، ص 14، 19

² المرجع نفسه، ص 43 وكتاب: من غاب عنه المطرب، أبو منصور التعالبي، تج د النبي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي القاهرة، ط 1982، ص 5

³ من غاب عنه المطرب، التعالبي، ص 120

⁴ النورين، الحصري القيرياني، ص 141 ، وورد في: من غاب عنه المطرب، التعالبي، ص 146
⁵ النورين، الحصري القيرياني، ص 147، ورد في يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور التعالبي، تج محمد حميي الدين عبد الحميد، بيروت 1973 / 1، 291

⁶ النورين، الحصري القيرياني، ص 155 ، ورد في يتيمة الدهر، التعالبي، 4 / 194

⁷ النورين، الحصري القيرياني، ص 168 ، وردت في يتيمة الدهر، التعالبي، 1 / 434

فهي أمام الركب في ذهابها كسرط "بسم الله" في كتابها.¹

والمثال الثاني نسوقه عن ابن الرومي ، حيث يورد الحصري أبياتاً لشمس المuali
فيقول: "و شمس المuali القائل وقد جرت عليه نكبة

قل للذى بصر وف الدهر عيرنا هل عاند الدهر إلا من له خطر

أما ترى البحر تطفو فوقه جيف ويستقر بأقصى قعره الدر.²

(إلى آخر الأبيات)

أما بيته الثاني فمن قول ابن الرومي

دهر علا قدر الوضيع به وغدا الرفيع يهينه شرفه

كالبحر يربس فيه لؤلؤه سفلاً وتطفو فوقه جيفه.³

ثم يذكر لابن الرومي أبياتاً في نفس المعنى فيقول: "أكثر ابن الرومي من هذا المعنى،
ومن جيد ما قاله منه قوله:

"لم يضحك الشيب في فوديه بل كلها سم القبيح من الأسماء ما قبحا

في قصيدة يقول فيها :

قالت علا الناس إلا أنت قلت لها ذاك يسفل في الميزان ما رجحا.⁴

¹ النورين،الحصري القيرياني،ص 120،119 ،والبيتان في: ديوان أشعار الأمير أبي العباس ابن المعز،تح د محمد بدیع شریف،دار المعارف مصر، 1978 ،231/1

² النورين،الحصري القيرياني، ص 132،131 والآيات في: المطروب من أشعار أهل المغرب،ابن دحیة أبي الخطاب عمر بن حسن،تح إبراهيم الإباري،د.حامد عبد المجید،د.احمد بدوي،دار العلم للجميع،بیروت 1955 ، ص 48

³ النورين،الحصري القيرياني،ص 136 ،والآيات في: ديوان ابن الرومي،تح د.حسین نصار،مطبعة دار الكتب القاهرة، 151/4 ، 1973 ،

⁴ النورين،الحصري القيرياني،والآيات في ديوان ابن الرومي،2 563/2

وتتوقع السيدة أبو صالح أن يكون الحصري قد عاد إلى كتب بعض الأسماء اللامعة في القائمة الأدبية كالأصمسي والجاحظ والمبرد وابن دريد وأبي بكر الانباري والرياشي وابن فارس وغيرهم، أو يُحتمل أنه رجع إلى كتب تنقل عن كتبهم.

فمثلاً نجده ينقل حديثاً للأصمسي مع الرشيد حول مكارم الأخلاق فيقول: "قال أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمسي قال الرشيد هل تعرف كلمات جامعات لمكارم الأخلاق يقل لفظها ويسهل حفظها تكون لأغراضها لفقاً ولمقاصدتها وفقاً ... قلت نعم يا أمير المؤمنين".¹

ونجده يورد حديثاً للجاحظ يصف فيه كلام النبي صلى الله عليه وسلم²، والنص موجود في كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ.

ومثال ما يحتمل أنه نقله من كتب تنقل عن مؤلفات أولئك ما جاء به عن اجتماع المبرد والبحترى للمذكرة نقاً عن ابن درستويه، ونورده آتياً:

"قال أبو محمد عبد الله بن درستويه النحوي ، قال لي البحترى يوماً وقد اجتمعنا على خلوة عند المبرد وسلكنا مسلكاً في المذكرة".³

15- يُضَمِّن نثره في كثير من الأحيان شعراً من نظمه أو يقتبسه من غيره وإنما يدمجه استشهاداً دون أن يشير إلى أن الذي سيأتي بعد النثر شعر، ولا إلى قائله كما هو موجود في مقدمة الكتاب وخاتمه ، ويبدو أنه متاثراً في هذا بطريق بديع الزمان الهمذاني الذي نحى هذا النحو في مقاماته ورسائله.

وَنَمَثَّلَ لَمَا قَلَنَاهُ بِمَا يَلِي:

"إن ما أبديه وأظهره غير ما اطويه وأضمراه من ناطق الود عن صادق العهد وحالص الحب عن مخلص القلب، كالنقطة في البحر والذرة في الفقر (شعر)

¹ النورين، الحصري القيرياني، ص 154

² المرجع نفسه، ص 108، والنص في: البيان والتبيين، تج عبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة، ط 1، 1950، 17/2

³ النورين، الحصري القيرياني، ص 164

يا من عقدت بحبه دون الورى حبل اعلاقي.¹"

الى آخر الأبيات.

أو كما جاء في الخاتمة: "فالحمد لله الذي جعل جمال منظرك موازيًا لجمال مخبرك وشامخ فرعك مقارنا لراسخ عنصرك.(شعر)

فلو كنت ماءً كنت ماءً غمامه ولو كنت درا كنت من درة بكر.²"

16- يقوم أحياناً بعقد فصولاً لبعض الشعراء دون أن يسميه، فيورد فيها مجموعة من أشعارهم التي قيلت في مختلف الأغراض أو المناسبات مثلما فعل مع كشاجم والبستي وأبو فراس الحمداني وأبو نواس.

17- يقوم أحياناً بالموازنة بين عدد الشعراء والكتاب ، وغالباً ما تقوم هذه الموازنات على ذوق الحصري مما يجعل أحکامه حولها أحکاماً سريعة.

وابرز مثال على ذلك موازنته بين إسحاق الصابي وابن عمه أبي الخطاب المفضل الصابي، حيث يقول : "وأبو إسحاق فريد زمانه ووحيد أوانه ، له في كل طريقة غرة الاوضاح ومن كل لطيفة قادمة الجناح ، وله من كل طريقة قدم وفي كل لطيفة تقدم . وابن عمه أبو الخطاب أحلى وأطبع، وأرسى واصنع."³

وقد يورد أخباراً في الموازنة بين بعض الشعراء ينقلها عن غيره دون تعليق منه في الغالب، وان كان سكته عنها يدل على موافقته لما جرى عليه الرأي فيها ، لأن هذه الأخبار والأقوال من اختياراته التي أعجب بها ووافقت رأيه وهو اه.

ومن ذلك خبر البختري مع المبرد وابن درستويه وخبر احمد النوفلي مع احمد بن أبي طاهر في أبيات محمد بن وهب الحميري.⁴

¹ المرجع السابق، ص 95

² المرجع نفسه، ص 394

³ المرجع السابق، ص 156

⁴ المرجع نفسه، ص 78

18- يتعرض أحياناً إلى ذكر بعض المعارضات الشعرية التي يوردها في باب معين ، وهذا مؤشر واضح عن سعة الأفق الذي يمتلكه الحصري.

19- لا يلتزم بقاعدة معينة في تفسير النصوص أو التعريف بالأعلام.

20- يقوم بتوظيف طرائق مختلفة للنثر الفني ، منها ما نجده في أسلوب الحصري المسجوع مثلما أشرنا إلى ذلك عند دراسة خصائص نثره، ومنها ما نجده في اختياراته التي تحتفي بالأسلوب البديعي . ونجد ذلك عند كتاب القرن الرابع هجري كالهمذاني والخوارزمي، ونجد في طريقة في النثر الفطري الذي يعتمد على سرد الحكم والفقرات القصيرة دون تكليف مثلك ما نقله عن الجاحظ يصف كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وما إلى ذلك من الطرائق التي سنعرض لها في أمكنتها من هذا البحث.

هذا ما توصل إليه اجتهادنا في استنباط الملامح المنهجية لهذا الكتاب الذي قادنا البحث في منهجه إلى طرح مجموعة من الملاحظات التي نقررها كالتالي:

- أولاً: يبدو أن عدم تبويب الحصري لكتابه يترجم موقفاً نقدياً موضوعياً إزاء الحركة النقدية في المغرب ، فعدم التبويب والترتيب والتنظيم لمادة المدونة يعكس عدم استواء التجربة النقدية عند المغاربة في تلك الحقبة التي لم تتوضّح فيها معايير الخصوصية النقدية المغاربية بشكل يسمح لها بأن تمتلك طابعاً خاصاً بها . عكس ما هو الحال مع المؤلفات المشرقية - السابقة للمؤلفات المغاربية بشوط كبير - التي أعطت الانطباع بنضج الدرس النقدي لدى المشارقة ، فال Hutchinson لم يؤلف بشكل منظم لأن المحيط النقدي آنذاك لم يستقر بعد على شاكلة واضحة فهو نقد مختلط بالبلاغة تارة وبالأخلاق تارة أخرى ومرة هو عبارة عن نظرات نقدية عامة (نقد مجمل) ، ومحاولة لتأسيس ملحم مغربي خاص مرة أخرى (مثلاً وجد في العمدة).

ويمكن لنا أن نجد معدلاً موضوعياً لهذا الكلام من خلال مؤلفات ما سموا في الجزائر ب "كتاب الجيل الثالث" وهـم الأدباء الذين كتبوا باللغة الفرنسية، من قائمة محمد ديب وكاتب ياسين ورشيد ميموني . فأولئك كتبوا بطريقة تعبّر عن مواقفهم اتجاه ثقافة أو

إيديولوجية معينة وهذا ما نجده لدى كاتب ياسين صاحب العمل الأدبي "نجمة" الذي لم يستطع الفرنسيين أن يصنفوه ضمن أي جنس أدبي ، لأن "نجمة" كتبت بطريقة متضطبة وغير منتظمة .ولأن كاتب ياسين حاول أن يقول من خلال هذا العمل بان الشخصية الجزائرية مضطربة ومفكرة ليعطي بذلك الانطباع بان الاحتلال الفرنسي قد فك هذه الشخصية.فما كتاب "نجمة" إلا انعكاس لشخصية هذا الجزائري (كاتب ياسين) الذي يشبه ملابس الجزائريين الذي ن تمزقت ذواتهم بفعل الاستعمار ،فلو انه كتبها بطريقة منتظمة كما كان يُنْتَظِر لأعطي الانطباع بان الاستعمار قد أفاد الشخصية الجزائرية.

- ثانياً: بعد اعتراف الحصري بإكتاره الإتيان مما أبدعه الأعلام في مجال الفصاحة العربية، يتضح لنا انه فعل ذلك متقصدا حتى يعكس لنا سعة الوعاء الثقافي العربي وقابليته لاحتضان الآخر الذي سيجد نفسه متاثرا بشكل كبير بالثقافة العربية حتى وان كانت جذوره العرقية والتاريخية تختلف عنها . وكم الحصري يحلينا الى اعتزازه بالثقافة العربية التي استطاعت أن تمتد أشعتها لتلامس حضارات أخرى تختلف عنها من حيث السياق التاريخي والاجتماعي ،وكم الحصري بهذا الشكل يؤسس لمبدأ التجاوز بين الثقافات وال الحوار بين الحضارات ويحاول أن يستخلص من ذلك خاصية متميزة بالثقافة العربية تكون إضافة جديدة في مجال تحقيق الذات والتميز العربي من الناحية الحضارية.

- ثالثاً: نتوقع أن يكون ميل الحصر ي الى البديع نابع من طموحه الى تحقيق غاية حضارية نبيلة تتمثل في تحقيق التلاحم بين الأصالة والمعاصرة والمزاوجة بينهما من خلال الوصل بين لغة الموروث ولغة المستحدث ،ذلك أن البديع : جزء من الموروث وهو بهذا ذو أصول راسخة.¹

ولأن البديع سمة المجددين والتجديد غاية في نفس الحصري يطمح إليها ويحترم من ينشدها، ويميل إليه مادامت الكلمات تخشى دخول عالم تحول معه إلى جوامد . فيعيد

¹ النقد الأدبي عند العرب، احسان عباس، ص 122

إليها البدع الحياة لتولد من جديد ولادة تتجه فيها الكلمة الى الكلمة وتنتج نفسها ، تتواجد
تجانس وتنطابق تتضاد وتنقابل تلمح وترجع باختصار شديد تتجدد فقط لتعيش.¹

¹ محاورات مع النثر العربي، محمد ناصف، سلسلة عالم المعرفة، الكويت العدد 218 ، فبراير 1997، ص 195

(3)- المبحث الثالث : النثر الفني في المدونة

سبق وشرنا في المبحث الخاص بالـ **مؤشرات المنهجية** في كتاب النورين وبالتحديد ضمن أوراق المطلب المسمى: قراءة استنتاجية لمنهج المؤلف. إلى اعتماد الحصري مجموعة من الطرائق الفنية في توظيف النثر ، اختارها بذوقه الذي قدم لنا من خلاله مذاهب مختلفة من نثر العرب. وسنحاول ان نذكر ونمثل لكل طريقة استطعنا التعرف إلى أسلوبها كما يأتي :

1-3) المطلب الأول: الأسلوب المتوازن أو الترسلي

وهو الأسلوب الذي يخلو من البديع ويلتزم غالباً بالإزدواج والإطناب والاستطراد¹، ونجد أن أكثر النماذج النصية التي أوردها الحصري في هذا المجال ما اختاره من نصوص الجاحظ الذي: يمتلك طريقة مشهورة ومحببة يرسل فيها الكلام إرسالاً وقلماً يلم بسجعة عفو الخاطر ، وهو في أسلوبه يكثر من الترادف والتكرار تأكيداً للمعنى واستيعاباً للفكرة ، كما أنه يتميز بالاستطراد وكثرة الاستشهاد والتنوع بين حروف الجر كما أن نثره ينم عن معرفة واسعة وثقافة متعددة وإحاطة تامة بكل أنواع العلوم والمعارف².

ومما سجله للجاحظ قوله يصف كلام النبي صلى الله عليه وسلم: "استعمل التوسط وهر الغريب ورغم عن الهجين فلم ينطق إلا عن حكمة ولم يأت إلا بكلام حف بالعصمة وسدد بالتأييد، وهو الكلام الذي ألقى الله عز وجل عليه المحبة وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والجلالة والإفهام وقلة عدد الحروف مع قلة حاجة السامع إلى معاودته. فلم تسقط له كلمة ولا بارت له حجة ولم يقم له خصم إلا أفحمه ، خطيب بذلك الناطقين وحاز قصب السابفين لم يتلمس إسكات الخصم بما لا يعرفه الخصم ولم يحتاج إلا بالصدق. ولم يطلب الفل جالاً بالحق لا يلمز ولا يهمز ولا يبسط ولا يعجل ولا يسهب ولا يحصر ، فلا يسمع الناس كلاماً اعم نفعاً ولا اقصد لفظاً ولا اعدل وزناً

¹ الحصري وكتابه زهر الأدب، الشوير، ص 497

² المرجع نفسه، ص 489

ولا أجمل مذهبا ولا أكرم مطلبا ولا أحسن موقعا ولا أسهل مخرجا ولا أفصح عن معناه ولا أبين عن فحواه، من كلامه صلى الله عليه وسلم.¹

وكما نلاحظ انه أسلوب مرسل لا ينحو نحو السجع أو الصنعة البديعية ، وإن جاء منها شيء من ذلك فهو عفوی وغير متعمد.

2-3) المطلب الثاني: الأسلوب البديعي

وهو الذي أسرف في كل وجه من أوجه البديع ، وتبرز خصائص هذا الأسلوب في دراسة أدب البديع الهمذاني الذي استحوذ على الحصري بطريقته وأدبه.²

وقد أورد لنا الحصري نماذج معتبرة من رسائل البديع ، وسنمثل في هذا السياق بمقتضف من إحدى رسائله . وما سجله الحصري له ، رسالته الى سهل بن محمد بن سليمان يسأله في حاجة بعد انقطاعه عنه والتي جاء فيها :

"أنا إذا طويت اليوم عن خدمة مولاي - أطال الله بقاءه - لم ارفع له بصري ولم أعده من عمري، وكأني به إذا أغفلت عن مفروض خدمته من قصد حضرته والمشول في جملة حاشيته وحملة غاشيته ، يقول : إن هذا الجائع لما شبع وتمشيع وتجال وتبرقع تربع وترفع . فما يطور بهذا الجانب ولا يظهر بهذا الباب وأنا الرجل الذي آواه من قفر وأغناه من فقر وآمنه من خوف إذ لا حر بوداي عوف ، حتى إذا وردت رقعني عليه هذه وأغارها طرف كرمه وظرف شيمه ونظر من عنوانها في اسمي قال : بعده وسحقا وسبا وتبأ وحثا ونحتا وطعنا ولعنا ، فما اكدر شراب أخلاقه وأكثر سراب

³ نفاقه".

¹ النورين، الحصري القيرياني، ص 109، 108.

² الحصري وكتابه زهر الأدب، الشوير، ص 497

³ النورين، الحصري القيرياني، ص 318

3-3) المطلب الثالث: الأسلوب المسجوع

ونجد خصائصه بارزه في أسلوب الحصري نفسه ،حسب ما أوضحناه عند دراسة خصائص نثره ضمن المبحث الموسوم بـ: إسهامات الحصري في المشهد النقدي. وهو رابع مباحث الفصل الأول كما نجده في أسلوب بديع الزمان الهمذاني والخوارزمي وغيرهم، وبما أننا سبق ومتنا بنصوص الحصري في هذا الموضوع فسنمثل لهذا النوع بإحدى رسائل الخوارزمي التي أوردها فقال :

"كتب بعض أهل العصر وهو ابوبكر الخوارزمي الى بعض إخوانه جوابا:

"قرأت كتابك العذب الموارد والمصادر الحلو الأول والأواخر الذي نثره غرر ونظمه درر ونشره مسك وعنبر ، يقطر منه ماء الكتابة وتتنسم منه روائح البلاغة وتهب من ألفاظه رياح الخطابة وينطق عنه لسان الفصاحة وقد شكرتني - أيدك الله - على قضاء حق لم يسعني إلا أن اقضيه وعلى أداء دين لم بجز لي إلا أن أوفيء، وزعمت أني عرفتك من جهلك ونبهت لذكرك من لم يكن انتبه لك .لا وحق الحق فإنه الواجب على الخلق ما رأيت احدا لا يعرفك إلا من لا يعرف القمر طالعا والفجر ساطعا والبرق لاما والبحر زاخرا والفلك دائرا .وهل يخفى على الناس النهار ؟ وهل يستتر علم في رأسه نار؟ وقد شكرتك على هذا الشكر فا ستعذر لغيره آخر الدهر."¹

وهذه الطرائق البارزة في كتاب الحصري تدلنا على انه لم يكن يتبع طريقة واحدة أو يلتزم أسلوب معين ، وإنما كان يسجل من مختلف المذاهب التي تروقه و تستجدها ذائقته .ونشير هنا الى أن الأسلوبين الآخرين (الأسلوب البديعي والأسلوب المسجوع) سمة بارزة لكتاب هذا القرن.

¹ المرجع نفسه، ص 155، 156

2- المبحث الثالث : قراءة سيميائية في عنوان الكتاب

إن عناية الدراسات السيميائية المعاصرة بالعنوان وما يتعلّق بعثبات الخطاب النصي لم يكن من قبيل الصدفة أو الترف الفكري، بل يعود ذلك إلى إدراك البرنامج السيميائي لأهمية هذه العثبات التي تبيّن أنها من المفاتيح السحرية المهمة في اقتحام أغوار النص وفتح مغاليقه ومجاهيله. وبخاصة العنوان باعتباره العتبة الرئيسة التي تفرض على الدارس أن يتفحّصها ويستنطقها قبل الولوج إلى أعمق النص¹، ولكون العنوان ضرورة كتابية² وكذا لكونه أولى عثبات النص التي لا يجوز تخطيّها ولا تجاهلها .. فلا شيء كالعنوان يمدهنا بزاد ثمين لتفكيك النص ودراسته³.

ولعل العنوان يعد من أولى العثبات النصية المفضية إلى عالم الحقيقة النصية بفعل حمولته الدلالية التي بإمكانها أن تحتوي النص وبفضل مخزونه العلاماتي الذي يمكنه الإحالة إلى ما يقوله النص بالإضافة إلى موقعه اللافت للاهتمام الذي يسترعي انتباه القارئ ناهيك عما يمارسه من إغراء على ذهنه.

والعنوان هو الأداة التي تخلق العلاقة بين المتنقي والنص بإثارة اهتمامه والمساهمة في بداية تشكيل وعيه بمكونات النص. وعليه يمكن القول أن العنوان رسالة ، وهذه الرسالة يتداولها المرسل والمرسل إليه، وهو ما يساهمان في التواصل المعرفي والجمالي وهذه الرسالة مسننة بشفرة لغوية يفكّها المستقبل حسب فهمه لها.⁴

وكمّا جرت العادة أن تقوم العناوين باستفزاز القارئ قبل أن يستقرّها فإنني اعترف باستفزاز عنوان هذا الكتاب الذي يعنيه بالدراسة - نور الطرف ونور الظرف - لذاتي القارئة، فراودتني الرغبة لاكتشاف العلامات المحيطة بنصه الصغير (العنوان) والغاية من ذلك هو استكناه التقاطع الموجود بين هذه المؤشرات الدلالية والعالم التي شكلت متن الكتاب، محاولة مني للوقوف على مدى تعلّق العنوان بنصوص المدونة . لأن

¹ علم العنونة، عبد القادر رحيم، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق سوريا، ط 1 2010 ، ص 7

² العنوان وسيميويطياً الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية للكتاب، مصر ط 1 1998 ، ص 51

³ دينامية النص تنظير وانجاز ، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي بيروت لبنان، ط 2 1990 ، ص 72

⁴ السيميويطياً والعنونة، جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، وزارة الثقافة الكويت، العدد 3 مج 25 ، 1997، ص 101

العنوان مرتبطة ارتباطاً عضوياً بالنص الذي يعنونه فيحمله ولا يختلف معه ويعكسه بأمانة ودقة .. فهو ما وضع على رأس النص إلا ليعرفه وينوب عنه فكأنما هو نص صغير يتعامل مع نص كبير.¹

كما كان هدفي من هذه القراءة هو معرفة ما إذا كان العنوان نقطة وصل قرائية جمعت بين أجزاء المدونة وبين المتنقي الذي تمثله الناقد القديم ، لأن المتنقي يشكل أهم العناصر في العملية التواصلية وخاصة الأعمال الأدبية وعلى اثر حكمه على النص تكون درجة القبول من عدمه .فإن أول ما يقابله في المنجز الأدبي عموماً هو العنوان ، والعنوان بوصفه " ظاهرة تواصلية تداولية " مقدم أساساً للمتنقي ، ومُحمل بوظائف متعددة تعمل متحدة على جذب المتنقي.²

وفي هذا الصدد نقول بان المؤلف (الحصري) أنجز الكتاب نزولاً عند رغبة قارئ معين لم يصرح لنا بهويته ، حيث يقول في مقدمة الكتاب : " فأجبتك الى ما إليه أشرت على ما أحببت وأثرت من غرائب العجائب وظرائف اللطائف وجواهر التوادر ." ³

وما دفعني أيضاً الى محاورة هذا العنوان هو محاولتي الإجابة عن تلك التساؤلات التي فرضت نفسها في سياق هذه القراءة ومفادها :

- ما علاقة النور بالظرفة والظرف ؟ أو بعبارة أخرى أين يتضح التشاكل الذي خلق ثنائية بين المفردتين وأتاح لهما تشكيل هذا العنوان ؟ ولماذا تقدمت عبارة الطرف عن الظرف ؟

- ما هي دلالات السجع الحاضر في عنوان هذا الكتاب الذي لم يخرج عن شاكلة كتب الحصري المسجوعة ؟

¹ تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، عبد المالك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكرون الجزائر، ط1 1995، ص 277

² قراءة في كتاب سيمياء العنوان للدكتور بسام قطوس، الطيب بودربالة، محاضرات المتنقي الوطني الثاني السيمياء والنص الأدبي، قسم الأدب العربي جامعة بسكرة، منشورات الجامعة في: 15/16 ابريل 2002، ص 29

³ النورين، الحصري القيري واني، ص 102

- ما علاقة عنوان المدونة بما جاء فيها من مقاييس نقدية؟ وهل عكس العنوان الحمولة النقدية الموجودة في الكتاب؟ وهل هناك حقيقة نقدية أراد ان يقولها؟

وبما أننا نشتغل على عنوان مدونة تعود الى العصور القديمة للأدب العربي فقد بدأنا الأمر مقبولاً أن نقدم ومضة تعريفية بظاهرة العنونة لدى العرب القدامى ،حتى رفعتب أكثر من محيط التصور النقدي للعنوان آنذاك ، مما قد يدعم هذه القراءة السيميائية لعنوان مدونتنا المدرورة.

وقد توصلنا الى ان القارئ للنقد العربي القديم يدرك عدم تناول هذا الأخير للعنوان ظاهرة نقدية، ذلك أن العنوان لم يعرف تأسيسا ولا تناولا إلا بعد تدوين القرآن الكريم الذي مثل " نقطة تحول بارزة في العديد من الجوانب العلمية ، كان من بينها انه سبب مهم في تطور العنوان العربي وطبعه بطوابع إسلامية خاصة ".¹

مما أتاح للعنونة في القرآن الكريم تسمية السور والأجزاء ، أما بالنسبة للعنوانين في كلام العرب فيقول عبد الله محمد الغذامي : " وقد مضى العرف الشعري عندنا لخمسة عشر قرنا أو يزيد دون أن تقلد القصائد عنوانين ".² ويقول آخر: " لا سجل القدماء في مدوناتهم عنوانين للقصائد التي دونوها، سواء كانت لهم أم لغيرهم ".³

ومن الأسباب المحتمل وقوفها حائلاً لحصول العنونة في القصيدة العربية نجد: اعتماد الشعر العربي على المشافهة والإنساد ⁴، وقد يكون السبب الاتي مانعاً آخر لحضور العنوان ويوضح ذلك في: تعدد الموضوعات الشعرية في القصيدة الواحدة ، وتعدد الموضوعات يؤدي إلى صعوبة اختيار عنوان واحد للقصيدة.⁵

¹ العنوان في الأدب العربي النشأة والتطور، محمد عويس، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة مصر، ط 1984، ص 84

² الخطيئة والتکفیر، عبد الله محمد الغذامي، النادي الأدبي الثقافي، جدة المملكة العربية السعودية، ظ 1985، ص 261

³ علم العنونة، عبد القادر رحيم، ص 70

⁴ العنوان في الأدب العربي، محمد عويس، ص 49

⁵ المرجع السابق، ص 51

وقد يضاف سبب آخر لغياب العنوان في الشعر العربي ،إلا و هو ارتباط حياة العربي بالبيئة، فطبيعة الحياة العربية التي كانت بدوية في معظمها تتسم بنوع من التحرر والانطلاق وتأبى القيود والانحسار وعنوان القصيدة قيد لها ووثاق لا يستطيع الشاعر أن يحيد عنه¹ ،والشعر في أصله تحرر للغة والإنسان وانتعاق من كل قيد.²

ويمكن إسقاط ما كان حاصلا في أمر العنونة الشعرية على النثر أيضا ،فاعتماد الخطب العربية على نظام المشافهة دون التدوين كفلها مؤونة الحاجة الى عنوانين تسمها، بينما وأنها كانت في معظم الحالات مرتجلة تأتي على السليقة³. إلا أننا نجد عنوانين لبعض الخطب العربية كان أساسها فقدان هذه الخطب لبعض الركائز الخطابية مثل: خطبة طارق بن زياد التي عرفت بالبراء ،لخلو صدرها من عبارات الحمد وبالمثل أطلقوا على الخطبة التي لا تذكر فيها الشهادة "جذماء" ،والتي لا تُزَيِّن بالصلة على النبي صلى الله عليه وسلم "شوهاء".⁴.

وقد نبه أحد الباحثين الى نقطة مهمة مفادها أن العنوان كان حكرا مع بداية عصر التدوين على الكتابة النقدية ،وتتنوعت العنوانين وان كانت في اغلبها تشير الى المؤلف الجامع قبل المبدع كما تحقق في كتابي المفضليات والأصميات⁵. وبالإضافة الى هذه المؤلفات عرف العنوان طريقه الى مصنفات أخرى كالمعاجم "كتاب العين" للخليل، وكتب النقد "طبقات فحول الشعراء" لابن سلام الجمي ،وعلوم اللغة "الكتاب" لسيبوبيه⁶. وهنا نشير الى إدراك القدماء لضرورة إجاده العنوان فاهتموا بإخراجه في صورة تغري بانتقاده وتسنم في رواجه⁷، على اعتبار انه اللوحة الاشهارية المرروجة للمدونة.

¹ علم العنونة، عبد القادر رحيم، ص 72

² الخطبية والتکفیر، عبد الله محمد الغذامي، ص 261

³ علم العنونة ،عبد القادر رحيم، ص 77

⁴ ينظر العنوان في الأدب العربي، محمد عويس، ص 57

⁵ تشكيل المكان وظلال العتبات، معجب العدواني، النادي الأدبي الثقافي، جدة المملكة العربية السعودية، ط 1، 2002، ص 09

⁶ ينظر علم العنونة، عبد القادر رحيم، ص 78

⁷ ينظر تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث، الصادق عبد الرحمن الغرياني، منشورات الفاتح للجامعات 1989، ص 88

سنبدأ التحليل بمحاولة الإحاطة بالتسمية المختصرة لكتاب وهي : "النورين"
(النورين)، وهي تسمية على طريقة العرب في التغليب ، فقد قالوا القمران للشمس
والقمر، والعمران لأبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم، والأسودان للتمر
والحليب والأبيضان للسكر والملح والأصغران للقلب واللسان والجديدان للليل والنهار
و هلم جرا من هذه التسميات.

أما الصيغة الحقيقة لعنوان الكتاب فهي: "نور الطرف ونور الظرف"

ونجدها واردة في قول الحصري: " وفيما القى إليك في هذا الكتاب ، الذي هو نور الطرف ونور الطرف، المختار الكثير مما ليس في الكتاب الكبير."¹

والقارئ لهذا العنوان سيلاحظ بان هذا الخطاب الصغير جاء في قالب سجعي بديع على عادة عناوين كتب الحصري الأخرى ،كتاب "زهر الآداب وثمر الألباب" وكتاب "جمع الجوادر في الملح والنوادر" وكتاب "المصون في سر الهوى المكون". وينسحب الكلام على بعض المؤلفات الأخرى لغيره من النقاد الذين عاصروه كتابي: "أنموذج الزمان في شعراء القبروان" وكتاب "قراضة الذهب في اشعار من ذهب" لابن رشيق القيرواني، وليس هذا الأمر غريبا على رجل قال عنه تلميذه ابن رشيق : "كان شاعرا ناقدا عالما بتنزيل الكلام وتفصيل النظام ،يحب المجازنة"²

العنوان الكتاب مركب، بحيث يتكون من جملتين اسميتين وقد تكررت فيه كلمة النور
مرتين مرتبطة بمفردتين آخرتين متماثلتان في البنية التركيبة مختلفتان من حيث
المعنى وذلك ما ادخلهما في باب الجناس الناقص.(الطرف، الظرف)

فعلى صغر حجم هذا النص إلا انه استطاع أن يستقبل شكلين مختلفين من أشكال البديع (السجع والجناس) مما احدث تناقضاً بين الكلمات إذ ينشأ التناقض عن تكرار

¹ النورين، الحصري القيرواني، ص 100

² أنموذج الزمان، ابن رشيق القيرواني، ص 46

بناءات متماثلة أو تكرار جذور متماثلة¹، وتلكم مهارة نادرة لا يبلغها إلا من أوى براعة في ترويض الحروف بحيث يمكنه أن يخلق تزاوجا فنيا بين شيئين مختلفين في جملة قصيرة. لأن المعنى في ستر خبيء يخرج به اللفظ البديع مزهويا يسرق لب العقول ويفتن، فالأسجاع والتشابيه والمجانسات مظهر من مظاهر الافتتان بالقول وحماية الروح.²

ويقودنا هذا العنوان (نور الطرف ونور الظرف) للأخذ بقول الذي يرى أن : "ابرز ما توجهنا إليه فكرة البديع هي ظاهرة الثنائيات التماثلية ، وكل زوج يحتاج إلى زوج آخر يكمل بنيته . فليست هذه الثنائيات التي أوجدها ظاهرة التكرار المقطعي على سبيل (التشاكل، التقابل، التباين النصي) والتي اجلت جماليات النصوص القديمة وجددتها مجرد ثنائيات منغلقة في بيئتها أنها فتح لغة واستجلاء حسن مظهر في النص كنوع من الكهانة اللغوية أو اللغة السحرية الخاصة التي تحتاج إلى لفتات ذكاء ، وزاد من الإدراك والوعي لفهم هذه اللغة السحرية فهي تُخرج من السلامة كثافة ، ومن البيان خفاء، ومن التصرير إشارات، ومن الوضوح غموضا".³

ومن ثمة يمكننا أن نقدم الانطباع الذي يجعلنا نقول بان لغة الحصري من خلال عناوين كتبه هي لغة ذات نموذج شاعري تشعرك بلذة الانزياح الذي يكتنفها ، خاصة وان هذه اللغة جعلت من البديع منهلا و متكا ، والبديع شكل من أشكال انحراف اللغة وانصرافها الى جنان من الحسن.

فالنور وكما جاء في لسان العرب : "الظاهر الذي به كل ظهور ... والظاهر في نفسه المظهر لغيره ".⁴ وهذا ما نجده متجسدا في الشمس والقمر والنجوم والأسرجة أو المصابيح والشمع والنار والبرق فقط ، وأما أن يكون ما عداهما منيرا فذلك كلام لا

¹ الشعرية العربية، جمال الدين بن الشيخ، ترجمة مبارك حنون ومحمد الوالي ومحمد اوراغ، دار طوبقال، الدار البيضاء المغرب، دار غاليمار باريس فرنسا، ط1 1996 ، ص 285

² محاورات مع النثر العربي، مصطفى ناصف ، 1997 ، ص 111

³ المعرفة التاريخية للنقد العربي القديم، مجدى احمد توفيق، دار الوفاء الإسكندرية، ط1 ، 2001 ، ص 187

⁴ لسان العرب ابن منظور ، تتح عامر أحمد جهور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2003 ، مادة "نور"

يمكن أن يقوله إلا الشعراء أما ما جاء في لسان العرب عن الطرف انه: "اسم يُجمع
الطرفاء وقلمًا يستعمل في الكلام إلا في الشعر."¹ وهذا ما يجعلنا نطمئن للقول بان
شاعرية الاسم - إن جاز لنا التعبير بذلك - من وراء توظيف الحصري له وذلك مما
قد يدفعنا للثقة أكثر في ما توقعناه حول تفضيل مؤلف النورين للقريض. كما نجد ان
كلمة "الطرف" متعلقة مع الشعر من جانب الحسن والبراعة² وهذا ما يقوله لسان
العرب: "ويجوز في الشعر ظرافه".³ كما تحمل هذه الكلمة معنى: الحدق بالشيء ،
وهذا ما يعكس لنا احترافية الحصري في انتقاء مفردات العنوان التي تحيل على
شخصيته من جهة وتحيل على طبيعة المدونة من جهة ثانية . فإذا كان الطرف يعني
الصدق بالشيء فذلك أن الحصري - على المستوى الشخصي- قد يعميله إنجاز العمل
المطلوب منه، بدليل انه استطاع أن ينجز قبل ذلك كتابا(الزهر) وقام بمثل ذلك في
الكتاب الثاني (النورين) . واعتبر الأول (كتاب الزهر) من أمهات كتب الأدب ، ولربما
ذلك ما دفع بأحد كبراء عصره أن يطلب منه تصنيف كتاب يوازيه ظرافاً أو يتتفوق
عليه. وفي هذا الصدد يقول الحصري: "وقلت اجعله كالمختصر من الكتاب الموسوم
بزهر الأدب وثمر الألباب ، الذي ضمنته كل لطيفة ونظمته بكل طريقة فجاء بديع
الغرر رفيع الدرر صحيح الحوك مليح الحبأ".⁴

ومن جهة أخرى - على مستوى المدونة - نجد أن مؤلف النورين في مستوى كلمة
"الطرف" التي تعني البراعة وذكاء القلب ، لأنه عمد بشكل مهاري إلى توسيع كتابه
بالمستدر المختار من كلام ملوك النظم والنشر . لاسيما وان الاختيار كما ي قول
ال Hutchinson: "ميسن العقل ومعلم الفضل ".⁵ وهذا ما يجعله يحاول جهده ويبذل ما عنده
حتى يقدم لصاحب الطلب شيئاً جميلاً مما لم يتكرر فيتكرر ويتوالى على الأسماء
فتتجه الطبع ، وتكثر روایته فتم حكايتها . لعلمه بإغراق صاحب الطلب في العلم

¹ المرجع نفسه، مادة "طرف"، 4590/6.

² الطرف : البراعة وذكاء القلب .. وقيل الحدق بالشيء لسان العرب مادة "طرف" 2747 / 4

³ لسان العرب مادة "طرف" 2747 / 4

⁴ النورين، الحصري القبرواني، ص 101

⁵ المرجع نفسه، ص 103

والفهم والاطلاع على مثل ما جاء به الكتاب ،فلعل الرجل سيد في النورين شيئاً
يسندره.¹

ومن ثمة فان العنوان (نور الطرف ونور الظرف) خارج عن المألوف في واقع القارئ ومتجاوز لأفق توقعاته، لكنه رغم ذلك يشارك في استدراج المتلقي وفي تحقيق اهتمامه به وربما إثارة الإعجاب به أيضاً لانه - العنوان - يستعين "بظاهرة الانزياح" وهي ظاهرة أسلوبية جمالية اهتم بها النقاد باعتبارها قضية أساسية في تشكيل جماليات النصوص الأدبية² ويعني الخروج عن الاستعمال العادي المألوف للغة بحيث تصبح اللغة في مداره اقرب الى الشعر منها الى النثر ،بل لا يوجد شعر- حسب كوهين - يخلو من الانزياح³. لأن الشعر في حد ذاته هو انحراف عن اللغة النثرية المألوفة. وأغلب النقاد يميلون للرأي القائل بانطواء العنوان على قدر من الشعرية التي تضيف الى معانيه الذاتية معاني ودلالات النص الذي يسمه.⁴

وعطفاً على ما أوردناه حول حب الحصري للمجازة التي تحققت في أولى عتبات هذه المدونة، فإننا نواصل إيراد ما قاله التلميذ ابن رشيق في أستاذة الذي : "يرغب في الاستعارة تشبهاً بابي تمام وتتبعاً لآثاره ".⁵ وهذا للتأكيد على تحقق هذه الخاصية الفنية التي اعتمدتها الحصري حتى في عملية العنونة وذلك أن الصورة البيانية التي جاءت بها كلمتي العنوان الأوليين هي استعارة مكنية حيث قرن الحصري بين شيء مجرد⁶ (الطرف) وشيء ظاهر في نفسه ومظهر لغيره (النور) في صورة بدعة.

¹ ينظر المرجع نفسه، ص 102، 103.

² الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث (الأسلوبية والأسلوب)، نور الدين السد، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر ط 1، 179 / 1.

³ استراتيجيات القراءة والتأصيل والإجراء النقدي، بسام قطوس مؤسسة حمادة ودار الكندى للنشر والتوزيع اربد الأردن، ط 1 1998 ص 138.

⁴ ينظر علم العنونة، عبد القار رحيم، ص 87، 88.

⁵ أنموذج الزمان، ابن رشيق القبرواني، ص 46.

⁶ لأننا نتعامل مع الكلمة "الطرف" في سياقها الذي ورد في عنوان الكتاب ، والمقصود بها في عموم اللفظ الشيء الطريف الغريب العجيب النادر.

فكما أن النور يصرف الظلام فان الطرف يصرف الكدر والملل فمن معاني الكلمة:

"يقال طرُفتْ فلاناً أطْرُفَهْ إِذْ صَرْفَتْهُ عَنْ شَيْءٍ."¹

وعادة ما تستطرف النفوس جديد الأشياء وذلك ما يجعلها تتصرف إليها من القديم الجوهرى يقول: "يطرف بصرك عنه أي تستطرف الجديد وتتسى القديم ."² وهذا ما يمكن ان نجعله معاذلاً موضوعياً لتلك النظرة النقدية الايجابية للحصرى إزاء المحدثين من الشعراء حتى أننا نجده يبالغ في الاحتفاء بهم من خلال هذا الكتاب فيقول: "وشحتها بالمستدر المختار من كلام ملوك النظم والثر من أفراد أهل العصر الذين قهروا السابقين وبهروا اللاحقين بكريم عنصر البلاغة وصميم البراعة."³

"ويقال أطرف الرجل : أعطاه مالم يعطه احد قبله وأطرفت فلانا شيئاً أي أعطيته شيئاً لم يملك مثله فأعجبه ."⁴ وهذا الكلام منسحب على كتاب النورين الذي جاء بجديد بجديد ليس في كتاب الزهر حيث يقول الحصرى: "وفيما القى إليك في هذا الكتاب الذي هو نور الطرف ونور الظرف، المختار الكثير مما ليس في الكتاب الكبير ."⁵

ونضيف في هذا السياق معنى آخر لكلمة الطرف التي كدنا نقول بأنها مدار المدونة ومحور العنوان لأنها تختزن جل المعطيات المتعلقة بالنورين ، فهي كلمة متعلقة مع النور كما رأينا من حيث تحقيق الفائدة واللذة، حتى أننا وجדنا في لسان العرب مailyi:

"الطرف من منازل القمر كوكبان يقدّمان الجبهة وهمما عينا الأسد ينزعُلُهُما القمر ."⁶

كما وجدنا في معنى الكلمة(الطرف) ما يحيل حتى على منهج الكتاب حيث جاء في لسان العرب: ورجل طرف ومستطرف لا يثبت على أمر ⁷ وكذلك وجدنا كتاب

¹ لسان العرب، ابن منظور، مادة "طرف" 4/ 2658

² المرجع نفسه، مادة "طرف" 4/ 2658

³ النورين، الحصرى القيروانى، ص 103

⁴ لسان العرب، ابن منظور 4/ 2658

⁵ النورين، الحصرى القيروانى، ص 103

⁶ لسان العرب، ابن منظور، 4/ 2658

⁷ لسان العرب مادة "طرف" 4/ 2658

النورين الذي لم يمش على نهج معين أو أسلوب مدروس، وإنما هو مجموعة نصوص وأخبار جمعها الحصري في أزمان متباينة ثم ألف بينها دون ترتيب معين ولا تثبت على منهج ما. وهو منهج مقصود حتى يدفع الملل على قارئه وهذا ما يؤكّد المؤلّف: ... فنثرت ما سطرت على غير تبويب وجمعت ما صفت على غير ترتيب وذلك اقرب الى نشاطك واوجب لانبساطك¹

ونحن نعلم بان لكل جديد لذة ،وان الحصري ضمنيا من أنصار المحدثين ولربما يكون قد فضل تقديم الكلمة الطرف على الطرف بالنظر الى معنى الكلمة الأولى التي سبق وعرفنا أنها تفيد الشيء الذي لم يسبق وان عُرف أو إمتلك . وهذا ما يجعله يرغّب في تقديم الشيء الجديد غير المعروف عن الآخر المعروف نظراً لتقادمه، فمن المنطق هنا أن تنتقد الطرف على الطرف . حتى أنت في الترتيب الأبجدي لحروف اللغة نجد تقدم حرف الطاء على الظاء وقد يكون ذلك سبباً لدى الحصري في ترتيبه لكلمات العنوان بهذا الشكل.

ثم على صعيد آخر نتجه بقراءتنا إزاء المواطن التكاملية بين كلمتي "الطرف والظرف" من جهة وبين الكلمتين والنور من جهة ثانية ،حيث نجد أن كليهما يدفع الملل والقدر عن النفس فالاستطراف يصرف ذلك بندرة وغرابة أشياءه ،والظرف بروعة معانيه وكلماته . مادام من معاني الاستطراف حسن العبارة ،ونحن نعلم ما للعبارة الحسنة من اثر طيب على القلب . كما أن كليهما طابع شعري أسهם في تشكيل شعرية العنوان ومنه رونقا وجاذبية ،والأمر كذلك مع كلمة "النور" الذي يدفع الظلم ويجعل النفس تهتدي مطمئنة إلى ما حولها مثلاً يهدي الطرف والظرف إلى خبرات جديدة تفيد المطلع عليها.

وكما أن الطرف والظرف مرتبطان بقيم اللذة والجمال ،نجد ان النور كذلك . حيث جعل الله النور ميزة من ميزات أصحاب الجنة (نورهم يسعى بين أيديهم) وقد اعتادت العرب أيضاً أن تشبه كل جميل بالبدر المنير أو بالشمس المضيئة.

¹ النورين، الحصري القيرياني، ص 106

ومadam القصد من هذه القراءة أيضا هو معرفة ما إذا كان العنوان نقطة وصل قرائية جمعت بين أجزاء المدونة وبين المتلقي الذي تمثله الحصري ،كان يجب أن نتسائل أولا: هل كان الحصري على دراية بمستوى المستقبل لمادة الكتاب ؟

و قبل أن نجيب على هذا السؤال لابد من توضيح بواعث هذا التسائلا ال ذي انبثق من محيط العملية التواصلية أني يحظى المتلقي بفاعلية كبيرة ،بدعوى أن ما أنتجه المبدع(المرسل) هو رهن قابلية المتلقي(المرسل إليه) . لأن أي استقبال من القارئ(المتلقي) لعمل ما يشتمل على اختبار لقيمة الجمالية ،مقارنا بالأعمال التي قرئت من قبل ¹ . وبات من الأحسن تركيز الانتباه على العلاقة بين القارئ والنص ² ، لما للقارئ من دور حاسم في بعث الحياة في النصوص المنجزة ،إذ لو لا القارئ لما كان لهذه النصوص وجود أصلا³.

أما الإجابة عن السؤال ف تكون كذلك : نعم. يدرك الحصري طبيعة متلقي الكتاب . والشاهد على ذلك قول المؤلف: "ومع علمي انك اغرق في الفهم نصولاً واعرق في العلم أصولاً، فعله يمر بك في تصاعيف هذا التأليف شيء تستدره مما تؤثره"⁴.

لكن بالرغم من معرفته بالقدرات العلمية للرجل إلا انه غير عارف بنوعية ما يتتوفر لديه من شاكلة مادة كتاب النورين ،وذلك ما يجعله يجده عقله في الانقاذه حيث يقول: "ولو كنت اعلم غيب ما لديك لما أوردت شيئاً مما وقع إليك من حديث ولا قدیم في نثیر ولا نظیم،ولکنني أجهد جهدي وابذل ما عندي".⁵

مما سبق تبين لنا أن الحصري يتوقع من قارئه الظفر بمادة تحوز على إعجابه واستلطافه، ومن ثمة قدم له طبيعة المادة المشكلة للنورين في خطاب مختصر يعكس مدى استجابة الحصري ونزوله عند رغبة الرجل الذي طالبه بهذا النوع من المواد الأدبية (الطريقة ، الظريفة) وذلك ما جعل العنوان بالفعل ترجماناً حقيقياً لعوالم

¹ مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل، إفريقيا الشرق الدار البيضاء المغرب، ط1، 2002 ص 120، 121.

² المرجع نفسه، ص 118

³ علم العنونة، عبد القادر رحيم، ص 88

⁴ النورين، الحصري القبرواني، ص 103

⁵ المرجع نفسه، ص 102

النورين، ومن ثمة فإننا نرحب بالفكرة التي ترى أن العنوان للقارئ هو الأصل والنص فرع أو قل فروع دلالية للجملة المركبة المشحونة(العنوان)¹. لأن الدلالات التي تكون النص تشكل امتداداً لتمثيل فكرة ومفردات العنوان.²

ومن هنا فإننا نقول بأن العنوان المتداول استطاع أن يرسم لنا لوحة تعريفية بموضوعات الكتاب التي أمعتنا جماليات طرفائه وطرفائه المستقة من ينابيع الحكمة وباقات الأمثال العربية وحدائق الفنون الأدبية بشكل شامل على اختلاف جغرافيها مبدعاتها وتفاوتهم التاريخي، ولا جرم من القول انه(العنوان) كان رسالة لغوية عرّفت بهوية النص وأداة حددت مضمونه وجذبنا إليه كقارئين³. وهذا ما يكسب العنوان قيمته في نظر بشري البستانى التي ترى بأنه "رسالة لغوية تعرف بتلك الهوية وتحدد مضمونها، وتذنب القارئ إليها وتغريه بقراءتها وهو الظاهر الذي يدل على باطن النص ومحتواه."⁴

وعليه نقول أن عنوان الكتاب استطاع أن يستقبل محور المدونة بصفة تدعوني للإعجاب به كقارئ، ومن ثمة فإننا نردد ما قاله أحد الباحثين : "ان العنوان يتوسط حلقة الاتصال بين المتكلّي والنص ، مما ينتج جسراً مفروضاً على المتكلّي لا يمكن له أن يمر إلى النص إلا من خلاله ."⁵ وإذا ما اتخذ القارئ العنوان وسيلة لولوج النص فإنه يصير مزوداً بأحد أهم مفاتيح الشيفرة الرمزية.⁶

أما ما يتعلق بالإجابة عن الإشكالية التي طرحت موضوع علاقة العنوان بما جاء في المدونة من مقاييس نقدية فنقول باختصار أن: كتاب النورين لم يكن منجزاً نقدياً في أصله، بل مدونة للمختارات الأدبية . ومن ثمة فإننا لم نطالع ممارسة نقدية واضحة المعالم بل وجدنا أراءً تكاد تكون ضمنية في معظمها وهي متوزعة في تضاعيف

¹ علم العنونة، عبد القادر رحيم، ص 40

² التناص في شعر الرواد، أحمد ناهم، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ط 1 2004، ص 77

³ شعرية عنوان الساق على الساق فيما هو الفاريقي، محمد الهادي المطوي، مجلة عالم الفكر، مجلد 28 العدد الأول سبتمبر 1999، ص 457

⁴ قراءة في الشعر العربي الحديث، بشري البستانى، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، ط 1 2002، ص 34

⁵ علم العنونة، عبد القادر رحيم، ص 90

⁶ العنوان وسيميويطيقاً الاتصال الأدبي، محمد فكري الجزار، ص 68

النورين الذي لم يعن مؤلفه بالمناقشة والتعليق على ما جاء فيه إلا قليلاً، ومن ثمة فإننا نتحدث عن وجود فجوة واضحة بين العنوان وبين ما وجدناه من إشارات نقدية. وهذا بالمقارنة بين هذا العنوان وعنوان الزهر الذي يحيل على وجود بصمة للعقل النقي في الكتاب من خلال عبارة "ثمر الألباب".

لكن هذا لا يمنعنا من القول بأن العنوان يحيل على موقف نceği ايجابي نستنتجه من خلال تأملنا في كلمة "الطرف" التي جاء عنها في أساس البلاغة أن: "الطرف" للمستحدث المعجب.¹ فقد وجدنا الحصري معتنباً في اختيار النصوص بأشعار المحدثين مبتعداً عن الأدب القديم لسيرورته بين الناس، وقد التفت إلى الغريب والجديد وخاصة في معاني المحدثين نثراً وشاعراً، وقد أشرنا سابقاً إلى مبالغته في وصف هؤلاء المحدثين بقوله: "قهروا السابقين وبهروا اللاحقين".²

ومن ثمة فنحن لا نشعر بوجود فجوة حقيقة بين العنوان وطبيعة الفلسفة الانتقائية للمؤلف لأن اختيار موضوع دون آخر والاستشهاد بأبيات دون أخرى والميل إلى نوع أدبي دون غيره يعتبر نظرة نقدية بالأساس، فصناعة الاختيار صناعة العقل حسب ما قاله أحد الحكماء اليونانيين.³

¹ أساس البلاغة، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، تتح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط 1، 1998.

² ينظر النورين، الحصري القررواني، ص 59

³ المرجع نفسه، ص 105

الفصل الثالث

تأملات نقدية في المدونة

- المبحث الأول : النقد والقضايا في النورين
- المطلب الأول: قضايا الإبداع الأدبي
- المطلب الثاني: النقد المجمل (الجملي)
- المطلب الثالث: النقد الأخلاقي (الخلقي)
- المبحث الثاني: مقارنة بين كتابي "الزهر" و"النورين"
- المطلب الأول: مسألة الاختصار بعيون الباحثين
- المطلب الثاني: أوجه التشابه
- المطلب الثالث: أوجه الاختلاف
- المبحث الثالث: المصطلحات الموظفة في الكتاب
- المطلب الأول : سبر المصطلحات
- المطلب الثاني : تعريف أو شرح بعض المصطلحات
- المبحث الرابع: نظرات نقدية حول الكتاب
- المطلب الأول: ما قيل عن التحقيق
- المطلب الثاني: قيمة الكتاب ومنزلته

يقوم هذا الفصل على محاورة العقل النقي للحصري القير واني، وذلك من خلال محاولة التعرف على المؤشرات النقدية التي احتضنتها هذه المدونة الأدبية. ومن ثمة سنحاول من خلاله أن نجيب على بعض الأسئلة التي طرحتها في مستهل البحث والتي مفادها :

- 1- هل يحتوي الكتاب على حمولة نقدية تترجم لنا الثقافة النقدية لمؤلفه؟
- 2- أين يمكن أن نضع الخط الفاصل بين كتابي الحصري: زهر الآداب وثمر الألباب، وكتاب نور الظرف ونور الظرف؟ أو بمعنى آخر فيما تبدو ملامح التقاطع بين الكتابين، وما هي المفارقات الرئيسية بينهما؟؟؟
- 3- نتسائل في هذا الصدد عم إذا كان الكتاب مرآة عاكسة لمذهب الحصري الديني؟ باعتبار أن معظم النقاد والشعراء المغاربة كانوا فقهاء نظراً لخصوصية الثقافة الاجتماعية السائدة، ونظراً للظرف التاريخي الذي جعل إقليم المغرب يقرب الفقيه العابد على الشاعر المبدع كما علمنا ذلك سلفا.

وعليه فقد قسمنا الفصل إلى ثلاثة مباحث، سيحاول المبحث الأول أن يجيب على السؤالين الأول والثالث، بينما تقصينا في المبحث الثاني إجابة السؤال الثاني الذي وقفنا فيه على مسألة اختصار النورين من الزهر أولاً، ثم على أوجه التشابه والاختلاف بين الكتابين ثانياً.

١ - المبحث الأول : النقد والقضايا في النورين

ستتناول في هذه الورقة البحثية أهم المسائل النقدية المطروحة في النورين والتي كانت محل اهتمام المشهد النقدي على تلك الفترة، وهي القضايا ذاتها التي تعرضنا لها ضمن سطور المطلب الثالث في المبحث الثاني من الفصل الأول لهذا البحث. وقد أضفنا إلى هذه المسائل اجتهادنا الخاص في استتباط موقف الحصري من إحدى المسائل الهامة في هذا المضمون، وهي قضية المفاضلة بين الشعر والنشر.

لكن الجدير بالذكر في بداية هذا المبحث أن كتاب النورين ليس كتاب نقد، بل هو مصنف أدبي محض لم يتناول فيه المؤلف شيئاً من النحو والتصريف واللغة، بل قصره على فنون القول من شعر ونثر وما يتصل بذلك من ضروب البلاغة وجمال الصياغة وإصابة التشبيه وحسن الإنشاء وجودة الخطابة. ومن ثمة يمكننا القول أن حظ النقد في هذا الكتاب قليل وبسيط، وقد ينسحب هذا الحكم على مختلف مؤلفات الحصري كما يعبر عن ذلك بشير خلون القائل: "لقد كان حظ الحصري من النقد قليلاً، ولكنه مع ذلك يعتبر من النقاد الذين ظهروا في المغرب في هذه الفترة الظاهرة بأدبها وأدبائها".^١

وبحسب ما اطلعنا عليه في الكتاب اتضح لنا أن آراء المؤلف النقدية قليلة متوزعة عبر تصاويف المدونة، وهي عبارة عن أحكام موجزة عامة يوردها الحصري دون أن يلزم نفسه بالتفصيل أو التعليل، ولكن من استقرائنا لمختاراته في النورين استطعنا أن نصل إلى أهم آرائه النقدية في المسائل التي نوردها كالتالي:

^١ الحركة النقدية على أيام ابن رشيق، بشير خلون، ص 87

١-١) المطلب الأول: قضايا الإبداع الأدبي

- السرقات الأدبية:

وهي القضية التي استحوذت على اهتمام كبير من لدن المؤل، بالنظر الى موسوعية الحصري الذي أتاح له توسعه في الاطلاع ان يقف على نقاط التقاطع بين المبدعين فكثير ما نجده يجمع الأشباه والنظائر التي تدفعه لعقد موازنات بين الشعراء ، إلا انه وكعادته لا يصرح برأيه في الموضوع ولا يحدد مصطلحات للسرقة ولا يحدد أنواعها ولا يشير الى المقياس الذي يجعل السرقة عيبا . عدا بعض الإشارات المتعلقة بأخذ المتأخر عن المتقدم والحكم على المتأخر بأنه دائم الأخذ عن السابقين أو التصريح بأخذ الشعراء عن بعضهم في بعض النصوص ، وعدم التصريح بالأخذ في مواضع أخرى . ويشير في بعض المواضع الى احتذاء شاعر طريقة شاعر معروف آخر أو متابعته له في المعنى ، وهو ما يعرف بالتأثير .

وسنمثل لهذه الأقسام في السطور الآتية :

أ - ما يصرح فيه بالأخذ :

يعني بأخذ السرقة الصريحة الواضحة التي يعجز الأديب عن إخفائها سواء كانت في المعنى فقط أم في المعنى واللفظ معا ، ونذكر على سبيل المثال ما قاله المؤلف في الأخذ في المعنى :

"أخذ محمد بن علي العلوى معنى مبتakra وبديعا في الخروج من مسلم بن الوليد ، مخالفًا في ذلك ابن دريد الذي يقرر أسبقية العلوى إلى هذا الخروج – يقول محمد بن علي العلوى في قصيدة طويلة :

لأن نذير الشمس يحكى ببشره علي بن داود أخي ونبي

يقول ابن دريد عن هذا الخروج: ما سمعت مثل هذا الخروج قط (فيخالفه الحصري قائلا): وإنما أخذه من قول مسلم بن الوليد

أجدك ما تدرин أن رب ليلة كان دجاه من قرونك ينشر

نصبت لها حتى تجلت بغرة كفارة يحيى حين يذكر جعفر.¹

ويؤكد الحصري ذلك لأن هذا المعنى من المعاني النادرة فالأخذ يكون فيه صريحاً وفي الغرض نفسه وهو المدح، يقول الحصري معلقاً على ذلك: "والشيء يذكر بما يدانيه من جهة معانيه".²

ومن هذه النصوص ما يكون الأخذ فيه في المعنى واللفظ نحو أبيات ذكرها الحصري لشمس المعالي منها قوله:

"أما ترى البحر تطفو فوقه جيف ويستقر بأقصى قعره الدرر"

يرى أنها مأخوذة من قول ابن الرومي:

كالبحر يرب فيه لؤلؤه سفلاً وتطفو فوقه جيفه

فالتشابه هنا في المعنى واللفظ متزاد.³

وقد يصرح الحصري بأن هناك أخذًا متبادلًا بين الشعر والثرثرة لما يراه من التشابه في المعاني الشعرية والثرثرة، ومن أمثلة ذلك قول المطوعي في قصته مع الأمير أبي الفضل الميكالي: "فلما سل سيف الصبح من غمد الظلام

(يقول الحصري): اخذ المطوعي قوله فلما سل ... الخ، من قول أبي الفتح البستي:

رب ليل اغمد الانوار إلا نور ثغر أو مدام أو ندام

قد نعمنا بدياجيه إلى أن سل سيف الصبح من غمد الظلام

والأخذ هنا في المعنى واللفظ معاً.¹

¹ النورين، الحصري القيرياني، ص 66، 67

² المرجع نفسه، ص 67

³ المرجع نفسه، ص 68، 67

ب نصوص لا يصرح فيها بالأخذ:

وذلك عندما يلاحظ فيها تشابها في المعنى بين شاعرين أو أكثر ، وغالباً ما تكون عباراته فيها (و هذا قول فلان).

منها ما يكون بين شاعرين وهو النوع الغالب ، ومن ذلك ذكره أبياتاً لابن الرومي آخرها قوله في الشمس:

"**ظلت تسارينا وقد بعثت ضوءاً يلاحظنا بلا لهب**

(يقول الحصري): هذا وصف الشمس كما قال ابن المعتز:

تظل الشمس ترمقنا بطرف خفي لحظه من خلف ستر

فقد تشابه الاستعارات بل تطابقهما في هادئين البيتين.²

ومنها ما يكون أكثر من شاعرين فهو يذكر مثلاً أبياتاً لابن المعتز آخرها قوله:

"**الحسن فيه كامل وفي الورى مختصر**

ثم يقول : وقد قال ابن الوكيع في المعنى الأخير من هذه الأبيات:

صوره خالقاً جاماً لكل شيء حسن بارع

فكل حسن في جميع الورى مختصر من ذلك الجامع

وقد قال ابن الرومي في هذا المعنى:

لا شيء إلا وفيه أحسن فالعين منه إليه تنتقل

فوائد العين فيه طارفة كائماً اخرياتها الأول.³

¹ المرجع السابق، ص 69

² المرجع نفسه، ص 81

³ المرجع السابق، 82

فيلاحظ هنا التقارب في معنى واحد عند ابن المعتز وابن وكيع التنسسي وابن الرومي ولا يصرح بالأخذ والسرقة، ربما لعدم استطاعته الجزم بذلك فلا يدرى أية سبق إلى هذا المعنى لأنهم من عصر واحد تقربيا.

ومن نصوص الحصري ما يلحظ فيه التشابه والتقارب بين معنى في الشعر وأخ ريماثه في النثر، ولكنه لا يصرح فيما بالأخذ. ومن أمثلة ذلك ذكره أبياتا وردت دون عزو في آخر رسائله للصاحب بن عباد هي :

"عشا لنا بالابرقين تأبدت ايامه وتجددت ذكراه

والعيش ما فارقته فذكرته لهفا وليس العيش ما تنساه

(يقول الحصري عنه) : وهذا كقول الحسن بن سهل : حد الطرب مابقى سروره يتخيل في النفس ويتردد في الفكر .¹

ج- نصوص يشير فيها الحصري إلى احتذاء شاعر طريقة شاعر آخر معروف أو متابعته له في المعنى، وهو ما يعرف بالتأثير.²

ومن ذلك إشارته إلى متابعة تميم بن المعز طريقة ابن المعتز في تشبيهاته و بديعه فيقول: "كان تميم بن المعز يقتفي طريقة ابن المعتز في التشبيهات وبدائع الصفات في سلوك ألفاظ الملوك".³

- الطبع والصنعة:

سلف و اشرنا الى ميلان ناقدنا الحصري إلى التوسط بين الحالتين من الطبع والصنعة، فهو معجب بالمطبوع الجيد والمصنوع المثقف . ولكن الشيء الذي ينكره هو التكلف والتعمل والجري وراء الألفاظ على حساب المعنى فيأتي الشعر مهلهلا

¹ المرجع نفسه، ص 83

² المرجع نفسه، ص 84

³ المرجع نفسه، ص 85

كثير الخطأ ضعيف الصواب .¹ رغم أننا نجده يميل إلى البديع ويلتزم غالباً في أسلوبه، لكنه يقدم في إحدى نصوصه مفهوماً للطبع لديه حيث يقول: " فهو الكلام الذي تميل إليه النفس ويجد لديها قبولاً ويكون من السهل الممتنع الذي اعتنی بمعناه كما اعتنی بلفظه وأسلوبه، لأنه إذا أهمل لفظه خرجت معانيه وأشعاره إلى حيز المستهدم الرث والمستوخر الغث فأصبحت مستكرهه ، وأما المصنوع فهو الذي اعتنی به صاحبه فتفقه ونقحه بألوان البديع ولكن قد تجره المبالغة في التصنّع إلى التكلف وفساد المعنى".²

- القدماء والمحدثون:

لم يقدم رأياً صريحاً في الموضوع ، لكن التأمل في نقيره يجعلنا نعتقد انه كان ميلاً للحديث من خلال إعجابه بأهل العصر الذين بذوا من سبقهم وبهروا من لحقهم ، وذلك ما يجعله يتولّ إلى اختيار كتاباتهم ويعقد لها فصولاً قائمة بذاتها لأنّ لفاظهم في شتى أنواع المختارات التي رصدّها بل ويدعوا الناشئة إلى الاحتذاء بأهل ذلك الزمان لأن ذلك أيسر لهم في الحفظ والمذاكرة والمناظرة لأنّ النفس اقرب إلى ما قرب منها مما بعد عنها، ولأنّ ما يتولّى على الأسماع وتكثر روایته تملّ حكايتها فتمجّه الطياع.

وممّا يشجّعنا على هذا الاستنتاج ، هو ميلانه الكبير إلى البديع الذي طغى على شعر المجددين.

كما أن الحصري حاول بل قام بكشف جوهر الصراع بين الأجيال ، فهناك من يتعصب للقديم ليس لقيمة فنه ولا لجمال أسلوبه أو رونق فضله ، وإنما هو تشبت أعمى بالقديم حقاً وباطلاً . ويورد الحصري هنا قصة أبي نواس: عندما كان عبد الله محمد بن زياد الأعرابي يطعن في أبي نواس ثم جمعه إحدى المجالس بأحد رواة شعر أبو نواس

"روى أبو هقان قال: كان أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي (ت 231هـ) يطعن

¹ الحركة النقدية على أيام ابن رشيق، بشير خلون، ص 205

² النورين، الحصري القيري وани، ص 76

في أبي نواس، ويعيب شعره، ويضعفه ويستلنه، فيجمعه مع بعض رواة شعر أبي نواس مجلس والشيخ لا يعرفه، فقال له صاحب أبي نواس:

أتعرف – أعزك الله. أحسن من هذا؟ وأنشده: "ضعفه كـ الطرف ... الأبيات،
قال: لا والله، فلمن هو؟ قال للذى يقول:

عَفَّ عَلَيْهِ بَكَا عَلَيْكَ طَوِيلٌ

رَسْمُ الْكَرَى بَيْنَ الْجُفُونِ تَحِينٌ

هَتِ تَشَحَّطَ بَيْنَهُنَّ قَتِيلٌ

يَا نَاظِرًا مَا أَقْلَعْتُ لِحَظَائِهِ

فطرب الشيخ، وقال: ويحك: لمن هذا؟ فو الله ما سمعت أجود منه لقديم ولا
لمحدث! قال: لا أخبرك أو تكتبه، فكتبه، وكتب الأول، قال للذى يقول:

كَأسُ الْكَرَى فَانْثَشَى الْمَسْقَى وَالسَّاقَيِ

رَكْبٌ تَسَاقَوْا عَلَى الْأَكْوَارِ بَيْنَهُمْ

عَلَى الْمَنَاكِبِ لَمْ تَخْلُقْ بِأَعْنَاقِ

كَأْنَ أَرْؤُسَهُمْ وَالثَّوْمُ وَاضْعُهَا

هَتِ أَنَاخُوا إِلَيْكُمْ قَبْلَ إِشْرَاقِ

سَارُوا فَلَمْ يَقْطُعوا عَهْدًا لِرَاحَلَةِ

مَشْتَاقَةً حَمَلتْ أَوْصَالَ مَشْتَاقِ

مِنْ كُلِّ حَالَةِ الْطَّرْفَيْنِ نَاجِيَةٍ

قال: لمن هذا؟ وكتبه. قال: للذى تذمّه وتعيب شعره أبي علي الحكمي! قال: اكتم
علي. فو الله لا أعود لذلك أبداً¹

ويشير المؤلف في عدة مواضع من النورين إلى المعاني المولدة والمبتكرة عند
المحدثين، مثل أبيات أبي نواس في إيوان كسرى ويرى ذلك مما اخترعه أبو نواس

وعموماً نقول إن نظرة الحصري إلى هذه القضية هي نظرة مهمة خرجت عن
مضيق التعصب الذى عرفته مختلف النظارات النقدية القديمة ، وهو موقف ايجابي
يمكن اعتباره قيمة مضافة إلى الممارسة النقدية المغربية التي اتسمت بالاعتدال في
مختلف المسائل.

¹ النقد المغربي، محمد مرتابض، ص 69

- اللفظ والمعنى :

بما أننا لا نكاد نجد ملامحاً نقدية واضحة في النورين على اعتبار أنه كتاب أدبي إخباري، فإننا لم نستطع أن نقف للحصري على رؤية نقدية بينة حول قضية اللفظ والمعنى التي كدنا نقول من خلالها أن الحصري من أنصار اللفظ على حساب المعنى. ويظهر ذلك في إتباعه الاتجاه البديعي ، لكننا نذكر دائماً أن الرجل معتمد في تجربته النقدية التي عرفتنا بوسطيتها إزاء مختلف مسائل النقد . وذلك ما دفعنا لمشاركة السيدة أبو صالح رأيها القائل بتفضيل الحصري للتسوية بين اللفظ والمعنى¹ ، لأن تلامح المبني مع المعنى ينبع لنا جودة في الإبداع ويخلق لنا جمالاً فنياً على مستوى النصوص، ونحن إذ نقول ذلك نذكر هذا الطرح بقول الحصري نفسه وهو يمدح الأدباء المحدثين:

"فَكَثِيرٌ مَا أُرْدِتَ عَلَيْكَ رَوَاعِيْ حُكْمِهِمْ وَبَدَائِعَ كَلْمَهِمْ أَعْاجِمَ دَرَتْ لَهُمُ الْفَصَاحَةَ بِغَيْرِ عَصَابٍ وَسَبَقَتْ إِلَيْهِمُ الرِّجَاحَةَ بِغَيْرِ اغْتِصَابٍ إِذْ عَلِمُوا مَا آيَةُ مَعَانِيهَا وَكِيفِيَّةُ مَبَانِيهَا."²

- المفضلة بين الشعر والنشر :

انطلاقاً مما وقفت عليه خلال وصفنا للمدونة تبين لنا أن حجم المادة الشعرية أكبر من نظيرتها النثرية ، حيث احتضن الكتاب 1450 بيتاً، واستحوذت بذلك على نسبة 57 بالمائة من حجم المدونة . بينما بلغت نسبة المادة النثرية فيها ثلاثة وأربعين بالمائة ، بمعدل 140 قطعة نثرية . وهذا ما يجعلنا نتوقع أن الحصري من الأدباء الذين يميلون إلى تفضيل الشعر على النثر ، وقد استطعنا التوصل إلى هذا الاستنتاج بوحي من اتجهادنا الشخصي في تأويل بعض العبارات التي صرحت بها الحصري في مقدمة وختامة كتاب النورين . علاوة على غزارة المادة الشعرية الموجودة في النورين إذ

¹ ينظر النورين، الحصري القبروني، ص 79

² المرجع نفسه، ص 394

غالباً ما يكون الشعر مفتاحاً للفصول والألفاظ التي كان يعقدها الحصري لأهل العصر، ومن هذا المنطلق سنقدم المعطيات التي شكلت هذا الاستنتاج:

نحن على يقين من مسألة تأثر مؤلف الكتاب - في الفكر والمنهج - بالمدرسة المشرقية بدليل أن نسبة المادة المغربية الحاضرة في النورين لم تتجاوز 2 بالمائة من مجموع الكتاب، وقد علمنا سابقاً أن المصادر التي أفاد منها الحصري في تأليف الزهر هي مصادر مشرقة بامتياز وهذا ما يزكيه تصريح الحصري نفسه. كما لا يخفى علينا احتفاء المشرق العربي وتفضيله للشعر وعلى الخصوص مشارقة القرون الهجرية الأولى¹، بغض النظر عن مسألة الأسبقية بينهما - أي بين الشعر النثر - وفي هذا الصدد نجد الجاحظ يفضل الشعر بنوعيه، القصيدة والرجز على النثر الفني المتمثل في السجع والمزدوج إذ يقول: "فالسجع والمزدوج دون القصيدة والرجز"². ويفضل الحاتمي الشعر على النثر بقوله: "وجدت البلاغة منقسمة قسمين منظوماً ومنتوراً وأولى هاذين القسمين بالمزية والقدم للمتقدم المنظوم"³، ومن أنصار فريق الشعر نجد أبو هلال العسكري الذي فضل الشعر على النثر بأمور ترجع إلى الوزن وبقائه على أفواه الرواة واستفاضته في الناس وبعد سيره في الآفاق وحسن وقوعه على الأسماع والقلوب والى تأثيره في الأعراض والأنساب والى انه لا يقوم مقامه شيء في المجالس الحافلة، وان مجالس الظرفاء والأدباء لا تطيب ولا تؤنس إلا به وانه أصلح للألحان التي هي اهنى للذات، وان ألفاظ اللغة وشواهدها لا تؤخذ إلا منه وانه مصدر أخبار العرب وأدابها وعلومها وأنسابها فهو ديوان العرب.⁴

وفي الموضوع أراء كثيرة - أي آراء الفريقين من أنصار الشعر أو أنصار النثر - وليس غرضنا استعراض هذه الآراء التي لا تشكل جوهر موضوعنا وان ما أوردناه في هذا السياق يدخل في باب الإيضاح والتمثيل

¹ هذا لا ينفي أن هناك أنصار للنثر أيضاً، ولكن استعراض آراء هؤلاء وأولئك سيدخل بما في باب الإسهاب والسرد التاريخي فلتذاكرنا ذكر الآراء الموجودة أعلىه للتأسيس وتزكية الرأي الذي قلنا به.

² البيان والتبيين، الجاحظ، تج عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت، دت، 214/1،

³ من حلية المحاضرة، الحاتمي، تج مظفر الحجي، وزارة الثقافة السورية، دمشق 2000، 20/1

⁴ ينظر الصناعتين، ابو هلال العسكري، تج د/مفيد قمحية، دار الكتب العلمية بيروت، ط1981، 1، ص 156، 155

وإذا كنا قد ابتدأنا برأي الجاحظ حول موضوع المفاضلة بين الشعر فذلك أننا لاحظنا احتفاءً وتفاعلًا واضح من قبل الحصري - في النورين-. مع إنتاج الجاحظ الذي يعتبر مدرسة أدبية في حد ذاته ، حتى أنه استهل كتابه برأيين للجاحظ كما جعل أحاديثه تتردد في تصاعيف النورين وكأنه ضمنها- أي الحصري-. يحيل على ترحيبه بفكر هذا الرجل الذي يفضل النظم على النثر . وليس ذلك غريبا على الحصري الذي يقول في مقدمة النورين: "وضممت الأشعار إلى الأخبار ووشحتها بالمستدر والمختار من كلام ملوك النظم والنثر".¹

ويبدو أن الحصري قد تعمد تقديم كلمتي: الأشعار والنظم على كلمتي: الأخبار والنشر ، لأن جل ما حفظه العرب في جميل القول هو من جنس الشعر . ولأن العرب رأت الشعر أجدى من النثر في استيعاب كيانها ، وهذا ما يزكيه تلميذ الحصري الحسن ابن رشيق القيرواني إذ يقول: "وكان الكلام كله منتشرًا فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها وطيب أعرافها وذكر أيامها الصالحة ... لتهز أنفاسها إلى الكرم وتدل أبنائها على حسن الشيم ، فتوهموا اعاريض جعلوها موازين الكلام فلما تم لهم وزنه سموه شعوا لأنهم شعوا به أي فطنوا ... وقيل: ما تكلمت به العرب من جيد المنشور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ، فلم يحفظ من المنشور عشرة ولا ضائع من الموزون عشره".²

ويقول ابن رشيق في موضع آخر: " وكذلك اللفظ إذا كان منتشرًا تبده في الأسماع وتدحرج عن الطياع".³

وأغلب الظن أن ابن رشيق متأثر بنهج أستاذه الحصري وذلك ما يجعله يرحب في الشعر أكثر من النثر و ما يزيدنا ثقة في هذا الاستنتاج هو توافق رأي الأستاذ الثاني لابن رشيق- عبد الكريم النهشلي وهو من تلامذة الحصري أيضا- مع رأي ابن

¹ النورين، الحصري القيرواني، ص 102

² العمدة في محسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تتح محمد محى الدين عبد الحميد، دار الجليل بيروت ط 1985، 20/1، 20

³ المرجع نفسه، ص 20

رشيق لأن النهشلي يرى الشعر أبلغ البيانات وأطول اللسانين ، وأدب العرب المأثور وديوان علمها المشهور¹. ويبدو أن التلميذين كانوا على رأي أستاذهما.

كما أن عبارة "ضمنت الأشعار إلى الأخبار" توحى بقيمة الطرف المضموم ، إذ لو لم يكن للشعر المضموم إلى الأخبار المنتورة مزية تستحق الذكر لما أشار إليها الحصري. وحجتنا في ذلك قول ابن رشيق: "وكلام العرب نوعان منظوم ومنثور وكل منها ثلاثة طبقات جيدة ومتوسطة ورديبة ، فإذا اتفق الطبقتان في القدر وتساوتا في القيمة ولم يكن لإحداهما فضل على الأخرى كان الحكم للشعر ظاهرا في التسمية ، لأن كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة."²

ومن ثمة نقول أن تلك الأشعار تسهم في زيادة حسن وطرافة الأخبار .

وانطلاقاً من قول ابن رشيق الذي يرى أن العرب استثنن حفظ الكلام المنتور وحفظت بالمقابل اغلب ما جاء منظوما ، فقد استقر لدينا أن الحصري حاول أن يفيد أكثر من المادة الشعرية حتى يلقى كتابه قبولا واستحسانا لدى المهدى له . حيث يقول في خاتمة كتاب النورين " وفي هذا الكتاب أكثر المعونة بأيسر المؤونة على تتبّيه نائم الخواطر وتحريك ساكن السرائر ".³ وهذا ما وجدناه حاصلا في الكتاب حيث أن أكثر مادته من الشعر ، لأنه متيسر على الحفظ أو كما يضيف له عبد الكريم النهشلي أسباباً نفعية تتعلق بوظيفته - الشعر - إذ ترتاح له القلوب وتتجذر النفوس وتصغي إليه الأسماع وتشحذ به الأذهان وتحفظ به الآثار وتقيد به الأخبار .⁴

ومن العبارات التي جعلتنا نعتقد أن الحصري من أنصار الإبداع الشعري هو قوله في مقدمة النورين عندما صرخ بتشابه منهج هذا الأخير بكتاب الزهر : "لأنه يحذو حذوه وينحو نحوه في ملاحة النثر ورجاحة الشعر ".⁵

¹ ينظر الممتع في صناعة الشعر ، عبد الكريم النهشلي ، تتح عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط 1 ، 1983 ، ص 11

² العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، ص 20

³ النورين ، الحصري القيرواني ، ص 390

⁴ ينظر الممتع في صناعة الشعر ، عبد الكريم النهشلي ، ص 14

⁵ النورين ، الحصري القيرواني ، ص 103

و هذه العبارة توحى بتبرير الحصري لفضيله الشعر وإفادته منه في كلا المصنفين إذ أن الشعر من هذا الباب وعاء للعقل والفكر والحكمة ، بينما النثر الذي الحق به صفة الملاحة أقرب إلى القلب والعاطفة يجنب بقارئه إلى فضاء الإمتاع والمؤانسة أولم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم : " إن من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة ".¹ فعادة ما نفتتن بملاحة الحسان وروعنهم مثلما تسحرنا الأسجاع والأجناس والمطابقات النثرية، بينما نرى في أبيات الشعر الراجحة صوت العقل والحكمة . وذلك ماجعل اليونانيين يعتمدونه كخزان لمنتوجهم العلمي وجعل العرب يعتبرونه ديوانا لحياتهم ، يقول ابن رشيق " ومن فضائله أن اليونانيين إنما كانت أشعارهم تقيد العلوم والأشياء النفيسة والطبيعية التي يخشى ذهابها ، فكيف ظنك بالعرب الذي هو فخرها العظيم وقسطاسها المستقيم ".²

لكننا سنحاول الخروج من هذا الموضوع برأي توافقي يرضي الطرفين من أنصار الشعر أو النثر ، ونستعين في ذلك برأي السرقسطي (محمد بن يوسف التميمي ت 428هـ) الذي كان أكثر وعيًا واعتدالا في الحكم على القضية . ويعود ذلك إلى إدراكه عمق المسألة بعد تنسيقه لمحاورة طويلة بين أنصار الفنين حدد فيها الأسس التي ينتصر فيها كل فريق لما وافق ميله وفنه ، ثم قارب بين وجهتي النظر بدفع ما أثير حول كل من الشعر والنثر من مثالب ثم أنهى المحاورة بالدعوة إلى ضرورة تجنب المفاضلة بين الشعر والنثر على سبيل العموم مadam أن الأحوال المتباينة من قبح وجمال وإبداع وإخفاق تجري على كليهما . على أن لكل في نظره وظيفة وغاية فلا سبيل إلا للإقرار بالفضل للشعر في مجاله وللنثر في مجاله أيضا ، لأنهما رافدان لنبع واحد.³

¹ مجمع الأمثال،أحمد بن محمد النيسابوري الميداني،تح محمد محبي الدين عبد الحميد،مطبعة السعادة،ط 2، القاهرة مصر 1959، 7/1

² العمدة في محسن الشعر وآدابه ونقده،ابن رشيق القمياني،ص 26

³ ينظر تيارات النقد الأدبي في الأندرس في القرن الخامس هجري،د/مصطفى عليان عبد الرحيم،مؤسسة الرسالة بيروت ط 1، 1984 ، ص 540،541

ونشير في هذا المقام إلى ذلك التواصل الثقافي بين جناحي العالم العربي مشرقة ومغاربه، حيث انتقلت شرارة هذه المعركة حول القضية النقدية القديمة المتعددة قضية المفاضلة بين الشعر والثراء من المشرق إلى المغرب ليتفاوتها نقاد القيروان ويدلوا فيها بدلوا لهم.¹

وختاماً يمكن القول إن سيادة جنس أدبي على غيره من الأجناس الأخرى أمر بدائي طبعي لا يتطلب كل هذا الجهد المهدور من النقاد، فالظروف الحضارية وال حاجات الفكرية والفنية للمجتمعات هي التي تغلب جنساً أدبياً على غيره من الأجناس، حدث هذا قديماً حينما كانت السيادة للشعر ثم تحولت للثراء. وحدث هذا في عصرنا حينما ساد جنس نثري واحد وهو الرواية على غيره من الأجناس النثرية الأخرى على اعتبار أن للرواية علاقة بوسائل الإعلام الحديثة.²

١-٢) المطلب الثاني: النقد المجمل(الجملي):

ونقصد به النقد العام الذي تصدر فيه الأحكام دون تعليل أو تدليل، وقد يدخل في مفهومه الحكم العام المجمل على جملة شعر شاعر بالنظر إلى بعض أبياته أو بعض قصائده. كما حكم بعضهم على شعر المتتبّع جملة بالضعف أو الرداءة بسبب بعض أبيات له.³

وفي كتاب النورين الكبير من الأحكام التي تدرج ضمن النقد الجملي بالمعنى الأول الذي يعني النكات العامة غير المعللة، ومن الشواهد على ذلك قول الحصري عن ابن المعتر: "وكان أبو العباس عبد الله بن المعتر رقيق حاشية اللسان أنيق ديباجة البيان، وكان كما قال ابن المرزبان: إذا انصرف عن بديع الشعر إلى رفيع النثر أتى

¹ ينظر قراءات في النقد والأدب، د/مصطففي البشير القط، مكتبة الآداب القاهرة، ط ١ ، ٢٠٠٧، ص ٢٩
² المرجع نفسه، ص ٣١

³ الحصري وكتابه زهر الآداب، الشوير، ص ٤٦٧ لكن القاضي الجرجاني يستذكر أن يقتصر الناقد على التعرض إلى السينات القليلة دون الحسنات الكثيرة لأن الهافة أمر حاصل ولا يمكنه أن يكون مقياساً لتأخير المبدع على بلوغ قيمة رفيعة.

بحلال السحر ، وهو أبدع الناس استعارات وأحلاهم إشارات وليس بعد ذي الرمة
اقصد منه للتشبيهات.¹

وعبارته هذه مهمة لأنه يضع ابن المعتز في المرتبة الأولى في جودة الاستعارة
متجاوزاً أباً تمام في ذلك ، كما يضعه بعد ذي الرمة في إحكام التشبيه ويأتي حكمه
بألفاظ عامة مطلقة (أبدع، أحلى، اقصد) كحال النقاد القدماء عامة.

ويقول عن ابن بسام: "كان فصيح اللسان صحيح البيان جميل الثناء خبيث الهجاء، ولم
يكن له حظ التطويل وإنما تحسن مقطعاته وتترد أبياته".²

ويشير في هذه العبارة إلى إجاده ابن بسام في معانيه وألفاظه وبخاصة في المديح ، كما
يلحظ قصر نفسه الشعري ولذا تكثر مقطعاته وتترد قصائده الطويلة وهو شاعر مقل
بوجه عام.

- تعليقه على قصيدة لأبي حية النميري بقوله: وهذا شعر ظريف الصنعة حسن
اللoshi جيد النمط صافي السبك وكذلك جميع شعر أبي حية وقد ملح ماشاء في
وصف الثغر وطيب النكهة وهو معنى جميل حسن.

وهذا الحكم يوضح مفهوم الشعر الجيد عند الحصري الذي يبني لديه على حسن
المعنى وجماله والاتساق والانسجام وقلة التكلف ، لأنه وعلى الرغم من اهتمامه
بالبديع إلا أنه يؤثر الشعر المطبوع والصنعة المرهفة على التكلف المستكره .

وخلاصة ما نريد قوله في هذه الأحكام النقدية العامة للحصري انه يستحسن المعاني
المبتكرة البديعة بعيدة عن التكلف والإسفاف مع التشبيهات الناصعة المصيبة ، أما
الأسلوب فيستحسن منه ما كان موجوداً رفيعاً بعيداً عن التعقيد والتعسف حسن
الألفاظ دون إسفاف وابتذال.³

¹ النورين، الحصري القيرواني، ص 80

² المرجع نفسه، ص 81

³ النورين، الحصري القيرواني، ص 83

١-٣)- المطلب الثالث: النقد الأخلاقي (الخلقي):

إن ما أسعفنا به اجتهادنا في استنباط المنهج الأخلاقي الذي مارسه الحصري في كتابه نعرضه كما يأتي:

يتجلّى لنا الحس الديني والأخلاقي للحصري من خلال المقدمة، وما افتح به النقل فقد افتح المقدمة بحمد الله والصلوة على الرسول عليه السلام كما ابتدأ موضوعات الكتاب بالحديث عن كلام النبي فيقول: "وليس بعض كلامه صلى الله عليه وسلم بأولى من بعض التقديم ولا أحق بالإجلال والتعظيم ، وإنما بدأت بكلمته تيمنا ببركته".^١ كما نجده يبتعد في مختاراته عن كل ما يخرج عن حدود اللياقة والأدب على عادة أهل المغرب الذين تميزوا بميلهم الفطري إلى الترفع عن المجون والاستجابة للنزوارات. حتى أنه ينبه أحياناً على مغالاة بعض الشعراء كالخوارزمي فيلعنه ويكره مما يدل على حاسته الدينية التي تتوقع أنها تنتمي للمذهب السنّي.

والحصري يبتعد في اختياراته عن المواضيع المتعلقة بالشعور المؤلم أو بسيئ المعاني كالرثاء أو الهجاء أو الحزن التي تبدد الطاقة الإيجابية في النفس ، وذلك أمر يتنافى مع الغاية التي يطمح إليها.

وهذا أمر ينسحب على أولئك النقاد الذين ظهروا في عهد الإرهاسات النقدية التي كانت في معظمها قائمة على أساس أخلاقي هدفها خدمة هذا الدين الحنيف بالدرجة الأولى، ثم خدمة الأدب في الدرجة الثانية. أضاف إلى ذلك أنّ هؤلاء النقاد كانوا فقهاء بطريقة أو بأخرى، لذلك راعوا هذه المقاييس وهم يقرؤون الشعر العربي لمختلف العصور، بيد أنّ أحکامهم كانت متفاوتة تتسم في الأغلب الأعم بالتسامح مع الشّعراء، وغضّ الطرف عما في خطابهم من تجاوزات أحياناً. فقد ظلّوا في آرائهم موجّهين للشعراء، مطبقين مفهوم الإسلام للشعر. لكنهم أحياناً كانوا يتساهلون معهم حين يصادفون معنى جليلاً أو لفظاً مبتراً، أو أسلوباً شعرياً يتتجّس بماء الحياة.

^١ المرجع نفسه، ص 108

وتکاد آراؤهم مع ذلك تجتمع على الشعر الذي يوحّد ولا يشتت، وينمّي سلوكاً حسناً، أو يبعث في النّفوس صلابة، ويدعو إلى البرّ، ويصحّح السّلوکات، وكانوا يعيّبون كثيراً من الأغراض التي تزرع الفتنة، وتقوّي الشّحناة، وتقلّ العزيمة. من أجل ذلك وقفوا طويلاً إزاء الأغراض الشعرية، وأيتها أصلح للناس من غيره¹.

¹ النقد الأدبي القديم، محمد مرتاض، ص 169

2- المبحث الثاني: مقارنة بين كتابي "الزهر" و "النورين"

قبل الوقوف على ملامح التقاطع والاختلاف الحاصلة بين هاتين المدونتين لابد أن نتعرض أولاً إلى مسألة مهمة جداً في هذا الموضوع وهي مسألة اختصار النورين من الزهر، وعلى هذا الأساس يقسم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب. سيتناول المطلب الأول مسألة الاختصار، وسنحاول من خلال المطلعين الآخرين أن نجيب على الإشكال الذي يقول: أين يمكن أن نضع الخط الفاصل بين كتابي الحصري زهر الآداب وثمر الألباب وكتاب نور الطرف ونور الظرف؟ أو بمعنى آخر فيما تبدو ملامح التقاطع بين الكتابين وما هي المفارقات الرئيسية بينهما؟؟

2-1) المطلب الأول: مسألة الاختصار بعيون الباحثين

ترى المحققة أن اغلب الباحثون المعاصرون الذين تناولوا أثار الحصري ومؤلفاته ذهبوا مذهب الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب في اعتقاده أن الحصري اختصر كتاب النورين من كتاب الزهر، مما جعل الباحثون يعتبرون أن النورين كله من مختصر من الزهر. وذلك زعم خاطئ بحسب السيدة أبو صالح التي تقرر بان الجزء المختصر من زهر الآداب يشكل حوالي ثلث الكتاب أو أكثر بقليل، ولا يعد كله مختصراً¹. ولعل ما جعلهم يعتقدون ذلك هو إقرار الحصري في مقدمة الكتاب وخاتمه حيث يقول في المقدمة "وكلت اجعله كالمختصر من الكتاب الموسوم بزهر الآداب وثمر الألباب".² أو قوله في الخاتمة : "قد أتممت هذا الكتاب على طريق اختصار"³ لكنهم لم ينتبهوا إلى قراءة ما تحيل عليه بعض العبارات الأخرى والتي تشير إلى أن الرجل الذي أهدى إليه الحصري كتابه لم يطلب منه اختصار كتاب الزهر وإنما طلب منه أن يمد يد الاستجادة في سبيل تصنيف كتاب لطيف، وقد أجاب الحصري طلبه قائلاً: " فأجبتك إلى ما إليه أشرت".⁴

¹ ينظر النورين، الحصري القيرواني، ص 40

² المرجع نفسه، ص 101

³ المرجع نفسه، ص 392

⁴ المرجع نفسه، ص 101

وما يؤكد أن كتاب النورين ليس نسخة مصغرة عن الزهر هو تصريح المؤلف نفسه اذ يقول: "وفيما القى إليك في هذا الكتاب الذي هو نور الطرف ونور الظرف المختار الكثير مما ليس في الكتاب الكبير - يقصد الزهر - وإنما كان كالمخ من سببكته والمح من ترفيكته، لأنه يحذو حذوه وينحو نحوه في ملاحة النثر ورجاحة الشعر دون الاستلاب لنفيس مطارفه والاجتلاح لنفوس طرائفه."¹

ذلك ان المؤلف ألحق فيه من الأخبار ما تحاشى ذكره في الكتاب الأول، وهو منهج مقبول. بدليل انه بذل جهده في الإتيان بأجود المختارات الطريفة والطريقة الجديدة مما دفعه الى تحاشي ما جرى دورانه بين الناس - والكثير من مواد الزهر كذلك - لان النفوس كما يقول الحصري : "قد طبعت على استطراف ما سمعت مما لم يتكرر فيتذكر، ويتوالى على الأسماع فتمجمه الطباع، وتكثر روايته فتمل حكايته".²

ونذلك ما دفع بالحصري لتقديم قصارى جهده لتفادي التكرار حيث يقول للرجل الذي أهدى اليه كتابه : "ولو كنت اعلم غيب ما لديك لما أوردت شيئاً مما وقع إليك من حديث ولا قديم وفي نثير ولا نظيم، ولكنني أجهد جهدي وابذل ما عندي".³

ومقالة المؤلف متتحقق في كتابه هذا لأن الجديد الذي أضافه مما لم يرد في كتاب الزهر كثير جداً ويكفي أن نذكر أن هناك نحو من 750 بيتاً في النورين لم ترد في زهر الآداب ،معظمها لشعراء من المشارقة الذين لم تنشر دواوينهم بعد عدا النصوص النثرية والأخبار الكثيرة التي لم ترد أصلاً في الزهر.

كما نلاحظ أن عدد فصول الزهر يقارب 137 فصلاً لم يأخذ الحصري من عنوانينها في النورين إلا نحو 15 فصلاً فقط ،كما انه زاد فصولاً لم ترد في الزهر .

¹ المرجع السابق، ص 103

² المرجع نفسه، ص 102

³ المرجع نفسه، ص 102

و هكذا نجد في كتاب النورين ذخيرة أدبية جمة تستحق النشر وفق منهج التحقيق العلمي، ويكتفي لبيان قيمة الكتاب انه يشتمل على نحو من (1450) بيتا من الشعر والكثير من الأخبار والنصوص النثرية التي لم يرد معظمها في مظانه.^١

2- (المطلب الثاني: أوجه التشابه

سنورد فقط مجموعة الشواهد الخاصة بالزهر في مجال التوافق المنهجي المنصوص عنه، لأننا أسلفنا التدليل بذلك فيما يتعلق بمنهج النورين الذي نص به الحصري ضمن مبحث سابق خصصناه لذلك الشأن. ونقوم بهذا تفاديا للوقوع في معيب التكرار الممل اما نقاط التقابل فندذكرها كما يأتي :

- 01- كلاهما من كتب الأخبار الجامعة التي تحقق لذة الإمتاع والمؤانسة لدى المتنقي.
- 02- كلاهما أُنجز بطلب من شخص معين ، فالزهر ألفه الحصري بطلب من كاتب ديوان الإنشاء الفضل عباس بن سليمان، والنورين بطلب من أحد كبراء القيروان.
- 03- كلا المصنفين يحملان عنوانا مسجوعا، كتب بلغة شاعرية.
- 04- كلا المصنفين أفادا من نفس المصادر الرئيسية، وجلها مشرقية.
- 05- كتبت مقدمة كل منهما بعد الفراغ من تأليفه ، لأن المؤلف يذكر فيهما منهجه وطريقته التي سار عليهما في الانجاز.
- 06- تتشابه بداياتي المقدمتين اللتين افتتحتا بحمد الله والصلوة على الرسول عليه السلام.
- 07- كلاهما ابتدأه المؤلف بنقل كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، تيمنا ببركته.
- 08- يتتشابهان في قلة توظيف المادة الأدبية المغربية من أشعار وأخبار.

¹ المرجع السابق، ص 41

09- حظهما من النقد الأدبي واللغوي قليل بالمقارنة مع مؤلفات مغربية أخرى لنظراء الحصري من النقاد تم إصدارها على أيام هاذين الكتابين.

10- يتوافقان في جزئية منهجية حيث ان جزء من منهج كتاب الزهر يتماثل مع الملمح المنهجي العام للنورين ، وهي عدم الترتيب والتبويب حيث يقول في الزهر: "وقد نزعنا فيما جمعنا عن ترتيب البيوت ، وعن أبعاد الشكل عن شكله وإفراد الشيء من مثله، فجعلت بعضه مسلسلا وتركت بعضه مرسلا".¹

11- كليهما قائم على التنويع الأدبي والرغبة في النادر والابتعاد عن الكلام الشائع ذكره بين الناس يقول: "وقد رغبت في التجافي عن المشهور في جميع المذكور".²

12- يقومان على الذوق الشخصي في اختيار المادة الأدبية يقول الحصري عن ذلك: "ولعل في كثير مما تركت ما هو أجود من قليل مما أدركت ... ولكنني اجتهدت في اختيار ما وجدت".³

13- كلاهما يحتفي بابدعات المحدثين ، ويعود ذلك الى النظرة الايجابية للحصري حيث تحرر فيها من فكرة التعصب للقديم دون وجه حق وجودة وبراعة .

14- يبدي الحصري فيهما اعتزازه بحصيلته الأدبية ورصيده الموسوعي واقتداره في مجال التأليف فيقول: "وذلك إنني ما ادعى فيما أتيت إلا ما يكون تركته لفضل مما أدركته".⁴

15- يظهر ميلانه للبديع من خلال نصوصه الموثقة في المقدمة والخاتمة والتي يكثُر فيها السجع والجناس والطباقي ، ويبدو ذلك في اختياره لنصوص من يشاركونه التذوق لهذا اللون كاللهذااني وابن المعتر والخوارزمي والبستي وغيرهم ، ويشير الى انه يراعي في ذلك أيضاً ذوق العصر .

¹ زهر الأدب وثم الالباب، الحصري القيرولي، 2/1

² المرجع نفسه 3/1

³ المرجع نفسه 5/1

⁴ المرجع نفسه، 8/1

16- يعتني بموضوع الوصف أكثر من أي موضوع آخر ، ويزيل ذلك في احتفائه بـ شعر ابن الرومي وابن المعتر وكشاجم وكذا النصوص النثرية التي جاء بها محتقية بهذا الغرض.

17- لا يلتزم بقاعدة في تفسير النصوص والتعريف بالأعلام.

18- احتفى كثيراً بموضوع السرقات الأدبية ، ويرجع ذلك إلى الكم الكبير لمجموع المادة التي أطلع عليها وحاول أن يحيط بأجوادها.

19- يورد فصولاً باسم ألفاظ أهل العصر احتفاء منه بأدب المحدثين يقول:

"وفقر نظمتها كالغنى بعد الفقر من ألفاظ أهل العصر في محلول النثر ومعقود الشعر وفيهم من أدركته بعمره أو لحقه أهل دهري ، ولهم من لطائف الابداع وتوليدات الاختراع أبكاراً لم تقترب عنها الأسماء يصبو إليها القلب والطرف ويقطر منها ماء الملاحة والظرف."¹

20- غالباً ما لا يميز بين كلامه وبين كلام غيره حيث يدمج الاثنين معاً فلا يتسرى لنا التمييز بينها في الغالب

21- التماثل في بعض المواضيع مثل موضوع : الكتب - الوصف - الهجاء - وصف الليل والصيده واللهو - المدح - فقر للنبيذين - الخط - الربيع - مجالس الأنس - خمريات أبو نواس - أوصاف النساء - ألفاظ أهل العصر في وصف الماء - ألفاظ أهل العصر في الكتب - وهي الفصول الخمسة عشرة التي تحدثت المقدمة عن نقلها من الزهر دون أن تشير إليها مثلاً فعلنا.

22- حضور التوقعات النقدية للمؤلف حول مختلف قضايا الإبداع الأدبي السائدة المطروحة (السرقات، الطبع والصنعة، القدماء والمحدثون، اللفظ والمعنى)

23- الاهتمام بعقد الموازنات الأدبية وذلك باستعراض نماذج نصية لعدد من الشعراء والكتاب، تحقيقاً للمتعة الأدبية.

¹ المرجع السابق، 10/1

- 24- توظيف طرائق متنوعة الألوان من النثر الفني اختارها بذوقه الذي وسعها استحساناً و استجادة من شتى مذاهب نثر القدماء أو المحدثين.
- 25- تقديم مجموعة من الأحكام التي تدرج ضمن النقد الجملي الذي يعني النقدات العامة غير المعللة، وهي مقتضبة في معظمها.
- هذا مبلغ إدراكنا لمواطن التشابه بين المصنفين ولاشك أن هناك نقاطاً أخرى يلتقي فيها الكتابين لم نوفق في الوقوف عليها.

3-2) المطلب الثالث: أوجه الاختلاف

- 01- يصرح في الزهر باسم الرجل الذي طلب منه تأليف الكتاب ، بينما لا يصرح في مقدمة النورين باسم الذي طلب إليه ذلك.
- 02- النورين لم يعتمد فيه فنيات الترتيب والتبويب ، ونجد في الزهر يقوم بذلك فيعقد الفصول والفقر ويرتب مواده في جزء معين من الكتاب.
- 03- الزهر من حيث حجم المادة الأدبية أكبر من النورين.
- 04- لم يورد في النورين ما أورده في الزهر من أخبار الرسول والصحابة والتابعين عدا ما نقله عن الجاحظ يصف كلام النبي عليه السلام، ورأيه هو في كلام الرسول.
- 05- يبدو الزهر الكتاب الأكثر قرباً من مجال النقد لما حمله من توقيعات نقديّة بارزة، وهو الكتاب الذي يمكن اعتماده كنموذج يعكس الشخصية الناقدة للحصرى بالمقارنة بالنورين أو بباقي مؤلفاته التي وصلتنا.
- 06- يتميز النورين باحتضانه لمعاني موضوعات جديدة ، مثل موضوع عشق الغلمان والمعذرين الذي شاع في المشرق على أيام الحكم العباسي الموازي للحكم الصنهاجي بالمغرب.

7- النورين اقل او غالا في استقبال المادة الأدبية من الزهر و هذا باعتراف الحصري نفسه عندما يقول: "ولم أوغل في هذا الكتاب كما أوغلت في زهر الآداب وثمر الألباب."¹

8- لا يحدد لنا الحصري مقاييسا نقيضا عاما في النورين ولكنه يحدد ما يشبه ذلك في "زهر الآداب وثمر الألباب" ، مما قد يمثل مزاجه وذوقه ورأيه في الأدب شكل ومضمونا². وهذا ما يشير الحصري إليه في مقدمة الزهر فيقول: "فهذا كتاب اخترت فيه قطعة كافية من البلاغات في الشعر والخبر والفصول والفقر مما حسن لفظه ومعناه واستدل بفحواه على مغزاها، ولم يكن شاردا ولا حوشيا ولا ساقطا ولا سوقيا."³

9- يختلف النورين عن الزهر من حيث الترتيب والتبويب ، ذلك أن النورين لم يقم على أي من ذلك بينما نجد أن كتاب الزهر يأتي تارة مرتب الموضوعات منظمها وتارة يرد بخلاف ذلك وهذا ما نجده في قول الحصري: "وقد نزعت فيما جمعت عن ترتيب البيوت وعن إبعاد الشكل عن شكله وافراد الشيء من مثله ، فجعلت بعضه مسلسلا وتركت بعضه مرسلا وقد يعز المعنى فالحق الشكل بنظائره واعلق الأول بأخره وتبقى منه بقية أفرقها في سائره."⁴

- هذا ما أسعفنا به اجتهادنا في تقصي مؤشرات الاختلاف ، وبيدو أنها قليلة بالمقارنة مع نقاط التلاقي باعتبار أن الكتابين متشابهين إلى حد كبير ويكتفي فقط أن يقول الحصري بأن أحدهما مختصر من الآخر.

¹ النورين،الحصري القيرواني،ص 105

² البلاط الأدبي للمعز بن باديس ،عبد العزيز فاقيلة، عمادة شؤون المكتبات جامعة الملك سعود الرياض،1980 ،ص 327

³ زهر الآداب وثمر الألباب،الحصري القيرواني ، 1/1

⁴ المرجع نفسه، 2/1

(3)- المبحث الثالث: المصطلحات الموظفة في الكتاب

إن النقد العربي القديم لا يمثل نمطاً واحداً من التفكير، بل هو مجموعة من الخطابات المتداخلة والمتصارعة ويعود هذا كله إلى السياق الثقافي الذي كان متنوعاً في مرجعياته ومصادره سواء الاجتماعية منها أو الفكرية. فقد عرف المجال العربي الإسلامي بخاصة في العصر العباسي دخول عدة شعوب وأمم بكل ما تحمله من خلفيات تاريخية وثقافية، وعن طريق الترجمة تشعبت اللغة العربية ومجالها الثقافي بتراث البشرية وقد دفع ذلك بالفكرة والإبداع إلى درجة كبيرة من التقدم والثراء، كان المجال النبدي بمصطلحاته المختلفة واحداً من مظاهر هذا الزخم وهذا التلاقي الإيجابي¹. ومن ثمة يمكن القول أنه غالباً ما تتحدد علاقة البيئة بالمصطلح النبدي من خلال طبيعة الجو العلمي والثقافي من جهة والطبيعة الحضارية أو البدوية لبلاد الناقد من جهة أخرى، وتتحدد هذه العلاقة أيضاً من خلال طبيعة الناقد وتكونيه العلمي والثقافي وغالبية اشتغاله العلمي وإنماجه المعرفي والفكري بالإضافة إلى المذاهب الدينية والفلسفية السائدة في المجتمع².

وبصفة عامة تجدر الإشارة إلى أن المصطلح يحيط على السياقات الخارجية له في أبعادها الثقافية والسياسية وبخاصة نظرية النقد ونظرية الأدب التي يتحرك داخلها³ وهذا ما سنحاول أن نقف عليه من خلال تعريضنا إلى المصطلحات التي وظفها الحصري في هذا الكتاب الذي انعكس في صنعة البديع الذي كان شائعاً على أيام المؤلف خلال القرن الرابع هجري.

ونحن إذ نحاول الإلمام بمجموع المصطلحات التي استعملها الحصري في الكتاب سننسعى كذلك إلى تقديم تعريفات مختصرة لأهم المصطلحات التي تكرر توظيفها في

¹ المصطلح البلاغي والنقدi مرجعياته وتطوره، مجموعة من الأساتذة الباحثين، منشورات مخبر النقد ومصطلحاته، ط 1، 2012 ص 34

² ينظر المصطلح النبدي بين ابن المعتز في كتابه البديع والمرزباني في كتابه الموسح، د. عبد العزيز شويط، دورية مقاليد العدد الثاني ديسمبر 2011، مطبعة جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ص 76

³ المصطلح البلاغي والنقدi مرجعياته وتطوره، ص 33

النورين على اعتبار أنها المصطلحات المحورية في الكتاب ، وعلى هذا الأساس سنقسم المبحث إلى مطلبيين يرصد أولهما كل ما وقف عليه البحث من مصطلحات أوردها الحصري بينما يتعرض المطلب الثاني إلى التعريف بأهم المصطلحات.

ونشير هنا إلى تعمدنا استعمال عبارة "المصطلحات الموظفة" في عنوان المبحث دون عبارة "المصطلحات الواردة" لأن توظيف العبارة الثانية سيلزمنا بتنبيع كل ما جاء به الكتاب من حمولة مصطلحية وذلك ما سيتطلب منا وقتا وجهدا قد لا تسعننا المدة المحددة لنا في إنجاز البحث بالحصول عليه ،بالنظر إلى بقية الخطوات البحثية المبرمجة في هذه المذكرة لذا سنكتفي فقط بما استعمله الحصري في مقدمة الكتاب وخاتمه وما أورده في الحكم أو التعليق على بعض المختارات.

1-3) المطلب الأول : سبر المصطلحات

تنوعت هذه المصطلحات بين ما يعبر عن القيمة الندية كمصطلحات التفضيل والمفاضلة والقيمة مثل:
الإحسان، الجودة، الافتتان، المنظوم، المنشور، الكلام، الشعر ،السابقين، اللاحقين، الإسهاب .
معيب، الإطالة، الاختيار، والاستجادة، الملاحة ... الخ

ومصطلحات النقد البلاغي مثل:
الاستعارة، التشبيه، التجنيس، التعقيد، الأخذ، التصريف، التصنيف، التهذيب، الاختصار
الاستلاب... إلى غير ذلك من المصطلحات الندية المرتبطة بالبلاغة وكل هذه المصطلحات نأتي بها موضحة في الجدول الآتي :

عقدت(العقد)	أخذت(الأخذ)	وقي(الواقية)	اجني(الجني)
أبدى (الإبداء)	اعتلaci(الاعتلاق)	أظهر(الإظهار)	اشتياقي(الاشتياق)

قيدت(التفيد)	اضمر(الإضمار)	يرقى(الارتقاء)	اطوي(الاطواء)
الجواب	المعاني	تاق(التوق)	اشتياقي(الاشتياق)
مطبوع	اللحاقي	كتاب	وافي(الموافاة)
إنعامك(الإنعام)	قربيتي(القريبة)	القصير	مصنوع
اجتلي(الاجلاء)	سقت(السيادة)	سعيت(السعي)	ملكت(الامتلاك)
بدائع	أطلع(معنى أرى)	أقبل(الاقبال)	الاستقراء
يلتئم(اللتئام)	عظيم	ينتظم(الانتظام)	اقتفائك(الاقتفاء)
يكثّر(الإكثار)	احتفائك(الاحتفاء)	تواليه(التوالي)	إكرامك(الإكرام)
اعتداد	بهر(الإبهار)	يقل(القلة)	غمر
مَعْنَم	طرازا(الطراز)	شفيف(الشفاء)	يحمي(الحماية)
أحيا(الإحياء)	تنطفئ(الانطفاء)	هاج(الهيجان)	تمحي(المحي)
رأيت(الرؤية)	شارعا(الشرع)	قرأ(القراءة)	راتعا
بارت(البوار)	تغفّض	العودة	تضفّض(الغض)
الاختيار	رويت(الارتواء)	الاكتاب	كسدت(الكساد)
الاستجادة	فقد(الفقدان)	أمرت(الأمر)	الراحة
قطعة	السرور	يمد(الامتداد)	الذهاب
المتون	التصنيف	أدب	الإشارة

العيون	مقطعات	الحواشي	النظم
انتشى(الانتشار)	التذهب	هزته(الهز)	الإشراق
المختصر	مزون	قلت(القول)	التهذيب
المعرف	طريقة(الطرف)	المدخل	ضمنته(التضمين)
المصادر	الأنمودج	المُنَبَّه	استعاره(الاستعارة)
اللطائف	أجبتك(الإجابة)	طرائف(الظرف)	الموارد
الفصول	عجائب	قرنت(الإقرار)	غرائب
البراعة	ضمت(الضم)	البلاغة	الأصول
يتكرر(التكرار)	أهل العصر	استطراف	كلام
السابقين	حكياته(الحكاية)	قديم	روايته(الرواية)
اعرق(الإغراق)	حديث	اللاحقين	أوردت(الإيراد)
الرجاحة	التأليف	الاستلاب	واعرق(العراق)
الاجتلاف	القي(الإلقاء)	يحدو(الاحتداء)	آثرت(الرغبة)
فروع	عرض(العرض)	الاستقلال	الاقتدار
وتنقل(النقل)	أوليهما(الإيلاء)	أدركتني(الإدراك)	الفكر
تخرع(الاختراع)	الإياب	تنزع(الانزعاع)	الإعجاب
سطرت(التسطير)	المحدثين	أخللت(الإخلال)	صناعة

جمعت(الجمع)	توصل(الوصل)	تبوب	او غل(الاوغال)
الإسهاب	تركت(الترك)	معيب	ترتيب
الملالة	اخراج(الخروج)	الإطالة	خفت(الخوف)
الإجلال	مكاتبتك(المكاتبنة)	احذف(الحذف)	الاستمتاع
أسانيد	المهجور	بدأت(الابتداء)	الإنسانية
استتمالية	اهتدي(الاهتداء)	انشد(الإنشاد)	ابتدى(الابتداء)
وصف	الإجلال	البيان	التقديم
ناقضه(المناقضة)	يرثي(الرثاء)	اعتذار	حسن العبارة
الترجيح	يمدح(المدح)	استبطاء	الأفاظ
في هذا النحو	يضاهي	أسرف(الإسراف)	أهدى(الإهداء)
يهنئه(التهنئة)	استعمل	جملة	تلخلف
مناظرة	منافرة	تشبيه	ردا (الرد)
المنطق	يمازح(الممازحة)	يجمع(الجمع)	العلم
وشحت(التوشيح)	أحسن(الإحسان)	يتابع(المتابعة)	طريقة
يقارب(المقاربة)	اعتمده(الاعتماد)	تدقيق	أدمى (الإدمان)
فصل	استحكام	التمثيل	قصده(القصد)
الاعتزال	الديباجة	الحلوة	أنيق(الأناقة)

الحن	التعلم	قطعة	الإكراه
القافية	المبني	سئل(السؤال)	التنقيح
فقر	التكلف	الطلاؤة	التعسف
ممتنع(الامتناع)	رسالة	اخترع(الاختراع)	تمثيل(التمثيل)
النهاية	يوفي	الغاية	الاستدعاة
الاستعمال	المؤونة	المعونة	متيسر
الإصابة	اللسان	المحاورة	المذاكرة
الفصاحة	النطق	الحفظ	المثال
يتصرف(التصرف)	أقبال(المقابلة) بمعنى المكافأة	أطأ(الوطئ بمعنى الحلول أو النزول)	تصدر(الصدر عن المورد)
مخاطبتك(المخاط بة)	الغلاة(الغلو أو المغالاة)	عارضه(المعارضة)	استحسن(الاستحسا ن)

وبعد هذا السبر للمصطلحات التي استعملها الحصري اتضح لنا أن عددها 240 مصطلحا، وقد جاء أكثر هذه المصطلحات ضمن المقدمة التي احتوت ما يزيد عن 160 مصطلحا وتوزعت البقية بين متن النورين وختامته. ويمكننا القول أن هذا الكتاب يحتوي على حمولة مصطلحية كبيرة فإذا كان مجموع المصطلحات الواردة في المقدمة والخاتمة يقارب المائتين مصطلح، فإن المصطلحات الأخرى التي احتضنتها مختارات الكتاب ستكون أكثر بكثير مما جاء فيهما.

3-2) المطلب الثاني : تعريف أو شرح بعض المصطلحات

سنحاول التعريف بأهم المصطلحات التي تكرر حضورها في تضاعيف الكتاب ، أو كان لها علاقة واضحة بمنهجه . أو نشرح هذه المصطلحات مما تعذر علينا الوقوف على تعريفها وهذا انطلاقاً مما فهمناه بحسب اطلاعنا على المدونة ، وفيما يأتي ترد هذه المصطلحات:

- الاختصار:

الاختصار هو الإيجاز ، وقد قال عنه عياش بن صحار هو (اللمحة الدالة) حينما سأله معاوية : ما أقرب الاختصار؟ وهذا الأسلوب من ابرز أساليب العرب.¹

- النقل :

النقل تحويل الشيء من موضع إلى موضع ، مثلاً نقل الحصري أدب المشارقة إلى المغاربة من خلال مؤلفاته وخصوصاً كتابي الزهر والنورين.

نقله نقاًلا فانتقل .. وأكثر ما يطوع النقل في المعاني خاصة للمحدثين لأنهم فتحوا من نوادر الكلام ما كان هاماً ، وأيقظوا من عيونه ما كان راكداً ، وأوضحوا من مbasمه ما كان قاطباً وحلوا ما اجياده ما كان عاطلاً.²

- الجمع :

جمع الشيء عن تفرقه يجمعه جمعاً - مثلاً جمع الحصري مادة كتابه من مختلف المصنفات - وجمعت الشيء إذ جئت به من هنا وهناك³

¹ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د/احمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1983 ، 1/73

² المرجع نفسه ، 339/3

³ المرجع نفسه ، 406/2

- التوشيح :

التشویح هو الارصاد و التسهیم عند معظم البلاغيين ، غير أن ابن منذق قال عنه : "هو أن ترید الشيء فتعبر عنه عبارة حسنة، وان كانت أطول منه."¹

- الأخذ :

طبيعة الكتاب جعلت المؤلف يحتفي كثيراً بقضية السرقات الأدبية كما علمنا سلفاً ، وكثيراً ما كان يستعمل مصطلح الأخذ في ذلك ويقصد الحصري بالأخذ السرقة الصريحة الواضحة التي يعجز الأديب عن إخفائها سواء كانت في المعنى فقط أم المعنى واللفظ معاً.²

- الاستغراب :

اغرب الرجل : جاء بشيء غريب واستغرب في الضحك واستغرب أكثر منه والاستغراب التعجب أو المجيء بالشيء الغريب او المبالغ فيه قال قدامة بن جعفر (قد يضع الناس في باب أوصاف المعاني الاستغراب والطرفة وهو أن يكون المعنى مما لم يسبق إليه..).³

- الاختراع :

علمنا بميلان الحصري إلى الإتيان بمستحدث المعاني عند الشعراء المحدثين ، حتى أننا نجده يوظف كلمة اختراع عند حديثه على بعض المعاني الجديدة لدى بعض الشعراء وأمثلة ذلك قوله : وهذا مما اختراع أبو نواس.

فالاختراع عند ابن رشيق هو خلق المعاني التي لم يسبق إليها والإتيان بما لم يكن منها قط ، والإبداع إتيان الشاعر بالمعنى المستظرف والذي لم تجر العادة بمثله ثم

¹ المرجع السابق، 392/2

² النورين، الحصري القيرواني، ص 66

³ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، 178/1

لزمه هذه التسمية حتى قيل له بديع وان كثراً وتكرر فصار الاختراع للمعنى والإبداع فقط.¹

- الاستعارة :

الاستعارة مأخوذة من العارية ، أي نقل الشيء من شخص إلى آخر حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعارض إليه والعارية والعارة ما تداولوه بينهم ، وقد أعاره الشيء وأعاره منه وعاوره إياه والمعاورة والتعاون شبه المداوله والتداول يكون بين اثنين.²

و الحصري أuar جزءاً مما جمعه في الزهر إلى كتاب النورين ، وقد استعار جل ماجاء به في الكتابين من أدب المشرق ليفيد منه المغاربة حفظاً ومذاكرة.

- أهل العصر :

وهو مصطلح تكرر كثيراً ويقصد به الحصري المحدثين من المبدعين حيث نجده يوظف مصطلح السابقين في مقابل اللاحقين والقدماء في مقابل المحدثين.

- الاستجادة (التجويد) :

ويريد الحصري بهذا المصطلح مراعاة الجودة في الاختيار وهو من المعايير الأساسية في تأليف كتابه الذي هو محل دراستنا ، وتجويد النقل هو المؤشر الوحيد في فضل تأليف الكتاب بحسب رأي الحصري لأنه لم يأتي فيه بشعور من عنده أو قدم فيه عصارة فكره أو رؤيته الثقافية.

- الألفاظ :

ونقصد هنا بالألفاظ تلك الفصول التي كان يعقدها الحصري للمحدثين في مختلف الأغراض التي جمعها في المدونة ، ويستعمل كلمة الألفاظ استعمال مجازياً يدل به على مصطلح الكلام عموماً أو الشعر أو النثر بالخصوص.

¹ المرجع السابق، 67/1

² المرجع نفسه، 136/1

- الاختيار :

وهو احد المقاييس الرئيسية التي اعتمدتها الحصري في جمع وإيراد المادة الأدبية التي حفل بها النورين ، لأن الاختيار هو انتخاب أو تفضيل شيء على آخر وغالبا ما يرجع ذلك إلى مجموعة من الأسباب موضوعية كانت أو ذاتية .

واختيارات الحصري من أهم المعطيات التي ساعدتنا على معرفة طبيعة ذوقه

- التجنيس :

الجنس هو الضرب من كل شيء وهو من الناس ومن الطير ومن حدود النحو والعروض ومن الأشياء جملة ، ومنه المجانسة والتجنسي ... والتجنسي ثان فن في بديع ابن المعتز وهو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر أو كلام ، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها على السبيل الذي ألف الأصماعي كتاب الأجناس عليها.¹

¹ المرجع السابق، 52/51

(4)- المبحث الرابع: نظرات نقدية حول الكتاب

1-4) المطلب الأول: ما قيل عن التحقيق

لم يسعفنا البحث في العثور على دراسات تتعلق بكتاب النورين عكس ما هو الحال بالنسبة لكتاب الزهر ،لكن جمع المادة العلمية لهذا البحث أوصلنا الى مقالة نحسبها الوحيدة التي تناولت موضوع تحقيق كتاب النورين- فيما وقع بين أيدينا - للدكتور محمد خير البقاعي أستاذ النقد العربي المشارك في جامعة الملك سعود كلية الآداب قسم اللغة العربية، حيث قدم قراءة قيمة في الموضوع افتتحها بوصف عملية التحقيق التي قامت بها السيدة أبو صالح ثم اختتمها بالانتقاد الآتي:

... وكان يمكنها العودة إلى الرسالة وتوثيق بعض الأمور وتصحيح أخرى في ضوء ما صدر من كتب تراثية في الفترة ما بين الرسالة 1409هـ/1989م وصدر الكتاب 1416هـ/1996م واكتفي هنا بمثال واحد :

عادت السيدة أبو صالح في تحرير أشعار كشاجم (محمود بن الحسين المتوفى سنة 360هـ) الشاعر العباسي إلى طبعة بيروت في عام 1313هـ- وهي طبعة رديئة يكثر فيها التصحيف والتحريف، ولا تضم شعر كشاجم كله، وقد نسختها طبعة الدكتورة خيرية محفوظ التي صدرت في العراق (1970هـ) وطبعة الدكتور النبوبي عبد الواحد شعلان التي صدرت عن مكتبة الخانجي في القاهرة (1997م)، ولئن كانت طبعة الدكتور شعلان متأخرة عن صدور كتاب (النورين) لقد كان بالإمكان الاعتماد على طبعة الدكتورة خيرية محفوظ، ولو فعلت المحققة ذلك لوجدت أن أبيات كشاجم التسعة عشر التي جاءت في كتابها (ص364366) والتي ترد في ديوان كشاحم طبعة بيروت هي في طبعة الدكتورة محفوظ (ص 5557) وأن الخمسة الأولى من هذه الأبيات في شرح المقامات للشريبي (300/1) وقد زادتها الدكتورة محفوظ عن كتاب المصايد والمطارد لكشاجم 263 وأن البيتين 264 و 15 في اعلام النصر 20/2 والبيتين 12 و 18 في نهاية الأرب 350/10 ، ولو عادت الى الديوان محفوظ المحقق لصحت بعض التصحيف الذي جاء في طبعة بيروت من ديوان كشاجم

وتسلل الى كتابها ومثال ذلك ما جاء في كتابها من قول كشاجم :
كأن غدرانها بالروض مدققة ** تعين ثوب من الموسي معصوب
ولا أجد لقوله تعين ثوب معنى مقبولا ، ولعل الصواب ما جاء في الديوان طبعة
محفوظ تحبير ثوب وربما كانت تعين تصحيف تحبير .

إن ما ذكرناه لا يقل من الجهد المبذول في تحقيق هذا الكتاب في زمان صارت فيه
كتب التراث عرضة للتشويه والسرقة دون وازع أخلاقي سعيا وراء الربح المادي
السريع ، وفي ذلك خطر على تراث الأمة وينبغي أن يحد الغيورون على ذلك التراث
من تلك المجازر التي ترتكبها التقنيات الطباعية في إخراج طبعات مشوهه مسروقة
من كتب بذل أصحابها الجهد والمال وال عمر في إخراجها وتحقيقها على أحسن وجه .¹

4-2) المطلب الثاني: قيمة الكتاب ومنزلته

تقول محققة الكتاب عن النورين أن فيه : " ذخيرة أدبية جمة تستحق النشر وفق منهج
التحقيق العلمي ، ويكتفي لبيان قيمة الكتاب انه يشتمل على نحو من (1450) بيتا من
الشعر والكثير من الأخبار والنصوص النثرية التي لم يرد معظمها في مظانه ."²

ويتم هذا الكتاب في مادته الأدبية كتاب زهر الآداب وثمر الألباب ، فيشكلان تراثا
أدبيا جما لمشاهير أدباء المشرق في القرنين الثالث والرابع الهجريين .

ويشكل هذا الكتاب أهم الروابط التي وصلت أدب المشرق بالمغرب .. ويضاهي
كتاب النورين - مع زهر الآداب وثمر الألباب - في أهميته وغزاره مادته المشرقة
الكتابين المشهورين في المغرب والأندلس وهما : العقد الفريد لابن عبد ربه في
الأندلس والامالي الذي ألفه القالي .³

¹ منقول عن مجلة الجزيرة، العدد 10111 . 4 جوان 2000 ط 1 بالموقع الالكتروني التالي

¹ منقول عن مجلة الجزيرة، العدد www.al.jazirah.com:

² النورين، الحصري القيرياني، ص 41

³ ينظر المرجع نفسه، ص 86

وأخيراً تبدو أهمية النورين في اعتماد بعض المؤلفين المعروفين عليه ونقلهم عنه ، وعلى رأسهم ياقوت الحموي في معجم الأدباء فقد صرخ بالنقل عنه في أكثر من ١ موضع.

¹¹ المرجع السابق، ص 87

خاتمة

ها نحن نأتي بحمد الله على اختتام هذا البحث الذي لا نرانا قد أنهينا، لأننا على يقين
بان هناك جوانب كثيرة ماتزال بحاجة منا إلى إعادة التأمل والتنقيب، وذلك ما سنهم
به بحول الله في قادم خطواتنا الأكademie.

وفي الختام نستطيع أن نؤكد مع السيدة أبو صالح قيمة هذا الكتاب الذي يكتنز ثروة
قيمة تغنى الرواية العربية بمعين ثر.

01- البيئة الثقافية هي العامل الأساسي في دراسة أدب أي رقة، مادامت المراجعات
واحدة والمنطلقات كذلك. ومن ثمة نؤكد على ضرورة التخلص من المنطلقات
الإقليمية التي لن تفيد الأدب العربي الذي يزخر بثروة عملاقة تستحق دراسة معمقة
تستجلّي المفارقات الفرعية المتعلقة بالخصوصية الثقافية لكل إقليم، دون أن تجعل
من هذه الخصوصيات معياراً يجب توفره في إنتاج كل إقليم حتى يكون جديراً
بالدراسة والاهتمام.

02- ومن أهم ما استنتجناه بعد الفراغ من الفصل الأول، انه لا يمكننا دراسة مؤلف
معين دون الرجوع إلى الأجراءات التي أحاطت بتأليفه، على اعتبار أن الإنسان ابن بيئته
منصهر في محیطة متأثر بها ومؤثر فيها بدليل انعكاس مفهوم الأدب من الناحية
التاريخية والتراثية على كتاب النورين الذي اخذ من كل فن بطرف.

03- يمكن لهذا الكتاب أن يصبح مصدراً رئيساً للأخبار والأشعار في الأدب العربي.

04- لا يمكن للكتاب بأي حال من الأحوال أن يعكس مكونات الثقافة المغربية التي
بلغت نسبتها فيه اثنان 2 بالمائة فقط.

05- الحصري كغيره من أدباء ونقاد عصره الذين تتطبع الحاسة الدينية على
انتاجاتهم بالنظر إلى قربهم من المجال الديني أكثر، بحكم طبيعة المرحلة التي كانت
تقتضي ترسیخ معلم الدين الإسلامي الذي حل جديداً في المغرب على تلك الأيام، فقد
تنزه الكتاب عن أخبار المجنون والشعر الفاحش مما لم تسلم منه كثير من أمهات
الكتب الأدبية القديمة.

06- يمكن تصنيف الرجل ضمن الأدباء الموسوعيين، لأن حظه من الأدب أكثر من حظه في النقد.

07- كتاب النورين هو كتاب إخباري لا يسمح لنا بشكل كبير أن نتعرف على الشخصية النقدية للحصري، عدا ما كان متعلقاً باستنباط فلسفته في الانتقاء أو ما تعلق برغباته الذوقية.

08- يقيم الحصري اختياراته كنافل على الذوق الشخصي الذي ينطلق من مراجعات سامية تفضل النبل الخلقي، وتبتعد عن كل ما يشين الشخصية.

09- كتاب النورين ليس نسخة مصغرة عن زهر الأدب، بل فيه من المواد ما يعد إضافة جديدة إلى مؤلفات الحصري.

10- يبدو الحصري ناقداً معتدلاً يهتم بمحاورة النص دون اعتبار زمن صدوره، لأن العبرة بجودة القول وليس بزمنه أو موقعه الجغرافي، ويتجلى اعتداله في قضية السرقات الأدبية وموضوع القدماء والمحدثين وقضيةطبع والصنعة التي مال فيها إلى التوفيق بين المعاني والمباني، أو التسوية بينهما.

11- الكتاب لا يصور مجتمع أو بيئه المؤلف، لأنه يتناول أدب المشرق وأخباره، ومن ثمة فهو لا يساعدنا على تجلية الأدب المغربي القديم الذي لم ينل حقه من الاهتمام.

12- يمكننا تصنيف الحصري ضمن المؤلفين المحتفين بالشكل الفني للأدب، على اعتبار رغبته الواضحة في البديع بعيداً عن التكلف المذموم. فلا يكاد القارئ يجد عنده نصاً أدبياً تحرر من التزام صنعة البديع، ولا تستغرب ذلك من الحصري فهذه سمة بارزة لدى كتاب القرن الرابع هجري.

13- احتفاء الحصري بإبداعات الأعلام يجعلنا نعتقد أنه من الأدباء المنفتحين على ثقافة الآخر، بل ومن المرحبيين ضمنيا بالحوار بين الثقافات.

14- لقد شكل عنوان الكتاب نقطة وصل قرائية جمعت بين أجزاء المدونة وبين المتنقي الذي تمثله الناقد القديم، وقد خلصنا للقول بأن العنوان يعد من أولى العتبات النصية المفضية إلى عالم الحقيقة النصية بفعل حمولته الدلالية التي بإمكانها أن تحتوي النص، وبفضل مخزونه العلاماتي الذي يمكنه الإحالة إلى ما يقوله النص. بالإضافة إلى موقعه اللافت للاهتمام الذي يسترعى انتباه القارئ، ناهيك عما يمارسه من إغراء على ذهنه.

15- المؤشرات المنهجية في هذا الكتاب تجعلنا نقول أن المؤلف لم يخرج على منوال معاصريه في التأليف، حسب مفهوم البلاغة الأدبية في عصره.

16- وعموماً نقول أن نظرات الحصري إزاء مختلف القضايا النقدية كانت وسطية معتدلة، وهي نظرة مهمة خرجت عن مضيق التعصب التي عرفتها مختلف النظارات النقدية القديمة، وهو موقف ايجابي نراه قيمة مضافة إلى الممارسة النقدية المغربية التي اتسمت بالاعتدال في مختلف المسائل.

17- البحث في موضوعات منهج التأليف النقيدي القديم يعتبر من المسائل الهامة التي تستحق العناية، لأنها تعكس فلسفة القدماء في ذلك.

هذا مبلغ جهدي في دراسة الحصري ومحاولة الكشف عن شخصيته الناقدة في سبيل إضافة جديدة إلى المكتبة الجامعية، وإنني لأرجو أن أكون قد وفقت إلى تحقيق ذلك، وإن لم أكن كذلك فإني وكما يقول الحصري :

فان وقفت بي قدرتي دون همتـي فمبـلغ نفس عذرها مثل منجـ

وفي الأخير يقتضي الواجب أن أجدد الشكر للأستاذ المشرف البروفيسور العيد جلولي على تفضله برعاية هذا البحث، وتخصيصه بضروب من المتابعة والتوجيهات السديدة.

والحمد للـه من قـبـل وـمـن بـعـد

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش

أ- المصادر

01- نور الطرف ونور الطرف (النورين)، الحصري القيرواني، تحقيق ودراسة لينة عبد القدس، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان ، ط1996، م1.

02- زهر الأدب وثمر الألباب، الحصري القيرواني، ضبط وشرح أ.د يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ، ط1، م1997.

ب- المراجع

03- أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة، د/ محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان ، ط1، م1986.

04- الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث (الأسلوبية والأسلوب)، نور الدين السد، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر ط 1.

05- استراتيجيات القراءة والتأصيل والإجراء النقدي، بسام قطوش، مؤسسة حمادة ودار الكندي للنشر والتوزيع، اربد الأردن، ط1، م1998.

06- أعلام الكلام، ابن شرف أبو عبد الله محمد، مطبعة النهضة، القاهرة ، 1962م.

07- أنموذج الزمان في شعراء القيروان، ابن رشيق، جمع وتحقيق محمد العروسي المطوي، بشير البكوش، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986م.

08- البلاط الأدبي للمعز بن باديس، عبده عبد العزيز قلقيلية، عمادة شئون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض 1980م.

09- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري المراكشي، تحقيق ومراجعة ج.س. كولان وإليفي بروفنسال، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ، ط1 2009

- 10- البيان والتبيين،ابو عمرو الجاحظ،تحقيق عبد السلام هارون،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة، ط1،1950م.
- 11- تاريخ الأدب العربي،بروكمان ترجمة دبرمضان عبد التواب،دار المعارف مصر، ط 2 .
- 12- تاريخ آداب العرب،مصطفى صادق الرافعي،مكتبة الإيمان،مصر، ط1،1997
- 13- تاريخ النقد الأدبي عند العرب،إحسان عباس،دار الثقافة، بيروت لبنان،1971
- 14- تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث ، الصادق عبد الرحمن الغرياني ، منشورات الفاتح للجامعات ،1989م.
- 15- تحليل الخطاب السردي معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق ، عبد الملك مرناض،ديوان المطبوعات الجامعية بن عكّون الجزائر ، ط1،1995م.
- 16- ترجم المؤلفين التونسيين ،محمد محفوظ ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت،ط1 1982م.
- 17- تشكيل المكان وظلال العتبات ،معجب العدواني ،النادي الأدبي الثقافي جدة المملكة العربية السعودية ،ط1،2002م.
- 18- التناص في شعر الرواد،أحمد ناهم،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد ط 1 2004
- 19- تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس هجري ،د/مصطفى عليان عبد الرحيم،مؤسسة الرسالة،بيروت ،ط1 ،1984م.
- 20- الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسميلي ، بشير خلدون،شركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1981م.
- 21- الحصري القيرولي محمد المرزوقي ،الجلاني بن الحاج يحي ،مكتبة المنار تونس .
- 22- الحصري وكتابه زهر الأداب ،د/محمد بن سعد الشويعر ،الدار العربية للكتاب ليبيـا- تونس،1981م.
- 23- الخطيئة والتكفير ،عبد الله محمد الغذامي ،النادي الأدبي الثقافي جدة المملكة العربية السعودية ،ط1،1985م.

- 24- الدراسة الأدبية في المغرب الأستاذ عبد الله كنون نموذجا ، احمد الشايب ، منشورات مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، طنجة المغرب، ط 1، 1991م.
- 25- درج الغرر ودرج الدرر ، عمر بن علي المطوعي ، تحقيق جليل العطية ، عالم الكتب بيروت لبنان، ط 1، 1986م.
- 26- دينامية النص تنظير وانجاز ، محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي بيروت لبنان ط 2، 1990م.
- 27 - ديوان أشعار الأمير أبي العباس ابن المعتن ، تحقيق د/محمد بديع شريف ، دار المعارف، مصر، 1978م.
- 28- ديوان ابن الرومي، تحقيق د/حسين نصار، مطبعة دار الكتب القاهرة، 1973م.
- 29- الذخيرة في محسن أهل الجزيرة، علي بن بسام الشنتريني، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت لبنان، ط 1، 1979م.
- 30- سحر البلاغة وسر البراعة، ابو منصور الثعالبي، ضبط احمد عبيد، دمشق المكتبة العربية، 1350هـ.
- 31- شرح مقامات الحريري ، أحمد الشريشي ، إشراف محمد عبد المنعم خفاجي ، مطبعة عبد الحميد حنفي، مصر ، 1952م.
- 32- شعر المغرب حتى خلافة المعز ، د/إبراهيم الدسوقي، دار الثقافة، القاهرة، 1973.
- 33- الشعرية العربية ، جمال الدين بن الشيخ ، ترجمة مبارك حنون و محمد الوالي ومحمد اوراغ ، دار طوبقال الدار البيضاء المغرب ودار غاليمار باريس فرنسا ، ط 1، 1996م.
- 34- الصناعتين، ابو هلال العسكري، تحقيق د/مفید قمھیة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1981م.
- 35- ظهر الإسلام، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، ط 5 ، بيروت، 1969م.

- 36- عصر القيروان، ابو القاسم محمد كرّو و عبد الله شريط ،دار المغرب العربي تونس، ط1، 1973م.
- 37- علم العنونة ،عبد القادر رحيم ،دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر ،دمشق سوريا، ط1، 2010م.
- 38- العمدة في محسن الشعر وآدابه ونقده ،ابن رشيق القيرواني ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل بيروت، ط5، 1981م.
- 39- العنوان في الأدب العربي النشأة والتطور ،محمد عويس، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة مصر ، ط1، 1984م.
- 40- العنوان وسيميويطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ط1، 1998.
- 50- قراءة في الشعر العربي الحديث ،بشرى البستانى دار الكتاب العربي بيروت لبنان، ط1، 2002م.
- 51- قراءات في النقد والأدب ،مصطفى البشير فقط ،مكتبة الآداب القاهرة ، ط1، 2007.
- 52- ديوان المتنبي، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت (د ت).
- 53- مجمع الأمثال لأحمد بن محمد النيسابوري الميداني ،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط2، القاهرة مصر ، 1959م.
- 54- مجمل تاريخ الأدب التونسي ،حسن حسني عبد الوهاب ،مطبعة المنار ،تونس 1966م.
- 55- محاضرات في الشعر المغربي القديم ،عبد العزيز نبوی ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1983م.
- 56- المطرب من أشعار أهل المغرب ،ابن دحية أبي الخطاب عمر بن حسن ،تحقيق إبراهيم الابياري ود/حامد عبد المجيد ود/احمد بدوي، دار العلم للجميع بيروت 1955

- 57- المصطلح البلاغي والنقدى مرجعياته وتطوره ،مجموعة من الأساتذة الباحثين ، منشورات مخبر النقد ومصطلحاته، ط1،2012م.
- 58- المعجب في تلخيص أخبار المغرب ،عبد الواحد بن علي المراكشي ،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان ،ط2،2005م.
- 59- المعرفة التاريخية للنقد العربي القديم،مجدى احمد توفيق،دار الوفاء الإسكندرية، ط1،2001م.
- 60- المغرب في حل المغارب ،ابن سعيد المغربي ،تحقيق شوقي ضيف ،دار المعارف،1953م.
- 61- معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002،كامل سلمان الجبورى ،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان ،ط1،2002م.
- 62- معجم الأدباء ،ياقوت الحموي الرومي،تحقيق.إحسان عباس ،دار الغرب الإسلامي،بيروت لبنان ،ط1،1993م.
- 63- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ،أحمد مطلوب ،مطبعة المجمع العلمي العراقي،1983م.
- 64- معجم البلدان،ياقوت الحموي الرومي،مكتبة الاسدي،طهران ،1965م.
- 65- معجم المؤلفين،عمر رضا كحالة،مطبعة الترقى،دمشق ،1957م.
- 66- الممتع في صناعة الشعر ،عبد الكريم ا لنهشلي،تحقيق عباس عبد الساتر ،دار الكتب العلمية،بيروت ،ط1،1983م.
- 67- مناهج النقد المعاصر ،صلاح فضل ،إفريقيا الشرق ،الدار البيضاء المغرب،ط1،2002م.
- 68- من حلية المحاضرة ،الحاتمي،تحقيق مظهر الحجي ،وزارة الثقافة السورية،دمشق ،2000م.
- 69- من غاب عنه المطرب ،أبو منصور الثعالبي ،تحقيق د النبي عبد الواحد شعلان ،مكتبة الخاجي،القاهرة ،ط1،1982م.

- 70- موسوعة أعلام المغرب ،تنسيق وتحقيق محمد حجي ،دار الغرب الإسلامي ،
بيروت لبنان، ط1، 1980م.
- 71- النبوغ المغربي في الأدب العربي، عبد الله كنون، دن، دط، دت.
- 72- نزهة الالباء في طبقات الأدباء ،أبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ابن الانباري، تحقيق د/ابراهيم السامرائي، مكتبة المنار،الأردن،1985م.
- 73- النقد الأدبي في المغرب العربي ،د/عبد العزيز فقيلة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1988م.
- 74- النقد الأدبي القديم في المغرب العربي ،محمد مرناض، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2000م.
- 75- ورقات عن الحضارة العربية بإفريقيا التونسية ،حسن حسني عبد الوهاب ،مكتبة المنار، تونس، 1970م.
- 76- وفيات الأعيان ،إبن خلkan ،تحقيق إحسان عباس ،دار صادر ،بيروت لبنان ، 1977م.
- 77- الوفي بالوفيات ،صلاح الدين الصفدي ،تحقيق احمد الارناؤوط ،تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط1، 2000م.
- 78- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ،أبو منصور التعالي ،تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد، بيروت، 1973م.
- ج- المجلات والدوريات**
- 79- محاضرات الملتقى الوطني الثاني السيمياء والنص الأدبي ،قسم الأدب ،العربي، جامعة بسكرة، الجزائر، منشورات الجامعة في: 15/16 ابريل 2002م.
- 80- محاورات مع النثر العربي ،مصطفى ناصف، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 218 فبراير ، 1997م.
- 81- مجلة الجزيرة الطبعة الأولى ،العدد 10111، 4 جوان 2000 ،بالموقع الالكتروني التالي www.al.jazirah.com:
- 82- مجلة عالم الفكر ،تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، مجلد 25 ،العدد 3، 1997م. ومجلد 28 ،العدد 1، 1999م.

83- مقاليد، دورية أكاديمية محكمة ، مخبر النقد ومصطلحاته ، جامعة ورقلة ، مطبعة جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر ، العدد 2 ، ديسمبر 2011م.

د- الرسائل الجامعية

84- نظرية الشعر عند ابن رشيق القبري واني ، فريدة مقلاتي ، مذكرة ماجستير ، جامعة باتنة، الجزائر ، موسم 2008/2009م.

هـ المعاجم

85- أساس البلاغة، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن احمد الزمخشري ، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1998م.

86- لسان العرب، ابن منظور، تحقيق عامر أحمد جهور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2003م.

و- المواقع الالكترونية

87- مدونة د/العيد جلولي: <http://adabouargla.blogspot.com>:

فهرس الموضوعات

02	تشكرات
03	إهداء
04	ملخص
05	مقدمة
14	تمهيد
27	الفصل الأول: إحاطة ببيئة الحصري القورواني
28	المبحث الأول: أضواء على القوروان خلال العهد الصنهاجي
28	المطلب الأول: موقع مدينة القوروان ونشاطها
33	المطلب الثاني: القوروان خلال العهد الصنهاجي
41	المبحث الثاني: الحركة النقدية على أيام الحصري القورواني
41	المطلب الأول: الحراك الثقافي في قوروان الصنهاجيين
45	المطلب الثاني: أدباء العصر الصنهاجي
48	المطلب الثالث: أهم القضايا النقدية المطروحة
53	المطلب الرابع: إمتزاج النقد بالبلاغة
55	المطلب الخامس: أهم عوامل الازدهار الثقافي
57	المبحث الرابع: صفحات من حياة الحصري
57	المطلب الأول: إسمه ونسبه
58	المطلب الثاني: مولده ونشأته
61	المطلب الثالث: ثقافته
62	المطلب الرابع: مكانته العلمية
65	المطلب الخامس: وفاته
68	المبحث الرابع: إسهامات الحصري في المشهد النقي
69	المطلب الأول: خصائص شعره
71	المطلب الثاني: خصائص نثره

74	المطلب الثالث: مؤلفاته
80	الفصل الثاني: التعريف بمدونة البحث
82	المبحث الأول : إضاءة تعريفية بالكتاب
82	المطلب الأول: وصف عملية التحقيق
86	المطلب الثاني: مضمون كتاب "النورين"
92	المطلب الثالث: فهرس موضوعات المدونة
99	المبحث الثاني : المؤشرات المنهجية في كتاب النورين
99	المطلب الأول: المنهج المنصوص عنه
103	المطلب الثاني: قراءة استنتاجية لمنهج المؤلف
114	المبحث الثالث : النثر الفني في المدونة
114	المطلب الأول: الأسلوب المتوازن أو الترسيلي
115	المطلب الثاني: الأسلوب البديعي
116	المطلب الثالث: الأسلوب المسجوع
117	المبحث الثالث : قراءة سيميائية في عنوان الكتاب
131	الفصل الثالث: تأملات نقدية في المدونة
133	المبحث الأول : النقد والقضايا في النورين
134	المطلب الأول: قضايا الإبداع الأدبي
145	المطلب الثاني: النقد المجمل(الجملي)
147	المطلب الثالث: النقد الأخلاقي (الخلقي)
149	المبحث الثاني: مقارنة بين كتابي "الزهر" و "النورين"
149	المطلب الأول: مسألة الاختصار بعيون الباحثين
151	المطلب الثاني: أوجه التشابه
154	المطلب الثالث: أوجه الاختلاف
156	المبحث الثالث: المصطلحات الموظفة في الكتاب
157	المطلب الأول: سبر المصطلحات

162	المطلب الثاني: تعريف أو شرح بعض المصطلحات
166	المبحث الرابع: نظرات نقدية حول الكتاب
166	المطلب الأول: ما قيل عن التحقيق
167	المطلب الثاني: قيمة الكتاب ومنزلته
169	خاتمة
173	فهرس المصادر والمراجع

ملخص الدراسة :

تطوي هذه الأوراق البحثية على مجموعة من المعطيات النقدية، التي استضافت الحديث عن إحدى المواهب الشّقال التي سُجّل اسمها بحبر من خلود ضمن قائمة النبوغ المغربي في الأدب العربي. ويتعلق الأمر بالأديب اللامع، والناقد المعتمد، الحصري القيرياني. المشهور بكتابه "زهر الآداب وثمر الألباب". الذي اختصره – باعترافه هو – في كتاب رشيق الصياغة مليح الدبياجة، وسمّه بـ: نور الطرف ونور الظرف. (النورين) هذا الأخير الذي اخترناه ليكون محل دراستنا التي حاولت بحث أهم المفارقات الموجودة بين المصنفين، واستجلاء التوقعات النقدية للمؤلف والوقف عند ابرز مؤشرات التصور المنهجي الذي سارت عليه المدونة. متطلعة(الدراسة) في الوقت نفسه الى معرفة الانعكاسات البيئية على أيام الحصري في عملية التأليف، منهجاً ونقداً ومادةً أدبية. وقد تعرضنا قبل هذا كله الى قضية نعتقد خطورتها، تتعلق بمسألة التقصير في دراسة الإنتاج المغربي القديم في الأدب.

Résumé de l'étude

Cette étude examine une série de données littéraires et critiques, dans l'un des livres du Maghreb traditionnel, Ce est un livre: Alnorin. Pour: elhousri alkairaoini, Qui a raccourci le livre:Alnorin de livre: zahr al adab, Nous avons essayé d'identifier la différence entre les deux livres, et sur le côté critique dans le livre :Alnorin. Ainsi que le programme sur lequel le livre, Nous avons appelé cela avant le thème par défaut dans l'étude de la littérature et de la critique Maghreb.